

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرحلة الحجازية

أو

نَهْزَةُ الْمُسَافِرِ وَنَهْزَةُ الْمُسْتَأْمِرِ

(سَنَةِ ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م)

لِلْإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْحُسَيْنِ كَاشِفِ الْفِطَاءِ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

تَحْقِيقَ

أَمِيرِ الشَّيْخِ شَرِيفِ نَجْلِ الْإِمَامِ كَاشِفِ الْفِطَاءِ « قَدَّسَ سِرُّهُ »



النجف الأشرف / الهاتف المحمول: ٠٠٩٦٤٧٨٠١٢٧٣٣٨٤

Kashefalghtaa@gmail.com

كاشف الغطاء، محمدالحسين علي محمدرضا، ١٢٩٤ - ١٣٧٣ هجري.

الرحلة الحجازية، او، نهضة المسافرين ونزهة المسامر (سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م) / للامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء قدس سره ؛ تحقيق امير الشيخ شريف - الطبعة الاولى. - النجف [العراق] : مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة، ١٤٣٧ هـ = ٢٠١٥ م.

٣٢٥ صفحة ؛ ٢٤ سم

يضم مقدمة بعنوان : أدب الرحلات النجفية لمحة عابرة / الدكتور محمد جواد الطريحي المصادر : ص. ٣٠٩-٣٢٠ ؛ وكذلك في الحاشية.

١. البلاد الإسلامية - وصف رحلات. ٢. الرحالة العرب. ٣. كاشف الغطاء، محمدالحسين علي محمدرضا، ١٢٩٤ - ١٣٧٣ هجري - رحلات. ألف. كاشف الغطاء، امير شريف محمدالحسين، ١٩٨٢ -، محقق. ب. الطريحي، محمدجواد محمد كاظم كاتب، ١٩٥٧ م - : أدب الرحلات النجفية لمحة عابرة. ج. العنوان. د. العنوان : نهضة المسافرين ونزهة المسامر. هـ. العنوان : أدب الرحلات النجفية لمحة عابرة.

DS35.57 .K3 2015

الفهرسة والتصنيف في مكتبة العتبة العباسية المقدسة

الكتاب: الرحلة الحجازية أو نهضة المسافرين ونزهة المسامر.

تأليف: الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء.

تحقيق: الشيخ أمير الشيخ شريف كاشف الغطاء.

الناشر: مكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة «٢».

إعداد الفهرسة: علي كاظم خضير الحويدي.

الإخراج الفني: محسن جعفر الجابري.

المطبعة: دار الرافدين - بيروت.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

التاريخ: ٢١ محرم ١٤٣٧هـ / ٤ تشرين الثاني ٢٠١٥ م.

أدب الرّحلات النجفية لمحة عابرة

للدكتور محمد جواد الطريحي

في ضوء استقراء واقع الأدب الإنساني نكتشف محطات هامة لما كان يختزنه الإنسان في شعوره الباطن من التطلع لما حوله وما يتصل بأحاسيسه تجاه المجهول من العالم.

فمنذ قدم التاريخ بدأ الولوج بالرحلة استجابة لهتاف النفس البشرية في التأمل والإحاطة واستطلاع ما في أنحاء العالم من خلال السفر والتنقل من مكان لآخر، حيثُ ينعكس من خطاب (النص الرحلي) بيان الهوية الثقافية والاجتماعية والجغرافية والتربوية، وبالنتيجة ينتمي هذا النصّ إلى نوع من التعبير الأدبي الممتع بخصائصه الفنيّة بما يغنيه من معطيات بالإضافة إلى أنّه يُعد وثيقة تاريخية تفتح للباحثين الاعتماد عليها في معرفة الرؤى الحضاريّة لأمة أو شعب أو جيل معين أو لسيرة شخصيّة .

وأما من حيث الإنسان الرّحالة فالرحلة نصّ ثقافي في إطار صورتَي الذات والآخر من خلال تجليات الإبداع المعرفي لصاحب الرّحلة في صياغة الدلالات الفكرية بقدر الملكات والمواهب الذاتية التي يمتلكها فيما يحسنه من أداء التعبير عن مشاهداته وأحاسيسه وما يستلهمه من وعي طاقاته.

وفي ضوء ما اكتسب (أدب الرّحلات) من قيمة فنيّة فقد تميّز بالنظر إليه

مصدراً هاماً في دراسة تقاليد الأمم وعاداتها بما يفيد المعنيين بالدراسات المجتمعية، كما أن هذا اللون من الأدب اختلفت الإفادة منه من عصر إلى عصر؛ وذلك لأنّ ما دوّنه الرّحالة القدماء يمثل مورد عنايتهم في الزمن الغابر مما تباين عنه في كل فترة زمنية^(١) وما تتصف به من مؤثرات وظروف ومناهج تفكير دينية أو اجتماعية أو خلفية مذهبية وسياسية وما إلى ذلك.

وقد جرت قديماً وحديثاً سنة علماء الإمامية وأدبائهم على الهجرة وإدراك معطياتها الايجابية مع اختلاف أسبابها بها، فقد هاجر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) من خراسان إلى بغداد ثم إلى النجف، وكان العلامة الحلي (ت ٧٢٦هـ) يسافر ومعه المدرسة السيارة، وسافر الشهيدان العامليان الأول (ت ٧٨٦هـ) والثاني (ت ٩٦٥هـ) من سوريا إلى العراق ومصر وإيران، وأسفار الشيخ البهائي (ت ١٠٣٠هـ) وسياحاته مشهورة، كما اشتهرت هجرة الشاعر الخالد عبد المحسن الكاظمي (ت ١٨٦٥هـ) إلى إيران والهند ثم اتجه إلى مصر ليكمل سفره إلى أوروبا إلا أنه مرض بها وتوطنها إلى وفاته واقباره بها بعد ان كان محل تقدير وتكريم علمائها لفضله وأدبه الرفيع.

(١) أشار الباحثون في هذا الصدد إلى أنّ النظر باهمية دراسة نظرية أدب الرّحلات عند العرب والمسلمين بدأ منذ أكثر من الف عام وهو بداية ظهور هذا الجنس الأدبي في التراث العربي والإسلامي .

ويعد هذا الأدب - المختلف في نعته كذلك - نوعاً من الانماط الخطابية وجنساً أدبياً له شكله الخاص الذي يميزه عن باقي الأنواع الاخرى من حيث اعتبار الرّحلة خطاباً له منطق خاص ولا نملك إلا ان نقرن الحديث عنها بنعت الطرافة لأنّها تسعى ان ترصد ما تراه عجباً وغريباً بسبب تقمص الرّحالة شخصية القاص أو السارد.

وأما مدينة النجف الأشرف فقد شهدت عبر تاريخها الخالد العريق مضماراً واسع الأفق عريض الأطراف تتجلى صورته في ضوء ما تمتاز به وتحتله هذه (المدينة الحلم) من كونها تمثل في كيانها الحضاري بوابة معرفية عريقة تجتذب بسحر معطياتها الفكرية منذ تأسيسها في العصر الأوّل الهجري وعلى مدى القرون الأربعة عشر المتتالية إلى اليوم اجيالاً وشخصاً تمتلك أدوات المعرفة الإنسانيّة، وملكات الألمعيّة والفضيلة فضلاً عن اهتمام المسلمين بمختلف مذاهبهم ومشاربهم لبلوغ الغاية السامية بالمثول والتشرف بزيارة البقعة المقدّسة التي تضم ثرى المرقد المقدس للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بل والرغبة الطموح في المكوث والمجاورة والتوطن في الرحاب العلوي للترؤد من العطاء الروحي الذي يمنح نفوس طلاب العلم والانتهاال من المنهل العذب المُضَمَّح بعطر الولاء والتعمق في دراسة علوم الشريعة الإسلاميّة وتنمية الملكة الاجتهاديّة وتطوير الرؤى الطامحة لاكتساب الخبرة العلميّة في العلوم الشرعيّة وآفاق الدراسات الأدبيّة والفكريّة وعلوم اللغة العربية.

ومن خلال ما عرضناه مختصراً من العمق التاريخي نستطيع التعرف على مرتسم الخارطة التي تشكلت منها آفاق الرّحلات - من وإلى - مدينة النجف والتي يمكن تصنيفها فيه إلى أنواع بحسب الغايات التي سعى إليها الرّحالة في محاولتنا السريعة - هذه - لدراسة طبيعة الرّحلات وميزاتها في هذه المدينة ونصل بتقسيمها إلى:

أولاً : الرحلة إلى مدينة النجف وهي متعددة الغايات بين :

أ - المجاورة والهجرة :

حين تشرفت مدينة النجف بالثرى المقدس لحدث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) اتجهت الأنظار من عامة المسلمين والمؤمنين خاصة في التطلع إلى الهجرة وشرف المجاورة للعتبة العلوية المقدسة وما ضمت معها وحواليها من قبور الأنبياء آدم ونوح (عليه السلام) ضجيعي الإمام في قبره، وهود وصالح (عليه السلام) في مقبرة وادي السلام، وقبور صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) والتابعين^(١) والأولياء والعلماء والصالحين فضلاً عما تشرف بالدفن مجاوراً من الملوك والسلاطين والأمراء.

وأما الهجرة فقد امتدت منذ القرن الأول الهجري للاستجارة بالمرقد العلوي وإدامة السكنى أو المكوث لمدة تطول عادة، خاصة عندما بدأت بواكير نشأة الحوزة العلمية وتطور النشاط الدراسي بعد ظهور القبر الشريف وازدياد عدد القاطنين واستقرار شيوخ الطائفة وسدنة العلم حتى بلوغ الدور العلمي إلى مرقاة التقدم التي بلغت أوجها بهجرة الشيخ الطوسي (قدس سره) سنة (٤٤٩هـ - ١٠٥٧م)، وفي كل المراحل التاريخية على قدمها إلى اليوم فقد تمثلت الهجرة من اجل طلب العلم برجال من كل أقطار شرق الدنيا وغربها، بالإضافة إلى من يقصد للتبرك بالزيارة العلوية، ومصادقها ما أشار إليه الشيخ كاشف الغطاء في هذه الرحلة بقوله: (إن النجف فيها الأمم المختلفة والأنواع المتفرقة والعناصر المتغايرة ...

(١) ظ: كتاب (رجال من بقیع ثویة الكوفة د. صلاح مهدي الفرطوسي، الناشر: مركز دراسات هاني بن عروة أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به. الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ -

أدب الرحلات النجفية لمحة عابرة.....٩

ومن لا يحظى بزيارة أهل الفضل منهم فليكن القصد زيارة أمير المؤمنين عليه السلام (...).

ب- التحصيل العلمي :

فقد عرفت مدينة النجف بأنها حاضرة العلم المتميزة بأصالتها وعمق تواصلها مع البعد الحضاري للمنطقة من قديم تاريخها واستلها ميراثها لمدينة الكوفة ومدرستها العلميّة التي أسست بالعطاء الرسالي وبنفحات أئمة أهل البيت (عليه السلام) بما كان لهم من الدور الريادي من تأسيس البنى لدراسة علوم الشريعة الإسلامية وآداب اللغة العربية، ما حفلت به صفحات التاريخ قديماً وحديثاً من النتاج الخالد للعلماء والمفكرين ومجالس العلم وندوات الأدب العالي والمؤلفات والموسوعات في شتى فنون المعرفة الإسلامية من ثمرات أعلام النجف الذين ينتسبون إلى أقطار العالم، وفي ضوء هذه الحقائق نستفيد أهمية استيعاب مدينة النجف ممن ارتحلوا من بلدانهم وأقاموا في مدينة النجف فتَمَثَّلَتْ بهم طبيعة التنوع الحضاري الكبير وديمغرافية المجتمع الإنساني بجامعة التحصيل العلمي في الحاضرة العلوية.

ج- الزيارة والاستطلاع :

ولما كانت النجف تضمُّ قداسة المكان فقد تهافت إليه قلوب المسلمين بمختلف طوائفهم، وغير المسلمين في مختلف نزعاتهم وتوجهاتهم الفكرية والدينية وأغراضهم ومصالحهم في ضوء ما نقرأه في مذكرات ومدونات الرحالة

والمستشرقين^(١) ورجال المعرفة وغيرهم، حيث نقف أمام محطات هامة من الأفكار والمتبنيات والخواطر والصور والتصورات مما يغني الباحثين المعنيين بهذا المضمار الثقافي.

د- تجارياً وصناعياً :

حيث احتلت النجف الأشرف مكانتها الاقتصادية بحكم موقعها الجغرافي، فهي من قديم عهدها تستقبل الرواحل من البوادي وتجار البلدان المجاورة، كما يشار إلى ذلك فيما سميت بـ(المناخة) للأبل، إلى تطور الجانب التجاري اليوم باعتبارها محطة مهمة تستقبل الواردات وتنمي جانب صادراتها، وأصبح لكثير من الشركات العالمية والمحلية موقعاً فاعلاً ومؤثراً اقتصادياً.

(١) مثل ما أوردته الموسوعة الإسلامية الصادرة بالفرنسية عن النجف وما كتبه فكتور بيرار وبارون كارا دي فو. - وكتابات الرحالة مثل : جان باتيست تافرنيه وف. فونتانييه وادريان دوبريه وجان ديولافوي. وهناك كتابات للمستعربين من المستشرقين المعنيين بالشيعة وتاريخ النجف مثل جاك بيرك الذي يعشق النجف وأهلها وتقاليدهم وفكرهم وبير جان لويوارد الذي يتبنى قضية النجف وكأنه وُلد فيها.

كما ننوه لما كتبه لويس ماسينيون والجيوبوليتيكي الفرنسي فرانسوا تيال في كتابه "جيوبوليتك التشيع" انظر بحث الدكتور قيس العزاوي: النجف كما وصفها المستشرقون الفرنسيون، الموسوعة الإسلامية الصادرة بالفرنسية عن ميزونف لاروز ١٩٧٩م، الدكتور رؤوف الانصاري: السياحة في المثلث الديني، الدكتور حاتم كريم جواد: الإمام علي (عليه السلام) في كتابات المستشرقين.

ثانياً: الرحلة النجفية:

ونقصد بها الرّحلات التي انطلقت من النجف إلى أقطار العالم وقد تعددت من حيث غاياتها وحيثياتها بحسب ما تمثله من أهداف ورؤى وما سجّله أصحابها من مذكرات تشير إلى ما يعينهم من قصد في رحلاتهم أو ما يستطيع الدارسون ان يطلعوا من خلالها على الشخصية العلمية للرحالة النجفيين ولذلك ننظر من هذه الزاوية إلى:

أ - رحلات الحجّ وزيارة الأماكن المقدّسة:

منذ أن صدع النبي الأكرم ﷺ بالشرعة الإسلامية الغراء دأب المسلمون إلى أداء فريضة الحجّ إلى بيت الله الحرام، امتثالاً لأمر الله تعالى، وقد توجهوا من بلدانهم على بعدها ومشقّة السفر في غابر التاريخ، وأما النجفيون فبالرغم من ممارستهم السفر من قديم تاريخهم لأغراض عديدة منها: التجارة والسياحة فقد تطلّعت أنفسهم إلى تحمّل مشاق الرّحلات التي توجهوا فيها مستلهمين منها ما يغنيهم من خبرة ومعرفة وسعة اطلاع على ما عرف عنهم - بالذات - من دقة الملاحظة والانتباه والافادة، وما تسعه ذاكرتهم من مشاهدات يتواصلون في استذكارها من جيل إلى جيل وهو ما يفتح أمامنا أهميّة دراسة المدوّنات التي سطرها النجفيّون في رحلات الحجّ وما فيها من المُلح والنوادر والحكايات المفيدة وما تصطف به هذه الميزة جنب ما يتطلّع إليه النجفي في رحلاته إلى تدوين مسائل تتعلق بجوانب الدين والعقيدة والأدب والجغرافية والثقافة، وغيرها من جوانب المعرفة الإنسانيّة التي تتميز بها كل رحلة مجمعة بهذه الموارد أو محدودة.

ومن أنموذج هذه الرحلات وليس على الحصر الرحلات الموسومة بـ (رحلات الحج) أو (الحجازية) ومنها رحلات السيد محمد مهدي الطباطبائي الكبير بحر العلوم (ت ١٢١٢هـ) فكانت رحلته الأولى عام (١١٩٣هـ - ١٧٧٩م) وحيث لم يدرك موسم الحج صمم على البقاء في مكة سنة كاملة، اجتمع عليه خلالها طلاب من المذاهب الإسلامية الأربعة فكان يدرّسهم في ضوء مذاهبهم وبادر إلى إقامة المشاعر وتحديددها في منى والمزدلفة وعرفات كما أشار إلى بناء المنائر الموجودة في المسجد الحرام لمساعدة الطائف على طوافه^(١)، ثم تشرف بالحجّ مرات أخرى.

ورحلة الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ) ثلاث مرات وقد جرت له فيها مع علماء المسلمين حوارات وافادات علمية، والشيخ محمد طه نجف (ت ١٣٢٣هـ) وفي عودته إلى النجف ختم رحلته بقصيدته المشهورة ومنها:

تمام الحجّ ان تقف المطايا على أرض بها النبأ العظيم
وصي محمد وأخوه منه كهارون يقاس به الكلیم

ورحلة السيد أحمد حبيب زوين الحسيني (كان حيا سنة ١٢٤٧هـ) فقد توجه للحجّ عن طريق الحجّ البري من النجف (عام ١٢٤٢هـ - ١٨٢٦م) ونظم أرجوزة ضمنها مناسك الحجّ وتعيين المقامات الشريفة في الحجاز وتاريخها وابنتها، والشيخ سالم الطريحي (ت ١٢٩٣هـ) حيث قصد للحجّ (عام ١٢٧٥هـ - ١٨٥٨م)

(١) السيد فاضل بحر العلوم : مقدمة الفوائد الرجالية ، مركز تراث بحر العلوم .

وعاد إلى النجف وقد نظم أرجوزة وصف فيها رحلته والمواقع التي مرَّ عليها، و(الرَّحْلَةُ الْمَكِّيَّةُ وَالنَّحْلَةُ الْمُسْكِيَّةُ) للفقير محمد حسن كبه (ت ١٣٣٦هـ - ١٩١٧م)، وللسيد محسن الأمين العاملي (١٣٧١هـ - ١٩٥١م) ثلاث رحلات حجازية، ورحلة السيد رضا الهندي (ت ١٣٦٢هـ - ١٩٤٢م)، ورحلة السيد محسن الحكيم (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م) حيث استقبل بحفاوة رسمية شعبية وتميّزت من حيث الأحداث السياسية التي كانت تمرّ بالعالم العربي والإسلامي عام (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)، وصحب السيد الحكيم صفوة من أعلام الدين في النجف عهدت لكل منهم مهمّات تتعلق بتيسير الأمور وعقد جلسات للحوار والاجتماع بالعلماء من شتى المذاهب الإسلامية، وقد دوّن تفاصيل الرحلة الحجة الفقيه السيد محمّد جمال الهاشمي (قده) (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) في أرجوزة شعرية قاربت الألف بيت.

وباعتبار أنّ السفر للحجّ كان ربما يستغرق قديماً اشهرًا تطول فتتوفر عندئذ الفرصة للأفاضل الأعلام ممن ذكرناهم في تحرير المسائل العلمية والافاضة بالمذاكرات النافعة واستحضار المسائل بمختلف الأبعاد الثقافية.

وغير ذلك من الرّحلات النجفية للحجّ وهي كثيرة لا يسع المقام استقصاءها^(١).

ولابد من التنويه إلى أنّ رحلة الإمام كاشف الغطاء التي بين ايدينا خير مثال لهذه الرّحلات مع تميّزها بنواحي يأتي الحديث عنها.

(١) أنظر (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) للشيخ الطهراني، ١٠: ١٦٨ - ١٧١.

ب - رحلات التبليغ والواجبات الرسالية والمشاركات العلمية :

حيث أنّ النجف كمدينة علمية إذ يفد إليها طالب العلم فينتهل من مواردها العلمية ثم يتدرج في مراحل دراساتها متخصصا بالعلوم الشرعية، ولما كان من واجبات خريجي هذه المدرسة العلمية أن ينتشروا في البلدان ليلغوا الناس بما يهديهم إلى سواء السبيل في أمور دينهم، ومن هذا المنطلق الكريم فقد توجه الأفاضل من أعلام النجف إلى تحقيق هذه الغاية الشريفة برحلات إما مؤقتة في مناسبات ومواسم معينة من أيام السنة كما في شهري محرم الحرام وشهر رمضان أو غيرها، كان يذهب البعض في العطل الأسبوعية إلى مدن معينة داخل أو خارج العراق بصفة الإرشاد والتبليغ أو أنه يمارس نشاطه من خلال التزاماته بحكم تمثيله المهمة الرسالية لانحداره من أسرة علمية لها تاريخها من آبائه العلماء وفي الغالب يمتون بصلة النسب العشائري إلى المنطقة التي يقصدونها.

ولابد أن نشير إلى رحلات الخطابة الحسينية التي يقصد بها خطباء النجف إلى أقطار العالم منذ القديم، وما لها من الأثر الكبير في نفوس المجتمعات التي يقصدونها لما تُمثل من أحاسيس ومشاعر فياضة نظراً لاهتمام تلك المجتمعات إلى ما يصدر عن حاضرة النجف ومرجعيتها من توجيهات وأفكار يحملها معه الخطيب النجفي الذي كان -آنئذ- لا يرقى المنبر إلا إذا مرّ بتجربة رائدة، يسهم بها في تقويم معلوماته وما يطرحه من رؤى وأبعاد خُصّر مجلسه في النجف من المراجع والعلماء الأجلاء وأهل الفضل، ولا أدل على ذلك من رحلات خطباء النجف الذين كسبوا سمعة وشهرة في البلاد العربية والإسلامية، وما قدّموه من خدمة جليلة لنشر المعارف الدينية والآداب الإسلامية.

وكان للشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨هـ - ١٨١٣م) بالإضافة لسفرته بالحجّ عدّة سفرات كان لها صدى بوجوده المبارك في تعزيز شأن الطائفة على المستوى الرسمي والشعبي منها رحلاته إلى خراسان وعموم عواصم ايران: كالأهواز وشيراز وتبريز وطهران وغيرها، وله في أكثر هذه العواصم والمدن والقرى التي مرّ بها أحاديث ونوادر يتناولها الخلف عن السلف، وكان كل القصد منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي كان شائعاً في ايران من الصوفية الزائغة عن الصراط المستقيم، المتطرفة في رفض الفرائض والنهج القويم، ما كان له من الأثر العظيم في تقويمهم وتعليمهم ونشر ألوية العلم والعدل وردع سلاطينهم عن التمادي في الجور والظلم وقد ألف كتابه الشهير (كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء) في بعض أسفاره إلى ايران وهو في الطريق وليس معه من الكتب سوى قواعد العلامة الحلي رحمته الله على ما نقله صاحب كتاب (روضات الجنات).

وقد كانت تعقد مؤتمرات أو ندوات علميّة في العالم فيدعى لها من يمثل النجف وتجري اثناءها حوارات ومناقشات علميّة وفكريّة تبرز فيها الهوية العلميّة للنجف وتظهر بها معالم الشخصية الحضاريّة وملامح الرؤية العقائديّة والثقافيّة.

ومن الرّحلات المشهورة رحلة الشيخ عبد الكريم الزنجاني (ت ١٣٨٨هـ) إلى بلاد فلسطين والشام والقاهرة وما انتجته من إفادات وتطلعات فكرية.

ومن الأمثلة لهذه الرّحلات رحلة الإمام الشّيخ فخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥هـ - ١٦٧٤م) إلى الحرمين (مكة والمدينة) والإقامة فيهما وانجاز بعض

تأليفه بها، ثم رحلته إلى أصفهان وفيها بدء تأليف كتابه الشهير (مجمع البحرين).
 واما رحلات حركة الجهاد (١٩١٤م - ١٩١٧م) والتي دون الشيخ كاشف
 الغطاء لها بعض المذكرات وما اعقبها في النهضة الكبرى لثورة العشرين
 المنطلقة من النجف الأشرف بقيادة الزعماء والمراجع الدينية كالشيخ شيخ
 الشريعة (ت ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م)، والسيد الحبوبي (ت ١٣٣٣ - ١٩١٤م)، وبلوغ
 البعض منها - في حركة الجهاد - إلى عمق الأراضي الإيرانية لمواجهة الاحتلال
 الانكليزي وشارك بها أعلام النجف كالعلامة المجاهد السيد عيسى كمال الدين
 (ت ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م)، والزعيم الديني السيد محمد علي بحر العلوم
 (ت ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) وغيرهم فقد سطرت صفحاتها بأحرف من نور بما
 حقّقت من بناء صروح الاستقلال للدولة العراقية الحديثة.

ج - الرحلة إلى بلدان العالم:

منذ القدم مارس النجفيون الرحلة إلى أقطار العالم بأهداف متعددة نتيجة ما
 تتميّز به طبيعة المجتمع النجفي إلى التشوق وحب الاستطلاع مما يمكنه من
 آثار ما انطبع في ذاكرتهم من اعتبار مدينتهم محطة واسعة الاستقبال للكثير من
 الزائرين لها والمقيمين فيها للمجاورة والدراسة، وهذه الظاهرة التي بدأت
 واضحة استدعت ان تبني في الشخصية النجفية اطاراً من البناء الايجابي لنفسية
 المجتمع النجفي وسمو روحه والشعور بالأصالة والوقوف على المستوى اللائق
 لبناء الذات والمكانة الشخصية مما أصبحنا نفتقر إليه في المجتمعات المعاصرة
 عموماً والنادرة فيما اشرنا إليه بمستوى بلداننا المقدسة بالخصوص.

وبناءً على ما عرضناه فقد كان للرحالة النجفيين إلى العالم منطلقاتهم التي تتوزع بين الرحلة من الدراسة أو السياحة أو الهجرة أو الإقامة العلمية بما يوفر مساحة معرفية نوعية تضاف إلى أفقهم العلمي أو ما يحقق في نفوسهم المهمة والحيوية وما في الغربة من فوائد جمّة أهمها خلق الروح القيادية التي هي نتائج تعزيز الثقة الكبيرة في النفس مما تلاحظ ملامحها في طبيعة المشاعر النجفية لأسباب كثيرة.

والشواهد كثيرة لا يمكن الإلمام بها - مع العجالة بالبحث - منها على سبيل المثال رحلة الحاج مهدي البهبهاني إلى دمشق الشام واهتمامه بالعبادة لقبر السيدة الحوراء زينب عليها السلام وتأسيسه مشروع انجازه تعمير المشهد الزينبي الشريف بدمشق، ورحلة الشاعر الكبير السيد احمد الصافي النجفي (ت ١٩٧٧م) إلى إيران وانجازه تعريب رباعيات الخيام التي تعتبر أروع الترجمات العربية، ومن ثم هجرته إلى سورية ولبنان واقامته بهما وما بلغه من شهرة وصيت واسع ونشر آثاره الشعرية، ولا بد من الإشارة إلى الرحلات العلمية للبعثات الدراسية التي شارك بها ثلة طيبة من أبناء النجف لأقطار العالم في فترة زمنية مبكرة من تاريخ العراق الحديث كالدكتور عبد الرزاق محي الدين (ت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، والاستاذ إبراهيم الوائلي (ت ١٩٨٨م)، والدكتور مهدي المخزومي (ت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) وغيرهم إلى مصر كما ان هناك نخبة من أفاضل الاساتذة الذين رحلوا إلى بلاد العالم الشرقي والغربي ممن تصدوا لتولي مناصب هامة، لا يسعنا على هذه العجالة تغطية أخبارهم، وفي جانب المشاركات العلمية والوطنية في الندوات والمؤتمرات كما في رحلة الشيخ محمد رضا الشيباني (ت ١٩٦٨م) الذي كتب عنها بعنوان (رحلة

في بادية السماوة) ثم في نشاطه العلمي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي رحلته الموسومة (رحلة إلى المغرب الأقصى) واشترك معه بها الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٩٨٨م) للمساهمة بالاحتفالية الألفية لتأسيس جامعة القرويين.

الإمام الشيخ كاشف الغطاء والرحلات:

تأقت نفس الإمام الشيخ رحمه الله للسفر والرحلة تعبيراً عما تحمله نفسه الزكية من طموح كبير في الإمام والإحاطة بالمعرفة واستطلاع التجربة العلمية والاستزادة المعرفية شأنه بذلك شأن المصلحين من عباقرة الرجال النوادير المتميزين بالألمعية والأصالة فيما تحمل نفوسهم الكبيرة التي تعيش لتحقيق المستوى المعرفي الأسمى لاستلهاام الخبرة الإنسانية على الأفق الأرحب الذي يعيشه العالم الآخر، والافادة من ذلك في آفاق الدراسات والبحوث للعلوم الشرعية بما تتحقق به المصلحة الإسلامية العليا في التطوير النوعي للأساليب والوسائل التي تبني العقلية الرائدة التي يتوخاها الدين الإسلامي من ثقافته وتطبيق تعاليمه الحقّة.

وقد بدأ هذا المشوار في مقتبل عمره فكانت أول سفره له إلى الحجاز التي دون بها هذه الرحلة وقد تمّ له ذلك وهو يسير أغوار مراحل دراساته العلمية والأدبية أن يقرأ ما عنّ له الاطلاع عليه من خلال مكتبة والده العلامة الكبير الشيخ علي صاحب الحصون المنيعة (ت ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) الذي ذاع صيته بين الأوساط في عنايته واهتمامه الكبير بتنمية خزانة كتبه الشهيرة وسفاراته المتواصلة إلى ايران والحجاز وتركيا والهند، من اجل الاطلاع على نفائس التراث بما يفيدته خلال زيارته المتكررة للمكتبات الحافلة في الأقطار الإسلامية واستنساخ نواذر مخطوطاتها بيده

وقد رويَتْ عنه في هذا الصدد حكايات ممتعة تصدى المؤرخون لإثباتها.

وإذا ما تعمّقنا في دراسة سيرة الإمام الشَّيخ كاشف الغطاء رحمته الله بتأمل هذه المحطّة الهامة من حياته فإنما نستشرف على مدى تأثير هذه التربية الأسرية التي اتسمتْ بآفاق وأبعاد واسعة مهدتْ السبيل أمامه للتطلع إلى سعة الأفق العلمي وتركتْ بصمات رائعة المعنى في صياغة شخصيّته التي امتلكتْ إضافات نوعيّة من الخبرة والمران في معرفته بالبلدان أو في ملتقياته مع الأفاضل من الأعلام الذين إلّقا بهم أو حاورهم وهو ما يتضح جلياً لمن يستعرض مؤلفاته ويطلّع على فتاواه ويقرأ ما سجّله في رحلاته وما اثبتته من مشاهداته.

وعندما نقف على مشارف رحلات الإمام كاشف الغطاء رحمته الله في حياته نجدها قد تعددتْ بحسب مناسباتها والبلاد التي قصدها والمعطيات التي بلغها من خلال كل رحلة؛ وهي لذلك تميّز بأنّها في الغالب مدوّنة من قبله مع اهتمامه بخصوصيّات مقاصدها التي هدف إليها وقد أفاد واستفاد منها على ابلغ مستوى من النتائج التي كانت نفسه الطاهرة تطمح إلى تحقيق أهداف ضحى من اجلها بالغالي والنفيس من الجهد الجسمي والنفسي حتّى بلغ في توضّحاته الكبيرة بروحه الغالية إلى ما يسمو نحوه من المثل العليا التي كانت حياته ضحية لها مما يعرفه الأفاضل ممّن تصدى لدراسة حياته.

وللحقيقة فقد كانت أوّل سفرة له خرج بها من النجف سنة (١٣٢٨هـ - ١٩١٠م) إلى مدينة بغداد، وأمّا رحلاته التي قام بها وكان لها من الأهمية بناءً على ما دوّنه فيمكن أن نلخصها بما يلي:

أولاً: رحلة الحجّ الحجازية (١٣٢٩هـ - ١٩١١م)

وهي هذه الرحلة محلّ التقدير والعرض بهذه الصفحات، فقد بدأ بها من النجف يوم السبت التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك من السنة التاسعة والعشرين والثلاثمائة والألف هجرية وبعد أداء مراسم الزيارة للإمام الحسين وأخيه أبي الفضل العباس (عليهما اشرف الصلاة والسلام) في كربلاء وخروجه منها يوم الخميس الرابع من شهر شوال متجها إلى مدينة الكاظميّة، ومنها كانت الرحلة إلى الشام ثم أتمّها حيث توفّق لأداء فريضة الحجّ كما دوّنها بما يتمتع القارئ اللبيب متنقلاً بين صفحاتها التي نمّقها الشيخ رحمته بقلمه السيّال وأسلوبه السهل الممتنع وسنعرض لمزاياها.

ثانياً - رحلته في ربوع سورية ولبنان ثم زيارته إلى مصر وقد بدأها بعد الفراغ من مناسكه حيث عرج على دمشق وبقي فيها وفي بيروت زهاء شهرين، ثم ألقى عصا السير في صيدا وأستفرغ وسعه واستوعب وقته لطبع مؤلفاته في مطبعة العرفان للاستاذ الفاضل الشيخ أحمد عارف الزين فطبع جزءين من كتابه (الدين والإسلام) وطبع في بيروت الجزء الأوّل من كتابه (المراجعات الريحانية) والثاني في صيدا بعد تعرفه بهذه السفارة على الفيلسوف الريحاني والمداومة والتناوب بينهما بتلك المراجعات البديعة، وساعد واشرف على نشر عدّة نفيسة من كتب الأدب النادرة كـ (الوساطة بين المتنبي وخصومه) للقاضي الجرجاني، و (ديوان سحر بابل وسجع البابل) للسيد جعفر الحلبي، و (ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي)، وله على كل منها تعاليق لامعة وشروح نافعة.

ثم سافر من صيدا إلى القاهرة وبقي فيها أكثر من ثلاثة أشهر وحضر على أكابر علمائها كشيخ الأزهر الشيخ سليم البشري (ت ١٣٣٥هـ - ١٩١٧م) وكان

مُعَمَّرًا تجاوز التسعين، ومفتي الحقانية العلامة المحقق الشيخ محمد بخيت المطيعي (ت ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م)، يقول الشيخ رحمته الله: لم أجد في مصر عالماً محققاً مثله يباحث أصول الفقه عصرًا في جامع رأس سيدنا الحسين عليه السلام والتفسير بين المغرب والعشاء في الجامع الأزهر وله مؤلفات طبع أكثرها.

وكان الشيخ كاشف الغطاء بعد الفراغ من درس شيخ الأزهر بالتماس جماعة من طلبة الأزهر يباحث في الفقه مرة وفي الفصاحة والبلاغة أخرى وتجتمع في حوزة درسه الجماهير وقد لمسوا منه علماً جماً جديداً، وأسلوباً طريفاً ومنهم القاضي الشرعي في تلك الآونة الاستاذ احمد محمود شاكر (ت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، ودراسة النجف وان كانت تشابه دراسة الأزهر من ناحية لكنها تختلف عنها في نواح كثيرة.

وكان سماحته مدّة توقفه بمصر يهجم على نوادي التبشير التي كانت تنعقد كل ليلة في كنيسة من كنائس الأمريكان ومدارسهم، ويعترض على الخطيب المبشر ويرد عليه مطاعنه على النبي صلى الله عليه وآله وعلى القرآن في اثناء خطبته بمحضر جماهير المستمعين من النصارى والمسلمين، وفي إحدى الليالي التمسه القسيس الأكبر ان يقطع المعارضة حتى ينتهي خطيبهم من برنامجه المقرر ويفسح له المجال بعد ذلك للجدال، وبعد أن فرغ ذاك من خطابته تقدّم سماحته إلى منصّة الخطابة وفند كل ما رمى به الإسلام من الافتراء واخذ في نقد مذهب النصارى وذكر أن أساسه يبتني على أمرين:

أحدهما - مستحيل عقلاً وهو التثليث (ثلاثة أقانيم) اله واحد والواحد بالضرورة لا يكون ثلاثة والثلاثة لا تكون واحداً إلا على التركيب والوحدة

الاعتبارية، والتركيب يقتضي الفقر والإمكان وهو ينافي الوجوب.

أله مركب ما سمعنا بآله لذاته أجزاء

فأين هذا من دين الإسلام دين التوحيد الخالص شهادة ان لا آله إلا الله وان محمداً عبده ورسوله صار عبداً فصار رسولاً بالعبودية.

وثانيهما - خرافة لا تقبلها بسائط العقول وهي: ان لا اله سبط عباده الأشقياء على نفسه فصلبوه ليكفر خطيئة أبيهم آدم وخطيئات بني آدم ثم صار ملعوناً لأنه قال: ملعون كل من يصلب على الخشبة كما هو النص في الانجيل.

ثم أفاض في ذكر مثالب الانجيل وسخافة ما فيهما من المهازيل التي أشار إلى بعضها في كتابه (التوضيح في بيان ما هو الأنجيل ومن هو المسيح؟) الذي طبع جزؤه الأول في القاهرة، والثاني في بغداد - وبينما هو منحدر كالسيل في هذه الأساليب جاء إليه احد أكابرهم وقال: يجب ان تنتهي لان الوقت هنا محدود وقد تجاوز الحد فلم يعبأ به وبقي مستمراً في خطابه فكبسوا على زر الكهرباء وأطفأوا المصابيح وصار الناس في ظلام دامس يسحق بعضهم بعضاً، وأحاطت النصارى به ووقع عليه تريد الفتك به وما نجا إلا بلطف من الله تعالى، وبعد اللتيا والتي خرج من الكنيسة التي كانت اكبر نوادي التبشير وخطيبها (منصور القبطي) المشهور عندهم ونجا من الخطر وعزم على مغادرة مصر آخر صفر سنة (١٣٣١هـ - ١٩١٣م) فالتمسه الشيخ محمد بخيت المطيعي (مفتي الحقانية) على البقاء إلى نصف ربيع الأول كي يشاهد مراسيم الحفلات التي تقام في عيد المولد النبوي الشريف وهو من أيام القاهرة الزاهرة وتقصده السواح من اوربا وغيرها وفي آواخر شهر ربيع قفل راجعاً إلى صيدا وفي آواخر شهر رجب رجع إلى العراق.

ثانياً: الرحلة الجهادية (١٣٣١هـ - ١٩١٣م)

في ٩ تشرين الثاني نوفمبر ١٩١٣م أرسلت السلطات العثمانية من البصرة برقية إلى علماء الدين في المدن المقدسة تخبرهم بخطر الغزو من قبل البريطانيين، وفي ١٤ تشرين نوفمبر الموافق ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٢هـ تم احتلال القوات البريطانية للفاو، وفي ٢٨ من الشهر المذكور تحرك المجاهدون عن طريق بغداد بقيادة كل من شيخ الشريعة (ت ١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م)، والسيد علي الداماد (ت ١٣٣٦هـ - ١٩١٧م)، والسيد مصطفى الكاشاني (ت ١٣٣٦هـ - ١٩١٧م)، وموفدوا المرجع السيد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م)، وهم كل من ولده السيد محمد (ت ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م)، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)، والسيد إسماعيل اليزدي، وبعض الطلبة للتصدي للاحتلال البريطاني.

وحينها بدأت حركة جهاد العلماء أبان الحرب العالمية العامة لمناهضة الاحتلال الانكليزي الذي حاصر العراق بجيشه على مدينة البصرة وقد توجهت جموع المجاهدين بصحبة العلماء نحو محاور متعددة في المدن العراقية، وكانت مساهمة الإمام كاشف الغطاء خلالها توجهه إلى مدينة الكوت تلبية لنداء الجهاد بصحبة شيخ الشريعة، والسيد محمد نجل السيد اليزدي ^{ثُمَّ} وقد حوَصر الانكليز فيه، والقائد يومئذ خليل باشا.

ثالثاً: رحلة المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) :

حيث وردت للإمام كاشف الغطاء رحمته الله الدعوة من المجلس الأعلى في فلسطين لحضور المؤتمر الإسلامي ليلة المبعث فلبى الدعوة وسار ليلة أول رجب وضربت الخيام خارج النجف وخرج العلماء والأفاضل وجميع الطبقات لمشايعته وسارت معه أكثر من ثلاثين سيارة إلى بغداد ونزل الحسينية الكبرى في الكرخ، وبعد ثلاث ليال خطب في احداهن خطبة ارتجالية استغرقت ثلاث ساعات بحفل حاشد ثم سار إلى القدس واستقبله المفتي محمد أمين الحسيني (ت ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م) وجميع العلماء والأعيان ونزل في تكية البخارية التي يتولاها الشيخ يعقوب البخاري بجوار المسجد الأقصى، ثم تتابع مشاهير علماء الإسلام الذين دعتهم اللجنة التحضيرية للمؤتمر من الأقطار الإسلامية من الغرب والشرق وبالأخص من مصر والشام ولبنان وبغداد والهند والحجاز واليمن وايران، كالعلامة السيد حبيب العبيدي (ت ١٩٦٣م) مفتي الموصل، والسيد محمد زيارة ممثل إمام اليمن (ت ١٣٨١هـ - ١٩٦١م)، والسيد رشيد رضا (صاحب مجلة المنار) (ت ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م)، والشيخ نعمان الأعظمي (ت ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)، ومحمد بهجت الاثري (ت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، والواعظ حسن رضا، وفخامة ضياء الدين الطباطبائي رئيس وزراء ايران (ت ١٩٦٩م)، وشوكت علي الهندي (ت ١٩٣٨م)، والشاعر محمد اقبال لاهور الهندي (ت ١٩٣٧م)، وغير هؤلاء من أعلام علماء الإسلام وقد بلغ عدد أعضاء المؤتمر زهاء مائتين ثم تواردت الوفود من فلسطين والأردن والعواصم الكبرى مثل حيفا ويافا ونابلس وجنين وغيرها، حتى بلغ الجميع سبعين ألفاً اجتمعوا كلهم في المسجد

الأقصى، وامتدت صفوف المصلين إلى خارجه وبعد الفراغ من المغرب ارتأى كبراء ذلك الحفل ان يرقى المنبر احد أعضاء الوفد ويخطب في ذلك الجمع ويشغل فراغ الوقت بين المغرب والعشاء، وبعد المداولة وقع الاختيار على الإمام كاشف الغطاء رحمته الله فاتاه سماحة المفتي محمد أمين الحسيني، ومفتي نابلس الشيخ محمد تفاعحة وكان من اكبر علماء فلسطين سناً وشهرةً وصلاحاً ومعهما المراقب في المسجد الأقصى، وطلبوا أن يصعد المنبر ويخطب فاعتذر بعدم الاستعداد ولاسيما في مثل هذا الحشد العظيم الذي يرتج فيه أفصح البلغاء مع التهيؤ والاستحضار فكيف مع المفاجأة، فلم يسمحوا له بالمعذرة ولم يجد بداً من الإجابة فرقى المنبر وذلك الحفل الحاشد كله أبصار شاخصة إليه وآذان صاغية له، والحق أنه موقفٌ رهيبٌ يخرس من هيئته كل خطيب، ولكن لانقطاعه إلى الله - جل شأنه - وطلب المعونة منه أفاض الله عليه ففتح خطبته بقوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ (الاسراء: ١) واستمر يفيض بسحر البيان حول قوله عزّ شأنه: (باركنا حوله)، وذكر أنواع البركة وشرحها بشرح وافٍ ثم قال: ومنها هذا الاجتماع الخطير من الجرم الغفير من مختلف الأقطار النائية والذي لم يخطر على بال ولم يقع في التصور، واستوفى ما هو الغرض منه وما الهدف الذي يرمي إليه والآثار التي ترتبت عليه ومضى على هذا في مُدَّة ساعة ونصف يرتجل الكلمات البليغة ارتجالاً ويوالي بين المعاني المبتكرة سجلاً لم يقف ولم يتلثم في ذلك الحفل الرهيب حتّى جاء وقت العشاء ولوحوا له بذلك، ولولا مزاحمة الفريضة لاستمر في خطابه إلى ما شاء الله؛ ولما انحدر من ذروة المنبر اجتمع أكابر الجمع

يشكرونه وقالوا له: قد تقرر بتصويب الأكثرية أن تكون أنت الإمام والجميع يقتدي بك في جميع الفرائض اليومية ما بقينا في القدس، فتقدم وصلى بهم صلاة العشاء واقتدت به الألوف من الصفوف وصار حدثاً تاريخياً لم يسبق له نظير ولم يتفق أن علماء الإسلام جميعاً على اختلاف عناصرهم ومذاهبهم اتفقوا على الاقتداء بإمام من الإمامية مع تباعدهم عن هذه الطائفة من أول يوم الإسلام إلى هذا اليوم، وكانت له ضجة في الآفاق وصدى بعيد في العالم وحسبت له الدول الغربية أكبر حساب وإذاعته في ساعته الصحف البرقية واللاسلكية.

ثم خطب أيضاً خطبته التاريخية أثناء انعقاد المؤتمر التي طبعت عدة مرات، وبعد خمسة عشر يوماً أمضاها في القدس تجول في ضمنها في حيفا ويافا ونابلس ثم قفل راجعاً إلى جنين وصور فيروت فدمشق وبغداد وفي كل منها تقام له الحفلات والدعوات والتهنئات ويصلي بهم ويخطب فيهم بعد كل فريضة، واستقبله رتل من السيارات من النجف وكربلاء وبغداد من الفلوجة والرمادي، ونزل أيضاً في حسينية الكرخ الكبرى واجتمع الجماهير فيها ليلاً وفيهم جمع من العظماء والوزراء والأعيان والصحافيين والأدباء وخطب خطبة بليغة استغرقت ساعة واحدة استهوى بها الألباب، وخطب في الليلة الثالثة خطبته التي استغرقت ثلاث ساعات، وفي الليلة الرابعة من شهر رمضان ورد كربلاء وخطب في دار السادة آل الشهرستاني في اجتماع عظيم وخطبة عظيمة، وفي الليلة الخامسة ورد النجف وجلس لوفود التهاني في دار آبائه الكبيرة عدة ليالي وتليت غرر القصائد وقد أبدع الشعراء في تهانيه وتفتقت قرائعهم بهذا الفتح المبارك والظفر الكبير، وقد جمع من احسن ما قيل في تلك الحفلات من

أدب الرحلات النجفية لمحة عابرة..... ٢٧

قريض وزجل أكثر من عشرة آلاف بيت وأشادوا وأجادوا في الإشارة إلى إمامته واقتداء علماء المذاهب في المسجد الأقصى كقول الشيخ محمد علي اليعقوبي (ت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) من قصيدة غراء:

قد قدموك أمامهم بصلاتهم علماً بأنك في الأنام إمام
وقبله معالي الشيخ محمد رضا الشيبلي (ت ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) من قصيدة أبداع فيها كل الإبداع:

تقدم إماماً في العلوم مصلياً وقل لصفوف العالمين بي ائتمي
ويقول في جملتها:

رساهضة حلم الحسين محمد فقل هو بحر العلم أو هضة الحلم
ملك ولكن بالجلال متوج وان مثل العليا بصورة معتم
تطرف يسعى للمكارم جده ولم يتكل فيها على الجد والعم

وفي العاشرة من شهر رمضان أقام له سيّد الأشراف المرحوم السيد محمد علي بحر العلوم (ت ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) حفلة باهرة في المسجد الهندي، وخطب سماحته في الجماهير أروع خطبة، وفي شوال أقام له أهالي مدينة الكوفة احتفالاً في المسجد الأعظم في الكوفة حضره أكابر العلماء والوجهاء من النجف والكوفة وخطب خطبته الموسومة (خطبة الاتحاد والاقتصاد).

رابعاً : الرحلة إلى إيران (١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م)

حيث غادر الإمام كاشف الغطاء رحمته الله النجف قاصداً التشرف بزيارة مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في مدينة مشهد المقدسة، وهي أول سفر له، وقد توقف في كل بلدة من إيران وخطب بعد صلاة الجماعة واقتداء علمائها به مثل مدينة كرمانشاه وهمدان وغيرهما، وعاد من خراسان إلى طهران ثم منها إلى مدينة قم، وقام بضيافته آية الله الشَّيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (ت ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) وقدمه ليلة لصلاة الجماعة في الصحن الشريف للسيدة معصومة عليها السلام وخطب بعد الصلاة خطبة أعجب بها علماء قم كل الإعجاب، ثم عرج على مدينة اصفهان وأصيب بنكبة تردي السيارة التي يستقلها من الجبل في طريقه إلى مدينة شیراز فبقي فيها للمعالجة أكثر من شهرين في دار السيد الجليل الرضوي، وصلى في جامعها الأعظم مسجد الوكيل يوم وفاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام واقتدى به جميع علمائها وأهاليها ومن حولها من القرى وصلى بهم صلاة العيد وخطب خطبة باللغة الفارسية، وأخرى باللغة العربية.

وفي أوائل شهر ذي القعدة خرج من شیراز إلى كازرون ثم إلى بوشهر وأبحر منها إلى المحمرة وعبادان وبقي ثلاثة أيام في المحمرة وصلى وخطب فيها وفي حسينية عبادان، ثم توجه إلى البصرة فاغلت أسواقها وهرعت على بكرة أبيها لاستقباله على حدود إيران وفي طليعتهم المرحوم العلامة الشَّيخ عبد المهدي المظفر (ت ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م)، ونزل في داره وصلى وخطب في مسجد مقام أمير المؤمنين علي عليه السلام، وثانية في جامع الإمام ثم توجه إلى الناصرية بالقطار وصلى وخطب في جامعها وكان في ضيافة الوجه الحاج طالب ومثل ذلك في

الديوانية والحلة حتّى وصل النجف.

ولابد من الإشارة إلى أنّ زيارته إلى إيران تعددت بعد هذه الزيارة ففي سنة (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م) سافر مرة ثانية عن طريق مدينة كركند القريبة من قصر شيرين بحدود العراق وكانت له التفاتة طيبة فقد اطلع على مسجد لم يبق من آثاره إلا تل من التراب فسعى إلى تشييده بأحسن بناء وما خرج من البلد حتّى صلى فيه جماعة عشرة أيام، وجاء من أهالي كرمانشاه جمع غفير من تجارها وأخبارها يحملون الأعلام بالتهليل والتكبير قبل طلوع الشمس من يوم عيد الفطر، فصلى بهم صلاة العيد وخطب بالفارسيّة أبدع خطبة وصنع لهم وليمة فاخرة الزعيم أمير احتشامي.

وكانت له سفرة ثالثة إلى إيران سنة (١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م) لزيارة الإمام الرضا عليه السلام وكان بضيافة السيد صالح الشهرستاني (ت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م) وفي الإياب عند سيّد العراقيين وقد كان الاحتفاء به على المستويين الشعبي والرسمي بحفاوة بالغة.

خامساً: الرحلة العلاجيّة إلى لبنان (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م)

حيث وصلها لمراجعة الأطباء والاصطيفاء بربوعها، وحل ضيفاً عند الزعيم أحمد بك الأسعد، وقد احتفلت به الأوساط العلميّة والشعبية وعقدت ندوات ومحافل بحضوره.

سادسا: الرحلة إلى باكستان (١٣٧١هـ - ١٩٥١م)

وردت إليه دعوات متكررة من علماء باكستان فأجاب الطلب خاصة وأنها دولة إسلامية حديثة، فشحخص إليها رغم ما ألم به من وهن وضعف، وكثرة انشغاله بمهمات مرجعيته ومسؤولياته الواسعة، فتوجه إلى بغداد ثم منها إلى البصرة حيث سافر بالطائرة إلى كراحي فاستقبله في المحطة أكابر علمائها، ثم خطب في مؤتمر العلماء خطبة عصماء ترجمت إلى سبع لغات في الهند وطبعت بالعربية، وكان لها أكبر الأثر في عموم الهند، ثم رغبت إليه الحكومة الباكستانية أن يتجول في كبرى بلدانها بضيافتها، فتوجه إلى مدينة لاهور ثم إلى راول بندي ثم إلى كشمير الحرة (مظفر آباد) ثم إلى بيشاور ثم عاد إلى كراحي ومنها آب عائداً إلى البصرة فبغداد ووصل النجف بعد أربعين يوماً.

وحينما نستقرئ هنا هذه الرحلات التي قام بتحمل ثقل أعباء السفر فيها الإمام كاشف الغطاء فانما نكتشف مدى تطلعه إلى اكتشاف واقع الأمة الإسلامية والعربية آنذاك والشعور بما تحتاجه المجتمعات فيها من حلول للمشاكل، وما تعصف بها من ظروف صعبة مليئة بالمحن والفتن خاصة وأن الفترة الزمنية التي تنقل بها كانت تمثل أهمية كبرى لما كان يستجد على ساحاتها من مؤامرات ومكائد تحاك من قبل الدوائر الاستعمارية بغية الوقوف تجاه حركة النهضة واليقظة في عالمنا الإسلامي وتأخير عجلة التقدم والتطوير على المستوى الفكري والعملية بمختلف توجهات الطموح الرائد التي كان للإمام كاشف الغطاء أمله الكبير بتجاوز الواقع الأليم الذي آلت به إلينا اليوم الفجائع والكوارث التي تحرق الحرث والنسل.

سابعاً: الرحلة الأخيرة إلى إيران (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)

كان لشعوره الفيّاض بثقل المسؤولية التي تحمّلها من خلال زعامته الدينيّة ومرجعياته المتميّزة ومعالّمها في التصدي لمواجهة التيارات الضالة والحاكمة على الشيعة والتشيع، وإحساسه بالواجب الديني في التوجيه والتعاطي مع الأحداث بروح الإخلاص والتضحية والتفاني المبدئي - شأن أساطين المرجعية الدينية - كل ذلك فضلاً على إصراره بانجاز أعماله وما اعتاد عليه مما سبب له الإجهاد بالإضافة إلى شيخوخته، فكانت هذه العوامل سبباً في تردي صحته مما اضطر الأطباء بالنصح والاشعار له بضرورة إخضاعه للفحوصات فادخل مستشفى الكرخ ببغداد قبل شهر من وفاته، ثم لظروف فسرت بخضوعه للنقاهاة والإبلال من المرض - بالرغم من امتناع الأطباء عن السماح له بالخروج - كان ان سافر الشيخ إلى إيران ليلة السبت ١٦ شهر ذي القعدة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م فوصل إلى قرية (كرند)، ومن أروع ما نستذكر هنا استمرار دفقه الأدبي وعدم نضوبه بعد ان اشغلت الزعامة الدينية، ففي هذه السفرة على قصرها وجلوسه على عين فوارة أهاجت حسّه الأدبي فانطلق يغرد بقصيدة تعرب عن خواطر عميقة في حياته، وبعد نظمه لها بعشر ساعات فاضت روحه وقد بدأ النظم بقوله: (إنّ قريحة الشاعر كعين الماء ان استعملت فارت وان اهملت غارت)، وقد اخترنا من القصيدة بعض الأبيات :

يدهش اللب من كرنـد جبال	مثل قلب البخيل جلمود صخره
كم دروس منها استفدتُ فكانت	فكرة ثم عبرة ثم عبـره
يا جبال الأجيال والـدهر يعدو	للفنا وهي في البقا مستقره

وقفت والزمان يمشي عليها راکضاً وهي في البقا مشمخره
إلى قوله:

إنَّ هذا الوجود بحرٌ ولكن أين مَنْ في الوجود يسبر قعره
ولهذي الحياة معنى ولكن علنا بالمات نعرف سره
وما ان مضتْ عليه ليلتان فيها حتّى اعتراه عارض مفاجيء ارتحلتْ روحه
الزكية إلى بارئها راضية مرضية صباح ليلة الاثنين ١٨ ذي القعدة ١٣٧٣هـ ونقل
جثمانه إلى بغداد وحمل على أعناق المؤمنين بحضور مهيب وفي مقدّمته
مختلف الطبقات الرسميّة والشعبيّة من منطقة السيّد سلطان علي إلى محطة
القطار متوجهين به إلى كربلاء وكانت مدينة متأهبة ومتحمسة تموج بالازدحام
من المشيعين ومواكب العزاء، وكذلك حين وصول الموكب إلى مدينة النجف
الأشرف حيث دفن في مقبرته الخاصّة التي أعدها في وادي السلام، وطويت
بموته صفحة مشرقة بالعظمة والاصالة العلميّة والأعمال الصالحة، وانطوت بفقده
راية الإصلاح والجهاد الديني ومن الحق لعظم المصاب ان نختار بعض ما أرّخه
الشيخ علي البازي بقوله:

هتف النعي بفقد من كشف الغطا للمسلمين وقد اذيع بيانه
فتنكّست أعلامها لمصابه واغبر من افق العلى كيوانه
وتعطّلت أحكام شرعة أحمد والدين أعول مذ قضى عنوانه
والشرع أذهله المصاب ووقعه إذ جليته بالشجى اشجانه
كتب القضاء مُذْ أرخوه (ببابه بعد الحسين تهدمت أركانه)

الميزات الفنية للرحلة:

ومن استقراء فصول الرحلة الحجازية الممتعة (نهضة المسافر ونزهة المسامر) في اطار الأسلوب الذي سجّله الشيخ بما كان يضيفه من براعة بيانه الفني واستعمال السجع الذي هو كالسهل الممتنع، والوصف البارع والإشارة إلى بعض المعاني والملاح العرفانية مع امتياز الرحلة بالمذاكرات العلمية والمباحثات التي توفرت أسبابها بوجود أستاذه الشيخ المازندراني، وتدوين ما اطلع عليه الشيخ من التعرف على المشاهد والمزارات والمساجد لأهل البيت عليه السلام وللصحابة والأولياء، كما تضمّنت نظم الأبيات أو القصائد الشعرية في موارد متعددة، وكان الشيخ يبادر بنفسه إلى الاستطلاع شخصياً بما يحكيه مثلاً لما يشاهده فيقول: (ولا تسل عن انبهار البانبا والاكتار من تعجبنا وما ادري ماذا اصف وماذا أقول .. ومهما كتب البليغ أو قال فما هو ببالغ إلى الحكاية عن بعض صورة الحال ... وفي أوّل هذا الموضوع اقنعت زميلي فنزلنا وترجلت من قبتي الخشبية وبقيت أ تأمل وأتصفح واتفحص وأعجب وأبتهر من عمل الطبيعة بأمر ربها ... ^(١) الخ.

حيث يمكن ان نلخص استعراضنا لما امتازت به بما يلي:

أولاً: اهتم الشيخ بالاستطلاع في كل مدينة أو قرية يدخلها ويسجّل بدقة واستيعاب موارد واستنتاجات وربما مقترحات كما أشار لها في رحلته، حيث يثبّت في أسلوبه الأخاذ إفادات جغرافية وآثارية وتاريخية، ومنها عندما مرّ على مدينتي هيت وعانة قوله: (واقسم لو أنّ أهل العراق أمعنوا واكبوا على هذه البقاع واستصلاحها واستخراج ثمراتها لأوجبت لهم الثروة الطائلة على سائر الأمم

(١) ينظر: ص ٦٧ من الكتاب.

ولكن - أصلحك الله - أين وأهل العراق اليوم أحوج من تلك المعادن التي في تربتهم إلى مَنْ يقوم بتربيتهم ويعنى بصالحهم ويسعى في تقويم أودهم في انفسهم...^(١)

ثانياً: وأشارته الهامة إلى افادته من هذه الرحلات حيث يعبر عن ذلك (وحصل لي من الفكرة والعبرة هناك ما لم يتهيأ لي في مطالعة الكتب ومراجعة الكتب على ممر السنين وطول الليالي والأيام)^(٢).

ومن ذلك قوله (وكانت الشمس قد أزفت ان تغيب فانتهيت إلى عينين هناك شاهدتُ فيهما عجائب الحكمة وغرائب القدرة وسبحت لرب الطبيعة كل جوارحي وأعضائي وحواسي ومشاعري ...).

ثالثاً: مما تميّزت به هذه الرحلة تواصل الشيخ كاشف الغطاء في أثناء السفر بالمذاكرات العلمية التي توفرت له من خلال الحوار بينه وبين احد الأعلام الذين صحبهم وهو الشيخ المازندراني^(٣) وقد تضمنت محاور متعددة في العقيدة والتفسير والفلسفة والفقه والأدب.

رابعاً: ارتسمت على ما دوّنه الشيخ في رحلته سمات الفصاحة والبلاغة في الأسلوب والتعبير والأداء البارع في براعة التدوين وسلاسة العبارة وإيضاح الفكرة ودقة الملاحظة مما هو معلوم لمن توفر لدراسة هذه الجوانب الفنية

(١) ينظر: ص ٦٦ من الكتاب.

(٢) ينظر: ص ٦٧ من الكتاب.

(٣) من اساتذة الشيخ كاشف الغطاء ترد ترجمته في الرحلة.

خاصةً للدارسين لسيرته الفكرية والمعنيين بتسجيل الحياة الحضارية في عصره في ضوء افاضاته ومقالاته وخطبه ورسائله وكتبه بما عُرف عنه في التميز والإبداع من جوانب ألمعيته التي انفرد بها عن أقرانه في المكانة العلمية بما كان يمثل نسيجاً وحده، فقد كان يعد من ابرز أئمة البيان في عصره الذي ربما لا وجود بهم الزمان إلا نادراً.

خامساً: في غضون صفحات الرحلة سنكتشف أن الشيخ كاشف الغطاء كانت له محطات تأمل فيها مستعرضاً ما عَنَّ له مشاهدته لأمكنة مرَّ عليها في طريقه ووقف عندها واصفاً لما حلتُ فيها من مقامات ومزارات لأهل البيت (عليه السلام) ومنها: مقام كف الإمام علي (عليه السلام) في هيت ، ومقام الإمام (عليه السلام) في الزاوية قرب آلوس، ومقام آخر في منطقة نهية، وما شاهده في الجامع العمري الذي أفاد بأنه تفوح فيه نصف الليل ونصف النهار عند الظهر رائحة طيبة وذلك لأنَّ رأس سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) قد وضع فيه من نصف الليل وارتحلوا به نصف النهار حين ساروا به إلى الشام.

ومما أشار إليه (عليه السلام) بمشاهداته في الحجرة النبوية بوصف دقيق ومن ذلك ما يصف به ناحية الوجه الشريف بوجود فوهة مفتوحة من الستار أطول من شبر تتكشف عن مشكاة في الصندوق الشريف فيها جملة من الجواهر النفيسة منها (اليتيمة المعروفة) وهي بقدر بيضة الحمام تتلألأ في الليل من أضوية داخل الحجرة تلالاً باهراً، ومكتوب فوقها هذا قبر رسول الله ... ثم يشير إلى قبر الصديقة الزهراء (صلوات الله عليها) في صندوق مستقل خلف الظهر عند الرجل

داخل الحجرة قبالة بابها وتحت الرجلين عرض اسطوانة في طول أربع. وهناك مقام جبرئيل وبابه ومهبط الوحي وبيت النبي ﷺ منه إلى موضع قبره الشريف عرضاً، وإلى قبر بضعته الزهراء ؑ طولاً وبيت أمير المؤمنين ؑ من موضع قبر الصديقة الزهراء ؑ إلى باب النساء عرضاً وبين بيته وبيت النبي فاصل قليل بقدر عنزة كما ورد في بعض الأخبار - والعنزة أطول من العصا واقصر من الرمح - .

سادساً: وقد قام بعمل إحصائية دقيقة للمحطّات التي كان يمرُّ عليها القطار حينما استقله بسفره من المدينة إلى سوريا.

وأما المذاكرات العلميّة التي اشرنا إليها فيمكن اجمال عناوينها إلى:

- ١- مسألة علم الله تعالى بالحوادث والجزئيات مع تغييرها وتبدلها.
- ٢- مسألة أنّ الحقّ - جل شأنه - الوجود المطلق بشرط لا أو مطلق الوجود لا بشرط.
- ٣- دليل التضايف.
- ٤- مذاكرة في تفسير آية الحجّ (ولله على الناس ...) .
- ٥- مباحثة في مسائل الحجّ بكتاب الدروس للشهيد الأول.
- ٦- مذاكرة في استطاعة النذر.
- ٧- افادة في فلسفة معنى الوجد وحقيقته وما في التوديّة من الحكم والأسرار في الجبال.
- ٨- مسائل الشافعي في المسح في الوضوء، والاستحالة، ودليل المتعة، والرؤية لله تعالى، ومسألة الوحدة الإسلامية، ومذاكرة عن شعر الإمام الشافعي في أهل البيت.

٩- تأملات في ديوان حافظ الشيرازي (لسان الغيب) وإنَّ الله تعالى علمين مخزون ومكنون وعلم متصل بسلسلة الأسباب والمسببات والعلل والمعلولات.

١٠- مذاكرة حول مسألة الأسماء الألهيّة والصفات الربوبيّة.

١١- شرح الحديث القدسي (كنت كنزاً مخفياً...).

١٢- شرح حديث (حُب إلي من دنياكم ثلاث).

١٣- مناظرة مع احد الاسماعيليه البهرة من اليمن.

١٤- مذاكرة مع السيد محسن الأمين في دمشق حول جواز اجراء عقد البيع بالفارسيّة، ومسألة النون في قوله تعالى (واياي فاتقون)، ومسألة عن آية الوضوء.

١٥- مذاكرة في عمرة التمتع.

١٦- مسألة الأسماء والصفات وحدوثها وقدمها.

إلى غير ذلك من الافاضات العلميّة.

وخشية الاطالة أود ان احيل الأخ القاريء الكريم إلى ما تضيفي عليه قراءة (النهضة) الغالية بما يسعده من (نزهة) وبهجة تدخل القلب وهو يتنقل بين سطورها التي أبدع بصياغتها القلم الخالد بأسلوبه السهل الممتع الممتنع، وبيانه الرائع، وبلاغته الرائقة بما عرف به بين الأوساط العلميّة وما عمّت الآفاق شهرته وثرائه.

وأخيراً وليس آخراً ارفع اكف الضراعة للمولى القدير بالتسديد والتوفيق
وحسن الختام لما فيه خدمة العلم والعلماء.

مع تقديم الدعاء والشكر للأخ الفاضل الشيخ أمير كاشف الغطاء - حفظه
الله - على صبره وتفانيه في خدمة تراث الآباء ولحسن ظنه بالداعي المحب ..

محمد جواد الطريحي

العتبة الحيدرية الشريفة (على مشرفها الصلاة والسلام)

غرة شهر رمضان المبارك ١٤٣٥ هـ - ٢٩ - ٦ - ٢٠١٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبِّ يَسِّرْ بَعُونَكَ وَمَعُونَتَكَ.

بين يدي القاريء الكريم رحلة احسب أنّها من أهم كتب أدب الرّحلات عن مدينة النجف الأشرف - ينبوع العلماء والمجاهدين ومدرسة الشيعة الكبرى - وقد رأيتُ من واجب الوفاء أن أقدمها لما احتجنت بين دفتيها من معلومات علميّة وأدبيّة وأخرى عقائديّة.

ولم اشأ أن أترجم لمؤلفها الإمام الشيخ محمّد الحسين كاشف الغطاء (قده) فهو - كما احسب - لا يحتاج إلى تعريف، وقد كتبتُ عنه الكثير من الدراسات الرصينة، ونوّهت بشخصيته العديد من كتب التراجم، والأدب... .

عنوان هذه الرّحلة :

قال الشيخ كاشف الغطاء في كتاب (عقود حياتي): (... وكتبتُ في سفري هذا رحلتين إحداهما:

عامّة سمّيتها (نزهة السفر ونزهة السمر) ونسختها موجودة عندنا لم تطبع لهذا التاريخ.

والثانية: خاصّة في مصر وما شاهدتُ فيها من العجائب والآثار، ومنّ لقيتُ بها من العلماء والأدباء، وهي رحلة نفيسة أخذها مني بعد رجوعي من مصر إلى بيروت (باترماولي) صاحب (جريدة المراقب) لينشرها في عدده الممتاز، فشئق

مع شهداء سوريا بظلم جمال السفاح، ولم تكن عندي نسختها وبالأسف إنها ذهبتُ سُدى، واستمر سفري هذا الذي خدمتُ فيه الدين والعلم والأدب خدمات جلى زهاء ثلاث سنوات...^(١).

وقد ذكر الشيخ محب الدين الخطيب شيئاً عن رحلة الشيخ إلى مصر في تحقيقه كتاب (المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال) ١٨٨ - ١٨٩، نذكر نصّه مع تحفظنا على ما ورد فيه من رؤى تكذيبها الشواهد، قال: (زار القاهرة قبل الحرب العالمية الأولى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكنتُ أنا وهو في صدر شبابنا، فكان يتردد يوماً على مكتبنا وكانت حينئذ في شارع عبد العزيز؛ لأن نزعة العروبة كانت تجمع بيننا وكان يملئ عليّ ما ينظمه في شكوى العرب من الترك.

ومن ذلك قصيدة له:

ويا ليوث تغلب ووائل	فيا قریش الحمس يالغالب
وما أفادوكم سوى التخاذل	ما ترك الترك لكم حمية
بسلة البيض وهز الذابل	ألا مساعير يثورون لها

وهي طويلة.

وتعرّف عندنا بشيخنا الشيخ طاهر الجزائري وأحمد تيمور باشا (رحمهما الله) فدعانا أحمد تيمور إلى قضاء يوم في منزله بعين شمس، وفي أثناء السمر هناك توسع كاشف الغطاء في الحديث عن أدباء الشيعة ومؤرخيهم وشعرائهم، وافتخر

(١) عقود حياتي: (٩٩ - ١٠٠).

بان عددهم أكثر من نسبة عدد الشيعة إلى مجموع أهل السنة، فقال له الشيخ طاهر: ليس العبرة بكثرة عدد الأدباء والمؤرخين والشعراء، بل بكثرة من يقيم الحق ويتحرّاه صادقاً مخلصاً أينما ذهب به الحق ولو خالف مذهب طائفته، قال الشيخ طاهر: ونحن قد راقبنا سيرة أهل العلم والأدب في مختلف الطوائف فرأينا أكثر ما خولف به الحق تعصباً وتعنتاً كان من ناحيتكم؛ بل لاحظتُ أنَّ كل أديب ومؤرخ منكم يرى فرضاً عليه أنَّ يخترع ما لم يسبقه إليه سلفه من خبر موضوع أو قصّة مخترعة تشويهاً لسيرة السلف، فإذا رجعنا إلى الكتب المتقدّمة عليه لا تجد لذلك أثراً، فكان الواحد منهم يرى من زكاة تشيعه أنَّ يخترع ما يشين سيرة خيار المسلمين ليتناقله الناس بعده ويحسبه الجاهلون حقاً. ولو شئنا أنَّ نعد في رجالكم من تنطبق عليه هذه الأوصاف لا نكاد نجد أحداً^(١).

وقد وقفتُ على جملة من مراسلاته مع أعلام مصر، وفيها ذكر شيئاً عن رحلته إلى مصر والدرس في حوزتها.

وللرحلة التي نقدّمها أسماء متعددة منها: (نهضة السفر ونزهة السمر، ونزهة المسامر ونهضة المسافر، والرحلة الحجازية).

وفي كتاب (الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية) قال عنها في الهامش مانصّه: (وقد ذكرنا بعض هذا الكلام في هذا الحديث في رحلتنا الحجازية

(١) ظ: (المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض أهل الرفض والاعتزال وهو مختصر "منهاج السنة"). تأليف: تقي الدين أحمد بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ)، اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨هـ)، حققه وعلّق حواشيه ووقف على طبعه (محب الدين الخطيب).

الموسومة بـ(نهضة الأسفار ونزهة السمار)^(١)، وفي كتابه (الآيات البينات في قمع البدع والضلالات) قال: (سانحة سفر ومانحة ظفر، في رحلتنا الحجازية التي أنشأها لحج بيت الله الحرام ولنشر الدعوة الإسلامية...) ^(٢).

والمشهور والشائع الغالب في تسميتها (نهضة السفر ونزهة السمر)، وهو ما اخترناه عنواناً لها.

وقد اشار الشيخ الطهراني إلى هذه الرحلة في كتابه (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) إشارة عابرة وبسيطة أحال فيها إلى كتاب الدين والإسلام ^(٣)، وأشار إلى أن الشيخ الطهراني صاحب (الذريعة) لم يذكر الكثير من مؤلفات الشيخ كاشف الغطاء المطبوعة والمخطوطة في كتابه (الذريعة)، وربما عاد السبب إلى عدم وقوفه عليها.

وصف النسخة

النسخة المعتمدة في التحقيق

١- اعتمدت في تحقيق هذه النسخة على النسخة المحفوظة في خزانة مخطوطات مكتبة المؤلف العامة برقم (١١٦٠)

نستعيق، بخط المؤلف رحمته، سنة ١٣٣٠هـ = ١٩١٢م، كتبها على أوراق مختلفة، وقد سلّمت - والحمد لله - من طوارق الحدثان، عدا سقوط نصٍّ منها أشرت إليه

(١) ظ: الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية، ١: (٢٧٧).

(٢) ظ: عقود حياتي (٩٩ - ١٠٠).

(٣) ظ: الآيات البينات في قمع البدع والضلالات (رد الملاحدة والطبيعية) ص ٢٢.

في محلّه، وفيه وصف لرجوعه من المدينة ودخوله إلى الشام.
الصفحات الأربعة استنسخها مرتين، كتب على الصفحة الأولى أبيات
للحماني علي محمد العلوي الكوفي (ت ٣٠١هـ = ٩١٤م)، وإسحاق بن إبراهيم
الموصلّي، وبعد صفحات كتب أسم الرحلة (نهضة المسافر ونزهة المسامر) ثم
كتب الآية الشريفة (قل هو الذي يسيركم في البر والبحر)، عليها علامات
الشخط على بعض الكلمات والعبارات وتصحيحها، كما أضاف بعض الهوامش.
عليها ختم صاحب (الحصون المنيعّة) البيضوي، وختم مكتبة ولده الشيخ محمد
الحسين كاشف الغطاء.

٩٥ق. ٢١س مختلف. ٢١،٥ طول مختلف × ١٣،٥سم عرض مختلف.

٢. النسخة الثانية في كشكوله (الكناشة) وهي غير تامة.

منهجية التحقيق:

- ١- تخريج الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة الواردة في النصّ.
- ٢- ضبط النصّ والتعريف بإيجاز بالأماكن الواردة فيه، وبحسب ما تيسر لدي من مصادر.

٣- التعريف بالأعلام والكتب الواردة في النصّ.

٤- وضع العناوين المناسبة لفقرات النصّ.

٥- وضع الفهارس الفنيّة للأماكن والأعلام.

شكر وتقدير

مكتب سماحة الإمام السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) في النجف الاشرف.

فضيلة الشيخ الوالد الشيخ شريف كاشف الغطاء (حفظه الله).

ومن واجب الشكر والامتنان الشكر والتقدير لكل من ساندني وساعدني في تحقيق هذه الرحلة وأخصّ بالذكر منهم:

الأخ الاستاذ الفاضل محمّد رضا القاموسي لمواكبته ومتابعته معي في التحقيق، والاستاذ الدكتور عباس هاني الجراح، والأخ العلامة السيّد عبد الستار الحسيني الذي أفدتّ منه بعض الملاحظات.

وجزيل الشكر للأخ الدكتور محمّد جواد الطريحي على تفضّله بكتابة مقدّمة الكتاب، وسماحة السيد مهدي البحراني والاستاد حيدر الجد.

الأخ الأستاذ المحقق الفاضل عبد العزيز العال الذي زودني الكثير من المصادر المهمّة وبخاصّة الكتب التي عنيت بمعالم الحجاز، والأخ المحقق الاستاذ أحمد علي مجيد الحلبي.

وفقنا الله لإحياء تراثنا ومنه نستمد العون والتوفيق.

نماذج من النسخة المعتمدة

مكتبة لادكا كاشيت الخطاء العجوة



نزهة السافر ونزهة السامر

كتبة الانعام

مكتبة لادكا كاشيت الخطاء العجوة

النجف الاشرف - العراق

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

مكتبة لا إله إلا الله كشف الغطاء العجوة

مكتبة الامام
مكتبة الحسين بن علي كاشفة الغطاء العامة
الجزء الاثني عشر - المجلد
الطبعة سنة ١٣٠٠ هـ - ١٩٨٢ م

الحمد لله الذي سار

بسم الله الرحمن الرحيم هو الذي بيّن في القرآن الكريم
واذن في الناس بالحق يا ايها الذين آمنوا وعلو كل صاعرباين من كل فج عرس
اذا كنت معينا بامر نبيك فاعصوا واطيعوا والتواكل من مثل
تواكل وحمل اهلك الله ما تراء به يايتك فاقع بن الفضل
خرجنا من النجف يوم السبت وذهبنا لبحيرة الحرام فوقع يوم السبت من شهر المبارك
حيث شرفنا بلتم اقباب الشهداء وخرجنا من كربلاء عصر الخميس شوال حتى شرفنا اقباب
الامامين الكاظمين ثم وبعد ساعة الاستراحة وعبادة الاستماع غلبنا عن البحر فزنا
على البر ودخلنا في حل الحاج عظيم ودش حيدر من اهل الكاظمية بمقطع ثمانية وثلاثين ليح
على حقل الخشبين لغرض مع حل وزيارة اسباب من الكاظمية على تمام المعاني كذكر المشرفة
دعت قهينة لارز سفر الكرم من الحجام والقرنويات والمزاد والابواب وغيرها ما يقول بيانه
وتلك مشنوشة لب جمعها ولم يجمع الا يتفرعها على
وفيها راجع الحاشية من شوال ضربا بجمع خارج واحضرت الرجل المراهلة والقامل الزامل
وخرجنا ليلة الجمعة بعد وادع الامامين والالقاء في طلب النجاشة الى الجبل شربها فجلسنا في
خارج الخيم ملك العيشة وقها حضرت لارز الشريفات لارز من الحجابي والفرس
واقبل المديون من ذوي الشرف والنجابة من اهل قبيلة الكاظمية على اختلاف الاصناف
من العلماء والافاضل والتجار والافاضل وفي ذلك اليوم تحركت عزم بعض الشبان من اهلنا
من عائلة الجبل فالتقى بنا هو والدته ودخل في ايا لينا وحملنا على السليم والرضا بجل النقاد
فكانت عناية وتوفيق من الجبل في دعوة ولم يكن بين نيتة وعزمه سيره وعزمه الا
سويغات وجاء معه من بغداد جماعة من المشيعة فبقينا ملك الليل في الودعة والشيخ
والسهر السهر الى الافة الى دس من الليل وريثا دسنا على الارض جنوبنا طلب الاحد
وقبل ان تطلى على الكرم جفونا اقمنا قيام العطار واصوات الطعن لمل الاثقال

مكتبة لاداء كاشف الغطاء العمة

تتبعاً لما قرئ في إنباع الزينة وجنس الملقحات والجنات
 في طلب دوزخ وإجن ، وقد عرفت على ما مر جداً كثيراً من الضم
 والاولع والصعاف المرسوة كلها بإنباع هرايب ساس
 السليم من بين حديث اوية او قفا لمع في ذلك مدهم او
 موعظه او حكم وكذا ، بانفس مخطوط وجود الخاضع الجيب
 من عطاءه البالغ (ع) الدنيا للبل عز الانص (الطل)

ومن المصطفى عليه السلام
الحالب الرزق من غير حيلة
الرزق يأتيه من غير طلبه
ومن راجى ذلك كفة الطامع ما هو مرفى بالزور في الباب
كسبته التي تنفعه ذلك السعد الراي في شغوه
بالأخلاق من القس التي زفت وأعطتهها من الزور في رعاها
الرشا في فساد من نعم عطية بيتنا الخير جاحدها
ومن المايح لآفة الهلث والعام حلاوت الدنيا فيهم
الحبات الشهور البربر الشيمع صاحب من عده تفره
الشهر من وهم مرفوعة جود الألام والفرح لخط واهي الزينة
قد كانت بها محطتي له وكن ذكرته في سبب يوم
لوسل المرفوعة ما سلاها وكين أن نعم القام بها عينا
المارة خزان برزق له والفرح من امرها ناسن الحكة التي

[illegible]

عكس الامام
محمد الحسین آل کاشف الغطاء العامة
الغف الاثف - العراق
است سنة ۱۳۰۰ هـ - ۱۸۸۲ م

اللهم باسمك الساري السائر

الباطن الظاهر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة يونس، من آية ٢٢]

قال سبحانه من قائل لخليله إبراهيم عليه السلام:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾

[سورة الحج، آية ٢٧]

قال الشاعر العربي القديم:

إذا كنتَ معنيًّا بأمرٍ تريدهُ فما للمضاءِ والتَّوَكُّلِ مِنْ مِثْلِ
تَوَكَّلْ وَحَمِّلْ أَمْرَكَ اللَّهُ إِنَّ مَا تُرَادُّ بِهِ يَأْتِيكَ فَاقْنَعْ بِذِي الْفَضْلِ^(١)

النَّجَفُ الْأَشْرَفُ - كَرْبَلَاءُ الْمُقَدَّسَةِ - الْكَاظِمِيَّةُ الْمُقَدَّسَةُ

خرجنا من (النَّجَفِ) بعون الله تعالى وتسهيله؛ لحجِّ بيته الحرام ضحوة يوم السبت ٢٩ من شهر الله المبارك سنة ١٣٢٩ هـ^(٢)؛ حتَّى تشرفنا بلثم أعتاب سيِّد

(١) البيتان لظالم بن عمرو (أبي الأسود الدؤلي) ت ٦٩ هـ.

أنظر: (الأغاني ١١: ١٠٥ و ١١١، وديوان أبي الأسود الدؤلي ٢١٠).

(٢) ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م.

الشهداء عليهم السلام، وخرجنا من (كربلاء) عصر الخميس ٤ شوال حتى لثمنا أعتاب الإمامين الكاظمين عليهم السلام، وبعد مساعدة الاستخارة ومعاودة الاستشارة عدلنا عن البحر وعزمنا على البر، ودخلنا في حمل الحاج عطية دوش - حملدار^(١) من أهل (الكاظمية) - بمقطع ثمان وثلاثين ليرة على حمل الراحلتين الخشبيتين لنفرين مع حمل وزنة أسباب^(٢) من (الكاظمية) إلى تمام العمل في (مكة المشرفة).
وعَبَّ تهيئة لوازم سفر البر من الخيام والقريوغات^(٣) والمزاد^(٤) والأزواد^(٥) وغيرها مما يطول بيانه.

وتلك سُؤُونَ شَتَّ اللَّبَّ جَمْعُهَا ولم تجتمع إلا بتفريقها مالي^(٦)

الخروج من الكاظمية المقدسة

وفي نهار الخميس الحادي عشر من شوال ضربوا الخيم خارج [البلدة]، وأحضرتُ الرحل والراحلة، والزوامل^(٧) والزاملة^(٨)، وخرجنا ليلة الجمعة بعد وداع الإمامين والالتجاء في طلب النجاح إلى الله - جل شأنه - بهما، فجلسنا في

(١) الحملدار: المتعهد بالقافلة وإدارة شؤونها.

(٢) الوزنة: هي من المقادير والأوزان باصطلاح أهل العراق ومقدارها ٢٤ حقة، والأسباب: أسباب السفر من اللوازم والحاجات التي يحتاجها المسافر.

(٣) القريوغه (القريولة): كلمة تركية تطلق على الأريكة المستخدمة للنمام، والجمع قريولات.

(٤) المزاد: اناء حمل الماء وحفظه أثناء السفر.

(٥) الزاد (الزواذة): ما يتم حفظ الطعام فيها أثناء السفر.

(٦) لم أعتز على قائله.

(٧) الزوامل جمع الزاملة: وهو البعير المزمل بالأحمال.

(٨) زاملة: متاع.

خارج المخيم تلك العشيّة وقد أحضرت لوازم التشريفات للزائرين من الجاي^(١) والقهوة، وأقبل المودّعون من ذوي الشرف والنجابة من أهل بغداد، والكاظميّة على اختلاف الأصناف من العلماء، والأفاضل، والتجار، والأفاضل^(٢)، وفي ذلك اليوم تحرّك عزم بعض الشبان من أرحامنا من عائلة (آل كُبة)^(٣) فالتحق بنا هو ووالدته، ودخل في ايلتنا وحملنا على التسليم والرضا بكل ما لنا وعلينا فكانت عناية وتوفيق من الله - جلّ شأنه - في دعوته؛ ولم يكن بين نيّته وعزمه، وبين سيره وجزمه إلاّ سويّعات، وجاء معه من (بغداد) جماعة من المشيخين فبقينا تلك الليلة في المودعة والمشايعة، والسمر والسهر إلى الساعة السادسة من الليل (غروبية)، ورثما وضعنا على الأرض جنوبنا طلب الراحة، وقبل أن تنطبق على الكرى جفوننا، أقعدنا قيام القطار وأصوات الظُّعُن لحمل الأثقال، فودّعنا مَنْ بات معنا هنالك من الخاصة، وركبنا بتسهيل الله - جلّ شأنه - والاتكال عليه، وسرنا في السابعة من تلك الليلة، وأخذنا على نقطة المغرب من (الكاظميّة) بخط،

(١) يريد (الشاي) لا بالجيم الفارسية، وأصل التسمية غير عربية.

(٢) كذا وفيها تكرار.

(٣) آل كُبة: من الأسر العربية العريقة بالمجد والسؤدد ينتهي نسبها إلى ربيعة، ويرجع عهدها إلى أيام الدّولة العباسيّة، ولرجالها يد بيضاء في تشجيع الحركة الأدبيّة، وكانت أفراحهم واطرأهم مواسم أدبيّة وأسواق عكاظية تتسابق فيها الشعراء، وألف فيها السيد مهدي بن داوود الحلبي (ت ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م) كتاباً سمّاه (مصباح الأدب الزاهر)، وألف ابن أخيه السيد حيدر الحلبي (ت ١٣٠٤هـ - ١٨٨٦م) كتابيه (دمية القصر في أدباء العصر)، و(العقد المفصل في قبيلة المجد المؤثّل)....

ظ: (ديوان السيد موسى الطالقاني ص ١٤).

والدته من (آل كُبة) وهي بنت الوجيه جعفر كُبة، كانت خطيبة النساء في المحافل.

ظ: (عقود حياتي ص ٢٩ - ٣٠).

وقبيل الفجر عبرنا (نهر الوشاش)^(١): وهو النهر الذي ينتهي إلى (الخر)^(٢) ويتبدى مجراه من مفاضة (هور عَقْرُوف)^(٣) الممتدة من زيادة الفرات. وبعد ساعتين من طلوع الشَّمس نزلنا في فلاة على قرب تلك المفاضة من كُثب التل المعروف بـ(تَلَّ عَقْرُوف)^(٤)، الذي يُرى ما عليه من العمارة القديمة من مسافة فراسخ، وكان رواؤنا ذلك اليوم من ماء تلك المفاضة، وأرضها مالحة وماؤها محجّ وبئ.

الفَلُوجَة

وعلى هَنٍ وَهَنٍ قَضَيْنَا نهارنا هناك وجملة من اللَّيْل إلى الثالثة منه حتّى أتينا (الفَلُوجَة) أذيف طلوع الشَّمس وصلينا في شرقي الفرات فريضة الصبح، ثم عبرنا راجلين إلى جانبه الغربي على جسر أوهى من بيوت العناكب لا يستطيع أن

(١) قال (الو مسيل) في كتابه الفرات الاوسط ص ٢٢٣: (إنَّ فرع الوشاش من طريق نهر القرمة، ويتفرع هذا النهر نفسه من الفرات عند الصقلاوية وتقع بين هذه القرية والوشاش مجموعة قرى وحقول...).

(٢) نهر الخر: ويُسمّى شطيّطاً سابقاً، كان نهراً كبيراً يمتد تاريخه إلى العهد العباسي، بعد أن كان بعرض (٢٠ م) قبل فترة الستينيات تقلص ليصبح بعرض (٥ م) في السبعينيات، ثم تم طمره نهائياً عام (٢٠٠٢م) بعد أن جف الماء فيه وأصبح مجمعاً للفضلات والمياه الآسنة. ظ: (الموسوعة الحرة، وكبيديا).

(٣) هور عقروف: هو هور للفيضانات التي تتسرب من نهر الفرات في نهر عيسى فتملأ (هور عقروف)؛ فتهدد الجانب الغربي من بغداد بالغرق؛ فاستخرج لها في أيام الأتراك العثمانيين مجرى يمتد نحو الجنوب فيتصل بدجلة... .

ظ: (دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً، لمصطفى جواد وأحمد سوسة، هامش ص ٢١٦).

(٤) تل عقروف: بقايا المدينة الكشية (دور كوريكالوز) التي أسست أوائل القرن الخامس عشر ق. م.

ظ: (دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً ص ٥).

يمشي عليه الراجل فضلاً عن الراكب، وضربنا الخيام على جانبه الغربي، ورجعنا عصراً إلى البلد للسياحة فيها والوقوف على بعض شؤونها، وكان في ذلك الحمل وتلك القافلة شيخنا العارف المتأله الرباني صاحبنا القديم الشيخ (علي أصغر الهزارجيري المازندراني)^(١)، - أدام الله لي أيام افادته ومتعني بثمار العلم والمعارف من صحبته وبركاته - وكان من أحد أسباب اختياري لذلك الحمل طلب الخطوة بصحبته والحرص على طول الزمان بخدمته، وكان له عليّ في القديم حقّ التعليم^(٢)، وكانت من إحدى العنايةات من المولى - جلّ شأنه - ان قدّر وقضى له بالحجّ في هذه السنة، ويسّر لنا الاجتماع واطلاع كلّ على عزيمة الآخر؛ فكنا - بفضلله ومنّه - ننزل في منزل واحد ونظعن في ظعن واحد، ولا نكاد نفترق، وكلّ منّا آنس بالآخر أشدّ الأنس، وقد وجدته كما عهدته هو وتمام صحبته ومن معه من عشرائه ورفقائه على اقتراح المُقترح في كرم الأخلاق، ولطافة الطباع، وكلّ ما يطلب ويراد من الرفيق في الطريق، فسنأله -

(١) عالم وعارف وفاضل جليل، (توفي حدود سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م).

تربى في حجر والده الشيخ علي أكبر (ت ١٣٢٠هـ) واخذ عنه المقدمات، ثم قرأ الفقه والأصول على السيد عبد الكريم اللاهيجي، والحكمة والكلام على الشيخ علي النوري، والميرزا هاشم المدرس، ثم تشرف بالنجف الأشرف فمكث ثلاث سنين حضر على الشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد كاظم اليزدي.

كان يمتاز بالأنصاف والأذعان إلى الحق وحسن التعبير، ودقة الملاحظة وصفاء الذهن، وعدم الجنوح إلى المراء والجدل السفسطي.

ظ: (طبقات اعلام الشيعة، نقباء البشر ١٦: ١٥٧٨).

(٢) قال الشيخ كاشف الغطاء عنه في عقود حياتي ص ٦١: (ثم أستوفيت أكثر (شرح المنظومة) عند التحرير الفاضل الشيخ علي أصغر المازندراني...).

تعالى - أن يسفر سفرنا هذا عن أحسن الوجوه وأسنى الغايات والمقاصد بوجهه الكريم وفضله العميم - إن شاء الله تعالى - وكُنَّا بحمد الله وتوفيقه في أكثر الأوقات لا ننفك عن مذاكرة علمية حكمية أو غير حكمية، وكانت مذاكرتنا عصر ذلك اليوم في مسألة علمه - تعالى - بالحوادث والجزئيات مع تغييرها وتبدلها وعدم لحوق التبدل والتغير بكل أنحائه لذاته المقدسة ولا لصفاته؛ ولهذا قال بعضهم: - معاذ الله - بعدم تعلُّق علمه تعالى بالجزئيات؛ استصعاباً للمسألة وعجزاً عن حلِّ هذه المعضلة، وبالجمله فقد خضنا فيها وإن لم نأتِ على تمامها.

ثم نهضنا للعبور والدخول في البلد ونحن نتجاذب البحث في مسألة أخرى جرَّنا الخوض إليها وهي: (أنَّ الحقَّ - جلَّ شأنه - هو الوجود المطلق بشرط لا أو مطلق الوجود لا بشرط) وهذه من أمهات مسائل التوحيد، وهي التي انساق النزاع فيها وقام على ساق بين أكابر العرفاء ومشايخ العرفان والحكمة العصريين الكيرين (الشيخ علاء الدَّولة السمناني)^(١)، و(الشيخ محيي الدين الأعرابي)^(٢)،

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد البيابانكي: الشَّيخ ركن الدين علاء الدولة السمناني (ولد سنة ٦٥٩ هـ - وتوفي سنة ٧٣٦ هـ أو ٧٤٦ هـ)، العارف الصوفي. له مؤلفات منها: العروة الوثقى، وتفسير القرآن (مدارج السالكين) وغيرها. ظ: (الذريعة ٩: ٧٣٣).

(٢) أراد به (ابن عربي): وهو محمد بن علي بن محمد ابن العربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشَّيخ الأكبر، فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم. ولد في مرسية بالأندلس سنة (٥٦٠ هـ = ١١٦٥ م)، وتوفي في دمشق سنة (٦٣٨ هـ = ١٢٤٠ م). له نحو أربعمئة كتاب ورسالة، منها: (الفتوحات المكية - ط) عشر مجلدات، في التصوف وعلم النفس، و(محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار - ط) في الأدب، مجلدان، و(ديوان شعر - ط) أكثره في التصوف، و(فصوص الحكم - ط)، و(مفاتيح الغيب - ط) وغيرها. ظ: (الأعلام ٦: ٢٨١ - ١٨٢).

حيث ذهب الأوّل إلى الأوّل والثاني لمثله، وطالت الخصومة تحريراً بينهما، وقد ذكر صدر المتألهين^(١) في (الأسفار)^(٢) جملة من محاوراتهما، وببالي أنّه في الآخرة سلك مسلك الصلح بينهما، وكان السمناني يقول: إنّ الوجود بشرط لا ذاته، ولا بشرط فعله، وبشرط شيء أثره.

وقول العلاء (السمناني): هذا عندي أسمى وأعلى وأشدّ انطباقاً على ظواهر الشرائع. أما شيخنا الفاضل المتقدم فكان يميل إلى الثاني وأقام على ذلك برهاناً طال بيننا الردّ والإيراد وبقي كلُّ على اختياره.

ثم دخلنا (الفلوجة) عصرًا فوجدناها قرية صغيرة على شرقي الفرات على قرب المرحلتين ونصف من (بغداد) وهي ناحية ترجع إليها، وآثارها تنبئ عن قدمها واتساعها؛ بيد أنّها اليوم خربةٌ باليةٌ وفيها جامع للجمعة فيه مأذنة عالية وإمام جماعة هو مدرّس، وخطيب ومؤذن، وأهلها بين شيعة وسنة من الإسلام، ويهود ونصارى من غيرهم، لهم العمارات الأنيقة على (الفرات) كما هو الشأن في كل بلاد الإسلام.

وتلك لعمر الله إحدى المصائب

(١) صدرالدين محمّد بن إبراهيم بن يحيى الشهير بملا صدرا الشيرازي، (المولود ٩٧٩ هـ - المتوفى ١٠٥٠ هـ)، كان من تلاميذ الشيخ البهائي، والمحقق الميرزا الداماد.

ظ: (الطبقات، القرن الحادي عشر ٨: ٢٩١-٢٩٢).

(٢) (الأسفار الأربعة) أو (الحكمة المتعالية) قال ملا صدرا فيه: إنّ للسلاك من العرفاء والأولياء أسفاراً أربعة: أحدها: (السفر من الخلق إلى الحق)، وثانيها: (السفر بالحق في الحق)، وثالثها: (السفر من الحق إلى الخلق) ورابعها (السفر بالخلق في الحق).

ظ: (الذريعة، ٢: ٦٠).

ورأينا على جرف (الفرات) المركبين المُعدين للسير إلى مسكنه.
أحدهما: مطروح معيب، والآخر: لا يسير لقلّة الماء. وبين (بغداد) و(فُلُوجَة) نقطة للحكومة فيها عِدَّة من المبدركة^(١) (الجندرية) لمحافظة الطريق.
ثم رجعنا وصاحبنا إلى محطّتنا ونحن نتذاكر في (دليل التضايف) الذي تمسّك به صدر الحكماء على اتحاد العاقل والمعقول ودفع ما أورده عليه (المحقق السبزواري رحمته)^(٢)، ومع الخوض الطويل فالإشكال بعد لم يندفع بتاتاً.

الرمادي

ثم بعد أداء المكتوبة وتناول العشاء والنوم القليل رحلنا ليلة الأحد ١٤ شوال، أواخر أيلول وسرنا عامّة ليلنا حتّى وصلنا بعد الشّمس بساعتين إلى (الرمادي)^(٣): وهي قرية كبيرة أو بلدة صغيرة قضاء من أقضية (بغداد)^(٤) يبعد ميل عن الفرات تقريباً، وفيها عمارات كثيرة بالجص والحجارة مرتفعة أنيقة وأكثر بيوتها قروية

(١) البدرقة: - من الكلمات المولّدة - وهي الجماعة التي تتقدم القافلة وتكون معها، تحرسها وتمنعها العدو....

ظ: (مجمع البحرين ٥: ١٣٧).

(٢) محمّد باقر بن محمّد مؤمن الخراساني السبزواري (توفي سنة ١٠٩٠هـ)، كان عالماً فاضلاً حكيماً متكلماً، وفقيهاً أصولياً، محدثاً نبيلاً، أصله من سبزوار وسكن أصفهان إلى أن اعتلى أمره عند السلطان الشاه عباس الصفوي الثاني، ففاز بامام الجمعة والجماعة....

ظ: (الكنى واللقاب، القمي ٣: ١٥٩ - ١٦٠).

(٣) الرمادي: مصرّها مدحت باشا والي بغداد، سنة (١٢٨٦ هـ/ ١٨٦٩ م - ١٢٨٨ هـ/ ١٨٧٢ م)،

ظ: (العراق قديماً وحديثاً، عبد الرزاق الحسني، (الرمادي) ص ٢٦٧ - ٢٦٩).

(٤) محافظة الرمادي: تعرف اليوم بـ(الأنبار) ولا تُعد من اقضية بغداد.

بالطين والطوب^(١)، وأكثر أهلها عرب من (الدليم)^(٢) وهي على غربي الفرات تستقي من جدول منه كان قد جفَّ يوم ورودنا، وكان السير إليه من (الفلوجة) على خط المغرب في الجانب الغربي من الفرات المُسمَّى (بطرف الشامية)، والشرقي بـ(الجزيرة)، وأكثر أراضي (الرَّمادي) مزارع وفيها قليل من البساتين والنخيل، وأهلها بين إسلام وهم الأكثر وكلَّهم من السَّنة والجماعة، وبين يهود ونصارى، ودخلنا البلد عصراً وجلسنا في أوساطها وأطرافها وإذا هي في غاية السعة والنزاهة، والعمارات الشامخة الأنيقة، والأسواق الكبيرة الواسعة؛ ولكنها على وضع القرى حُجر مفتوحة على الأزقة العريضة الغير المسقفة. ثم رحلنا منها ليلة الإثنين الرابعة من الليل وأخذنا ما بين المغرب والشمال والجدي والفرات عن أيماننا، وسرنا ليلنا كلَّه فوصلنا [قبل] طلوع الشَّمس إلى جبال من الصخر القوي المعروف بـ(المرمر) فقطعنا تلك الأهوال على أشق الأحوال، وكانت تلك الجبال مطلة على سفح أتيق زاهٍ بالرمل النديّ والخضرة اليانعة، والفرات ينساب انسياب الایم^(٣) في الرمال ويتلوى تلوي الأفاعي.

(١) الطُّوبُ: الآجر (الطين).

(٢) الدليم: قبيلة كبيرة تقطن على طرفي الفرات بين فلوجة والقائم، ويقول الدليميون: أنَّهم جاءوا من جزيرة العرب من الموضع المسمَّى الدليميات في نجد قبل خمسة قرون، وهم على قسمين: النَّزَّالة، والرحالة.

ظ: (العراق قديماً وحديثاً ص ٢٦٦).

(٣) الایم: من الحيات، الأرض الملساء اللطيفة الناعمة.

هيت

فما زلنا نعلو ونهبط حتّى وصلنا قريب الظهر إلى (هيت)^(١) وهي: قرية كبيرة على جبل صخري عال صلد يطلّ على شط الفرات، والماء يضرب في أصله. و(هيت) ناحية ترجع إلى (الرمادي) وفيها بساتين كثيرة أكثر غرسها النخل تستقي من نواعير منصوبة على الفرات، وهي في غاية الغرابة وعجيب الصنعة من العلوّ والارتفاع والسّعة، كل واحد منها يبلغ قطره ثلاثين متراً؛ ولهذا يسقي البساتين المرتفعة عن الشط بعداً شاسعاً تعجز النواضح وغيرها عن جرّ الماء إليه، وهو يسقي تلك البساتين والمزارع ليلاً ونهاراً من دون مؤنة مال ولا مواظبة أحد بل يحركه الماء بقوة التسكير^(٢) بالصخور فيحمل الماء إلى العلوّ ويلقيه في الساقية، وهكذا لا ينقطع ليلاً ونهاراً، ولا يعمل فيه أحد وهي من صنع أهل تلك البلد، أمّا البلدة ففي غاية الضيق والاستقدار والعفونة، وأكثر أزقتها ضيقة منحدرّة مسرّحة تنتهي إلى الشط، وفي البلد جامع^(٣) وفيه مأذنة قديمة عالية جداً يراها الرائي من مسافة فراسخ في قُنَّتْها صخرة فيها أثرٌ موضع كف يزعمون أنه كفّ (أمير المؤمنين عليه السلام)، أمّا تشريفه لـ(هيت) فغير بعيد في غزواته إلى (صفين)؛

(١) هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخل كثير وخيرات واسعة، سمّيت بذلك؛ لأنها في هوة من الأرض، وذكر أهل الأثر أنها سميت باسم بانيها وهو (هيت بن السبدي)....

ظ: (معجم البلدان ٥ : ٤٢٠ - ٤٢١).

(٢) تسكير الماء: ردّه عن سننه في الجري.

(٣) يعرف بـ(جامع الفاروق)، وكان إمامه وخطيبه السيّد الشيخ هشام ابن السيّد الشيخ ضياء الخطيب الهيتي، ومازالت المنارة قائمة إلى يومنا هذا سنة (١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م). (ع.الحسني).

لأنها أُمَّمٌ من تلك البسيطة المتسعة وأما إنَّ الأثر موضع كَفِّه فإلله أعلم.

ويحيط بالبلد جبل متصل واحد وله سفح فيه ربوات وتلال، وعلى كثير من تلك التلال قبور مُشَيِّدة مُعلَّمة بقباب قديمة البناء يزعمون أنَّ في (هيت) ونواحيها أربعين من الأولياء الشهداء، وأكثر يمين أهل البلد بهم فيقولون: وحقَّ الأربعين كان أو ما كان كذا. وكان منزلنا على بعض تلك التلال القريبة من البلد وفيها قبر مُشَيِّد وإلى جنبه قبور يزعمون أنه قبر (عبد الله المبارك)^(١) ولعله العارف المشهور^(٢). ويقولون: هذا قبر (نجم الدين)^(٣)، وذاك (نور الدين)^(٤)، وذاك فلان وفلان، وعن قبر أنه قبر (أيوب النَّبِيُّ عليه السلام).

وذلك السفح والوادي محصور بين الجبل الواحد المستطيل وبين الجبل الَّذي عليه عمارة البلد، وفي ذلك الجبل والسفح بل كل تلك الجبال والتلال والمسائل معادن عظيمة من النورة، والجص، والبورك، والزرنيخ، والقيصر،

(١) عبد الله بن المبارك: أبو عبد الرحمن المروزي مولى بني حنظلة. (ولد سنة ١١٨ هـ أو ١١٩ هـ - وتوفي سنة ١٨١ هـ) كانت أمه خوارزمية، وأبوه تركي، وكان عبداً لرجل من التجار من همذان من بني حنظلة. وقد جمع الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، ووصف بالشجاعة والسخاء، والمحبة عند الفرق، مات سحرأ في شهر رمضان المبارك لعشر مضين منه، ودفن بهيت.

ظ: (تاريخ مدينة السلام رقم ٥٢٥٩، ج ١١: ٣٨٨ - ٤١٠).

(٢) لم يُعرف عنه أنه من طبقة العرفاء بل كان محدثاً فقيهاً زاهداً من تابعي التابعين، ومن آثاره كتاب (الزهد) وهو مطبوع، وقبره في (هيت) بلا ريب وقد زرته أكثر من مرة. (عبد الستار الحسني).

(٣) أنظر: (القباب المخروطة في العراق، عطا الحديثي، هناء عبد الخالق، قبة ضريح نجم الدين، ص ٧٣ - ٧٤).

(٤) أنظر: (دائرة المعارف الإسلامية ٧: ٣٤٨ - ٣٤٩).

والزفت، وخرجتُ عصراً إلى تلك الجبال التي هي في غربيّ البلد لمعاينة تلك العيون وسياحتها ومعني جماعة خافوا فرجعوا وانطلقتُ وحدي.

وما الخوف إلا ما تخوّفه الفتى وما الأمن إلا ما يراه الفتى ^(١)

وكانتُ الشَّمسُ قد أْزفتُ أن تغيب، فانتَهيتُ إلى عينين هناك شاهدتُ فيهما عجائب الحكمة وغرائب القدرة، وسبّحتُ لربّ الطبيعة كل جوارحي وأعضائي وحواسي ومشاعري، وكانت العينان في حفيرتين وسط فُنة الجبل تفوران فوران القدر المتأججة تحتها النيران ومنبعهما كالشاذروان ^(٢)، ويطفو على الماء القير الحرّ، والزفت الخالص، اللذان لا يحتاجان إلى تصفية وعمل، فيأتي بعض زبانية تلك العيون الجهنميّة ويدخل في العين بسرعة ويحوي ذلك القير ويضعه في جوالق من خوص حتى تمتلئ الجوالق فيذهب بها إلى البلد، وماء العين في أشدّ ما يكون من الحرارة، وهو شديد الزرقة فيفيضونه من العين إلى سواقي تجري إلى تلك البرحات ^(٣) التي هي في سفح الجبل، وقد صنعت ألواحاً كألواح المزرعة، فلا يأتي الصبح على ذلك الماء في تلك الأرض إلا وقد انعقد أعلاه ملحاً أبيضاً أشدّ بياضاً من الثلج وأصفى من البلور، وتحت طبقة من القير الخالص المتناهي في شدّة التماسك والصفاء والسواد، وحول تلك الحفاير التي فيها العيون معامل نار تسمّى في الدارج (كور) جمع كورة: هو بيت نار يشرح عليه

(١) البيت للمتنبي

ظ: (شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي ٤: ٣٨٢).

(٢) شادروان أو شاذروان: ينبوع ماء مع حوض، وناقورة ماء، وخزان ماء صغير للتوزيع.

ظ: (تكملة المعاجم العربية ٦: ٢٢٢).

(٣) البرحات: جمع البراح: وهو المتسع من الأرض.

قطع كبيرة من معدن النورة، يُنحت من تلك الجبال ويحرق في تلك المعامل من غير حاجة إلى حطب أو فحم؛ بل بذلك القير المتراكم العتيد هناك، فتجد البلد قد أحاط بها الدخان الأسود المنتن برائحة القير والنفط؛ بحيث قد غطى البلد واستدار عليها من جميع نواحيها ومن فوقها فتكاد الروح أن تزهق فيها لكثرة ذلك الدخان من كثرة تلك المعامل (الكور)، أما أهل البلد فهم فرحون بذلك زعماء منهم أن ذلك الدخان وتلك الرائحة تدفع عنهم الأمراض الموبئة، والهواء الأصفر، ويبعث نشاطاً وقوة، وترى هذه الروائح المزعجة تستقبل الوارد من مسافة أميال قبل البلد، أما رائحة العيون نفسها فأشدّ بأضعاف، وكنتُ المدة القليلة من مكثي هناك قابضاً أشدّ القبض على شامتي، بحيث لو نفذ شيء من هوائها إلى الدماغ أحسست بالهلكة، وحدثوا أن نفوساً كثيرة أضحت ضحايا تلك العيون ريثما وقفوا في وسط العين قليلاً فأحرقتهم نوافحها الكبرى فسقطوا أمواتاً؛ فلا جرم كان الدخول فيها محتاجاً إلى حذاقة ومهارة حتى إذا أحسّ بأول النّفحة وثب بعيداً خارجاً عنها.

وبالجملة فمن مسافة فراسخ عن (هيت) إلى عدة منازل فوقها بل إلى (عانة)^(١) وهو قريب من ستين فرسخاً كلّها جبال، ووهاد، وأودية، وانجاد، وكلّها كنوز من الذهب مخبوءة في تلك المعادن التي لا تجد شبراً هنالك إلا وهو معدن من المعادن طويلاً على الفرات وعرضاً إلى الغرب إلى ما الله أعلم به.

ولقد كنّا نمرّ على أرض بيضاء في وسط قُنى الجبال عريضة طويلة، وفي

(١) عانة: بلدة صغيرة بين هيت والرمادي، وهي كثيرة الأشجار والثمار والكروم.

ظ: (آثار البلاد وأخبار العباد ص ٤١٨).

موضع ممرّ القطار وهو الجَادَّةُ قد حفرتُ الحوافر منه قليلاً فوجدناه من الجص التي عملتُ فيه الحرارة حتّى استغنى عن الإحراق، ولا يوجد في شيء من الجص المحروق المتداول مثله في البياض والنعومة والخلوص عن الرمل والأحجار، وهو أدق نعومة من الكحل، وهذا في مواضع كثيرة لا تحصى، واقسم لو أنّ أهل العراق أمعنوا واكبّوا على هذه البقاع واستصلاحها واستخراج ثمراتها لأوجبتُ لهم الثروة الطائلة على سائر الأمم؛ ولكن - أصلحك الله - أين وأهل العراق اليوم أحوج من تلك المعادن التي في تربتهم إلى مَنْ يقوم بتربيتهم، ويُعنى بصالحهم وتهذيبهم ويسعى في تقويم أودهم^(١) في أنفسهم!، وعلى أيّ فقد لبنا بائتين في مخيمنا ليلة الثلاثاء ١٦ شوال إلى التاسعة من الليل.

ثم أسري بنا فأدلجنا^(٢) بين جبال شاهقة، ووهاد سحيقة، وأودية عميقة، كان أعجب ما فيها سلامتنا من مهاويها، فأنّه كان كثيراً ما يوافي بنا السير إلى جَادَّة على شفير وادي عميق، والجَادَّة في غاية الضيق والتسريح، مشحونة بالصخور والحجارة تحت حوافر البغال، بحيث لو زلّت قدم حيوان واحد أدنى زلّة لهُوى في تلك المهاوي العميقة إلى حيث...^(٣)، ولخّر ممزقاً بتلك الأسنان الناتئة^(٤) من تلك الجبال في أثناء الوادي، فكنتُ أرى أنّ سلامة كل تلك القوافل والقطار في تلك الجَادَّة التي لا تسع إلا مرور محمل واحد إنما هو من الحفظ الإلهي الخارج عن الأسباب الظاهرة ومجاري العادة، وما زلنا نتخبط في تلك المصاعب حتّى

(١) الأود: العوج.

(٢) أدلج: اذا سار آخر الليل.

(٣) هذا من باب الاكتفاء، وفيه تلميح إلى قول الشاعر القديم: إلى حيث القت رحلها أم قشعم.

(٤) نتأ: التواء : خروج الشيء من موضعه من غير بينونة، فهو ناتئ معلق.

وصلنا أول الزوال إلى شاطئ الفرات، وبقينا نسير أكثر من ثلاثة أميال في جادة من الصخر منحوتة في أثناء تلك الجبال الشاهقة لا تسع إلا مرور حيوان واحد، والجبل مطل من فوقها والفرات يَلَطُّ^(١) بالجبل من تحتها، والراكب بين الخطرين لولا الحفظ الإلهي، وكأنَّ تلك الجادة حدثت مما رسمته الإبل والبغال بحوافرها وأخفافها، وفي أول هذا الموضع أقنعت زميلي فنزلنا وترجلت من قَبْتي الخشبية وبقيت أتأمل وأتصفح واتفحص في طبقات تلك الجبال، وأعجب وابتهر من عمل الطبيعة هناك بأمر ربها، وكيف عقدت تلك الجبال من الطبقات الحجرية، والأغشية الصخرية، والرمول المنجمدة، وفي وسطها المغارات والشعاب الهائلة.

وبالجملة حصل لي من الفكرة والعبرة هناك ما لم يتهيأ لي في مطالعة الكتب ومراجعة الكتاب على ممر السنين وطول الليالي والأيام، ومضى القطار والقافلة أمامي حتَّى ضربوا الخيام في سرحة على شاطئ الفرات في سفح تلك الجبال، وللفرات هناك منظر وسيم وبهجة رائعة؛ لسعته وصفاء فضائه وإشراف الجبال عليه، وخضرة ذلك السفح المتصل به، فوصلت بعد مطالعاتي الطويلة وجهدي الجهد غَبَّ ساعتين عن الزوال إلى موضع محط القطار وهو موضع خال من العمارة المعتد بها سوى بيوتات بين نخيلات.

أخني عليها الذي أخني على لبد^(٢)

(١) يَلَطُّ: يلزق.

(٢) عجز بيت للنابغة الذبياني وصدرة:

أمسّت خلاء وأمسى أهلها احتملوا

ظ: (ديوانه: ص ١٦).

قد تبوأَت تلك النخلات والبيوت ما سمحت به تلك الجبال من الوهاد والمسابح الوطيفة، ويسمى هذا المنزل بـ(البغدادى) وفيه عدّة من المبدركة (الجندرمة)؛ لمحافظة التُّزَال فيه من أذايا أوباشه وهيهات، وعلى الشط بعض النواير الواسعة ولكنها ليست على اتقان نواير (هيت) ولا بكثرتها وعَظَمَها، وعلى أيّ فقد أقمنا بقيّة نهارنا ونصفاً من ليلة الأربعاء ثم غلّسنا^(١) السادسة من الليل، وأدلجنا السرى في فلوّات قاحلة هيماء^(٢) لا ماء فيها ولا كلاء، فبيناً نحن ننتظر الفرج بالخروج منها إلى البسيطة إذ القتنا في لهوات أودية عميقة لا ترتقي العصم إلى ذرواتها، فصرنا نهبط وادياً ونعلو جبلاً لا كما يُظن؛ بل من تلك الجبال المرمرية التي هي في غاية الصلابة؛ وكأنّ القوافل بمرورها على مرور الليالي والأيام قد رسمت فيها جادّة منحدرة إلى تلك الأودية، فقل إلى أعمق مسافة من أعمق آبار هذه الكرة السيّارة، بيد أن تلك الجادّة المنحدرة مملوءة بنحيت تلك الصخور المختلفة أنواعاً صغراً وكبراً، وخشونةً وملاسةً، واستدارةً وتربيعاً، فتراك تسمع لوقع الحوافر عليها قعقةً وفرقةً^(٣) تتفرّق لها قلوبنا، وتَجِبُ^(٤) لها جنوبنا، وهذه المرحلة من أعظم ما سبق لنا لا ما لحق، وكلّها كانت أودية وهضاباً، وانجاداً وأغواراً، نعم كان من أعظم أوديتها ثلاثة أودية هائلة:

أولّها: شرقياً (وادي حوران) الشهير: وهو شق عظيم واسع في تلك الجبال

(١) الغلس: الظلمة آخر الليل.

(٢) الهيماء: مفازة لا ماء فيها.

(٣) القعقة: صوت السلاح. والفرقة: صوت الانفجار. وتتفرّق قلوبنا: تتلوى.

(٤) تجب: تضطرب.

الهواضب الصخم^(١) الصم^(٢)، حفرته تلك السيول الجارفة بعرض ثلاثين متر تقريباً وعمق خمسين كذلك، وأما امتداده إلى ما بين المغرب والجنوب، فأهل تلك المنازل يقولون: لم يقف أحدٌ على مبدئه سوى أنه يتجاوز غربيّ (الشام) بمراحل، وأنه في نيسان قد يمتدّ مُدَّة امتلائه بالسيل المنصبّ إلى الفرات سبعة أيام أو ثلاثة متّصلة؛ وأنه هو السبب الأعظم في زيادة الفرات تلك الزيادة التي تكاد أن تأتي على (العراق) بطوفانه الطامي، وكلّ تلك الأودية تنتهي مجاريها ومصابها إلى الفرات، وهي أعظم سعة وعمقاً منه، وهي كشطوط واشجة به تخرج أفواهاها وصدورها منه، وتجري عنه، والأمر بالعكس.

الثاني: (وادي دغدان): وهو كسابقه في السَّعة والعمق سوى أنه ينتهي في أوّله بمسافة غير طويلة.

الثالث: (حلجان): وهو كالثاني سوى أنّ في صدره ممّا يلي الفرات عين ماء غزيرة تجري في جدول ينصبّ مأؤه إلى الفرات، والوادي يمتلئ بالسيول أيام أبانها فنقول: (جری الوادي فطمّ على القري)^(٣).

وهذه الأودية الثلاثة مهما بلغ قلم البليغ أو بالغ في تصويرها فما هو ببالغ تمام الحكاية عنها وتمثيلها كما هي، وللعيان أثر لا يحيط به البيان مهما كان، وما كنتُ أحسب أنّ لنا طاقة على تحمل تلك الشدائد ومقاساة هاتيك، ولكن والله

(١) الصخم: المنتصبّة القائمة.

(٢) الصم: الأحجار الصلبة.

(٣) مثل يضرب عند تجاوز الشر حدّه.

ظ: (مجمع الأمثال ١: ١٥٩).

المنة والفضل.

قد هَوَّنَ الصبرُ مَنْكُلَ مصعبةٍ وَلَيِّنَ العزمُ حَدَّ المركبِ الخشنِ^(١)

وما زلنا على ذلك ومثله حتَّى نزلنا حَدِيثَةَ الْفُرَاتِ^(٢)

(الحديثة)^(٣) وهي سرحة على شاطئ الفرات فيها بعض البيوتات وعدة من البساتين الباسقة النخل وبعض المزارع من الدُّخْنِ والدُّرَّةِ، وهي ناحية فيها مديرٌ وقدرٌ من (الجندرمة) وعلى الشط نواكير كثيرة تسقى لبساتينها ومزارعها، والشط كلُّه سكور من تلك الصخور المبتدلة، فتسمع للشط قبل أميال دويًّا هائلًا من السكور والنواكير هذي بنعيرها وتلك بخيرها، والجبال مُطلَّة على الفرات من جانبيه طولاً إلى ما الله أعلم به.

وفي تلك الجبال مغارات ودخائل واسعة في أسفله يلجأ إليها سكان تلك الناحية إذا أجحف السيل^(٤) بمنازلهم فيأوون عندئذٍ إلى كهوف منيعة وحصون حصينة؛ إذ هي في جهة مجرى السيل لا في قبالة، وعلى تلك الجبال قبور معلَّمة

(١) البيت للمتنبي: وفي الديوان (نازلة) بدل (مصعبة).

ظ: (شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي ٤ : ٤٣٥).

(٢) حديثة: حديثة الموصل، وحديثة الفرات.

(٣) حَدِيثَةٌ: وتعرف بحديثة النورة: وهي على فراسخ من الأنبار، وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء يحيط بها، قال أحمد بن يحيى بن جابر: وَجَّهَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ أَيْامَ وَلايَتِهِ الْكُوفَةَ مِنْ قَبْلِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ، (رض)، جيشا يستقري ما فوق الفرات عليهم أبو مدلاج التميمي فتولى فتحها، وهو الذي تولى بناء الحديثة التي على الفرات

ظ: (معجم البلدان ٢ : ٢٣١).

(٤) أجحف السيل: إذا جرف كل شئ وذهب به.

بقباب من الأبنية القديمة كبناء قبة (ذي الكفل)^(١)، في شرقي العراق ولكن هذه أصغر من تلك، ويزعم أهل تلك النواحي أنّ هذا فلان وذاك فلان مما لا نحيط بعلمه، نعم أشاروا إلى قبر أنّه قبر (السيد محمد) من أولاد (موسى الكاظم عليه السلام) ويسمونه بالشيخ حديد؛ لكرامة يذكرونها: أنّ بعض الحرائثن ممّا يلي مرقده على قُنة الجبل في أثناء حرائثه انكسرت حديدة فدانه^(٢)، فخرج السيد إليه في السرّ وأصلحها بيده حتّى عادت كما كانت ثم غاب عنه، وتواتر نقلهم ونقل من يليهم من القرى أنّ في شباط تأتي أنواع السموك من شرقي الفرات مُغربةً زرافات زرافات وجماعة جماعة إلى العين المتقدّمة، وقبره في الجبل مطلّ عليها فتبقى في العين وتأتي الأعراب فتصيدها قبض اليد بلا آلة وعمل؛ ويرون أنّها تأتي لزيارة السيد ولهذا خصّصوا ما يأتي ويُصاد ليلة الجمعة لقيّم قبره، وليس للسّمك في أيام السّنة أثر ولا عين، أما في شباط فله موسم عظيم.

هكذا ذكروا والله أعلم. ثم قضينا بقيّة يوم الأربعاء في (الحديث).

مذاكرات علميّة في التفسير

وكان مما تذاكرنا فيه كريمة قوله تعالى: ﴿وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِيْنَ﴾ [آل عمران: ٩٧] في حيث إعرابها وإنّ [الله]، و[على الناس]، ما محلّهما؟، وأين متعلّقهما؟، وما محلّ

(١) ينظر عنها: مثذنة الكفل، عطا الحديثي، (مجلة سومر) ج ١ - ٢ (١٩٧٢م)، ١٢١ - ١٣٢.

انظر: الذخائر الشريفة، (الكفل) ١: ٣٨٨.

وصف ببليوغرافي، لأهم ما كتب عن الكفل من مقالات.

(٢) الفدان: آلة الثورين للحرث.

الموصول؟، والذي حصل الاتفاق بعد المجاذبة في البحث أنَّهما متعلقان بمحذوف كثابت ولازم ونحوهما، وإنَّ الموصول بدل بعض من كلٍّ، ومن حيث فقاقتها أنَّ مؤداها هل هو التكليف أم الوضع؟ والمرجح أنَّه تكليفٌ بلسان الوضع لمزيد الاهتمام، قد يتفق في بعض الأحكام عكسه من الوضع بلسان التكليف، وبقي السؤال في التهديد على تاركها وإدخاله في الكفر بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ وبماذا استحقَّ الحجَّ هذه المزية على سائر الواجبات المهمة كالصلاة ونحوها؟؛ إذ ليس تاركها بقول مطلق مما يقع أسم الكفر عليه، ولم يتحصَّل بعد وجه يستحسن الاقتناع به والله أعلم.

وتلاه الخوض في جملة من المسائل الحكمية والعرفانية وآيات قرآنية منها قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة : ١٨]

وأنَّه ما وجه الدلالة في التعذيب؟ على عدم كونهم أبناء وأحباء مع أنَّ الأب والمحب قد يُعَذِّبُ ابنه وحبابه لتأديبه وتهذيبه؛ فزعم صاحبنا الفاضل: أنَّ التأديب غير التعذيب، وأنَّ التعذيب لا يكون مع المحبة، وأطال في تقريره ولا أراه رأياً نضيجاً، ومنها آيات أخرى كثيرة لا يسع الوقت ذكرها.

ورحلنا من (الحديث) الساعة التاسعة من ليلة الخميس ١٨ شوال، فوقعنا في الطريق وإذا هو كالذي قبله في المشاق، والمصاعب، والوهاد، والهواضب، والصخور الهائلة العظيمة؛ حتَّى إنَّ بعض القطعات العظيمة قد انخرلت^(١) من

(١) انخرل الشيء، انقطع.

الجبل الممتدّ المستطيل فهي ملقاة في السفح على الجادة وهي جبل في نفسها؛ كأنّها تطلب استقلالها الذاتي على سُنن النواميس الطبيعيّة التي أودعها رب الطبيعة في سائر مصنوعات، نعم ومن الغريب أنّه - جلّت حكمته - فَطَرَ فيها هذه الجبلّة وقاومها بإيداع ضدها في الطباع من ميل كلّ جزء إلى كلّ، ونزوع كل شيء إلى أصله، فكلّ كائن يطلب لذاته الاستقلال لنفسه ومع ذلك ينزع إلى اللّحوق بأصله والاتصال بكلّه، فهو ابدياً في هذا التنازع والتجاذب، حكمة بالغة وقدرة باهرة فلولا حبّ الاستقلال لبقيت العوالم في كنزها المُخْفَى، ولما حصلت الكثرة، ولولا ذلك النزوع لما تحقّق يوم القيام والجمع ولما حصلت الوحدة.

فتدبره لمحة من الأسرار الإلهيّة ولمعات التوحيد شطح بها القلم في غير محلّها. ورأينا حول تلك الجبال صخوراً منها منحوتة بآلات حديدية على انتخاب صناعي على شكل مربّع مستطيل في تمام اللياقة واللطفة، وهي كثيرة متراكمة على مسافة ميل، سألتنا عنها، فقليل: هي من عمليات مهندس سدّ الفرات ينتظر زيادة الفرات ليحملها في الشخاتير إلى موضع السدّ، ثم لم نبرح على مقاساة تلك الزلازل وطيّ هاتيك المراحل

الفحيمي

حتّى نزلنا قريب الظهر من يوم الخميس ١٨ شوال على برحة تتصل بشاطئ الفرات وفي شريقها على الشط (نقطة) قلعة صغيرة محترقة، وفي قبالها من الجانب الشرقي قرية صغيره تسمّى بـ(الفحيمي)^(١)، وكان موضع مخيمنا غربيّ

(١) لم أعر على تعريفها.

تلك النقطة، وليس في هذا الجانب الغربي عمارة ولا خضراء ولا نضراء سوى المنابت الطبيعية من الشوك والعاقول وأمثالها، نعم في الجانب الشرقي بعض ما لا يعتدّ به من النخيل والقرية فيه وراء تل قد حجبها عن الرائيين على قربها من الساحل فهي (أهون من تبالة)^(١).

وريشما ضربنا الخيام وأخذ كلّ منا مقره ومستراحه جاءنا أعراب ذلك الجانب يعبرون الشط سباحاً ومعهم بعض البطيخ الأخضر (الراقي) وهو إلى اليقطين في الحقيقة أقرب منه إلى ذاك، ومعهم بعض الدجاج والخبز الذي لا يعلم من الحنطة هو أم من الشعير أم من غيرهما؟!، وفي غضون ذلك أتانا لمخيّمنا بعضهم يحملون من تلك البضاعة الضائعة الكاسدة إلّا ذلك اليوم، وكان في جملتهم غلامٌ - يعلم الله - أنّه مليح الشمائل تام المعاني متناسب الخلق والخلق، قد مزجت بداوته بحضارته، وبياضه بسمرته، ودعجه بغنجه، لحديثه حلاوة وفي حضارته نوع بداوة، فلو رأته غلمان الحاضرة قاموا له على الرؤوس وقالوا الفضل للبادي^(٢) فلما تكلم عجبنا ولحسنه وجماله طربنا وقلنا:

(١) أهون من تبالة على الحجّاج: يعني الحجّاج بن يوسف، وتبالة: بلدة صغيرة من بلدان اليمن، وهذا مثلٌ من أمثال أهل الطائف. زعم أبو اليقظان أنّ أوّل عمل وليه الحجّاج عمل تبالة، فسار إليها فلما قرب منها قال للدليل: أين هي؟ قال: سترتها عنك هذه الأكمّة، فقال: أهون عليّ بعمل بلدة تسترها عني أكمّة، ورجع من مكانه، فذهبت مثلاً...

ظ: (مجمع الأمثال ٢: ٤٠٨ رقم ٤٦٢٩).

(٢) البيت لسراج الوراق:

فلو بدت لحسان الحضّر قُمنَ لها على الرؤوس وقلن الفضل للبادي

ظ: (فض الختام عن التورية والاستخدام، للصفاي ص ٨٥).

من أين ألف هذا الشادن العرباً^(١)

فسألناه: من أين هو؟ وما الذي جاء به إلى هذه الأمة الوحشية وآنسه بهذه الأرض الموحشة؟!

فقال: أنا سيّد وابن سيّد إلى الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ونحن من أب وجد نسكن هذه القرى والنواحي لتعليم هؤلاء الأعراب القرآن وسنة جدنا فجادبناه أطراف الملاطفة: وسالت بأطراف الحديث الأباطح^(٢) وسألناه هل يقرأ القرآن؟ فقال: نعم، فأخرجته من غلاتي وقلت: هاك أقرأ لنرى كيف قراءة فكأخذه وفتحته ثم رده، وقال: لست على وضوء و ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] فَقُلْتُ لَهُ: أقرأ ولا تمسه، فقال: جئت لأبيع الرقي لا لأقرأ القرآن، فَقُلْتُ: أقرأ ونحن نشترى منك فأخذه وقرأ تجويداً بصوت جيّد وكان معه رقيتان أخذناهما على اقتراحه؛ لأنّه كان على اقتراحنا، فمددنا المُدَى^(٣) عليهما وفلقناهما بحضوره فكانت حمريتهما في خديّه، وبياضهما من ثغره، وبعد أن أقام عندنا ساعتين قام وكلّ منا يودّ لو جالسنا إلى يوم القيام، حتّى قال القائل منّا: الله هذا الغلام (باعني الرقي ومملك رقي). وأقمنا بقيّة يومنا في ذلك المنزل المعروف

(١) عجز بيت للمتنبي واصله هو:

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِيْهَا فَقُلْتُ لَهَا مِنْ أَيْنَ جَانَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبِيَا

ظ: (ديوانه ١: ١٢٨).

(٢) البيت للمضرّب، وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى.

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

ظ: (أمالى المرتضى ١: ٤٥٧-٤٥٨).

(٣) المُدَى: السكين.

بـ(الفحيمي) وهزيعاً من ليلة الجمعة على شطف من العيش وقنعة من القوت.
ثم رحلنا اوائل ليلة الجمعة الرابعة من ١٩ شوال، وكان الطريق على مثل
المنازل السابقة من الصعوبة والمسقة، وفي أطراف (الفحيمي) قُرى صغيرة في
ذلك الجانب مثله، وفيها وفيه قبور كثيرة على رؤوس الجبال، وشُعب^(١) الأودية
وأشاروا إلى موضع بالقرب يُسمّى بـ(آلوسة)^(٢) ولعل (الطائفة الآلوسية)^(٣) منه،
وفيه مقام مُعلّم يزعمون أنه قبر أو مقام (حبيب النجار)، وآخر أنه الشيخ (محمّد
الآلوسي) في قرية تسمى بـ(الزاوية)، ومقام لعلّي^(٤) في قرية (المعاضيد)، و(ابن
نوح) في جبلين وهكذا.

عانة

ولم نزل نجد السير تمام ليلتنا حتّى أتينا قريب طلوع الشّمس إلى بلدة (عانة)
وهي بلد كبيرة من أقضية (بغداد)^(٤) على غربي الفرات، فوجدناها على أغرب
شكل وأعجب وضع؛ فإنّها بلدة مستطيلة مقدار ثلاثة فراسخ، ممتدة على شط

(١) شعب الأودية: أعلاها.

(٢) آلوس: وقيل ألّوس بغير مد كما ورد اسمها بصورة آلوسة وألوسة، وهي اليوم بليدة تقوم
على جزيرة صغيرة في نهر الفرات قرب عانة، تابعة لناحية الحديثة في قضاء عانة، ومن لواء
الدليم (اسمه الإداري اليوم محافظة الأنبار) في العراق.

ظ: (الدخائر الشريفة، جمع وتقديم وتعليق، د. جليل العطية ٣: ٧٩).

(٣) الآلوسية من الأسر العلميّة المعروفة في بغداد في العصور الأخيرة. وقد نشأ من أبنائها من
ذوي الفضل، فيهم: المفسر (أبو الثناء شهاب الدين محمود ت ١٢٧٠هـ)، وحفيده الأديب
(محمود شكري ١٣٤٢هـ)...

ظ: م. ن. ٣. ٢٤٥ - ٢٤٩).

(٤) أما اليوم فهو قضاء تابع لمحافظة الأنبار.

الفرات في عرض قليل لا يزيد على ثلاثمائة متر، وهذا المقدار هو الذي سمحت لها به تلك الجبال الشم، والصخور الصم، والمياه الفعم^(١)، فهي عبارة عن زقاق واحد بتلك المسافة والاستطالة، وفي جانبيه دور وبيوت من الطين والصخر، جانب منها يتصل بالفرات، والآخر يتصل بالجبل، وفيها بساتين أنيقة زاهرة جداً على نواعير عظيمة كنواعير (هيت)، وسكور كثيرة وبساتينها مشتبكة مع دورها فكل دار إلى جنب بستان أو فيها جُنيّة زاهرة، وجنّياتها تشتمل على أكثر الفواكه حتّى الزيتون، وهناك رأيناها حاملاً زيتونه الأخضر وشجره وورقه كالخلاف^(٢) إلا أنّ الخلاف أرق منه وأزهى، وأكثر ما فيها النخيل وفيها مزارع من القطن واليقطين ولا يسمّونه إلا القرع والبادنجان وغيره، والنخل هناك يُصافح الجبل يلتصق به، فالوقوف على الجبل منظر رائع بديع ينعش الأرواح برؤية البساتين على الفرات، والأرض الخضراء تحته والسواقي كلّها تجري في الأزقة على مرتفعات من الأبنية المحكمة؛ لأنّ بساتينها فيها وكلّ بلادهم إسلام وأكثرهم شافعية، وفي طرفها الشرقي محلّة لليهود، ولكن في المسلمين - وحاشا الإسلام - شبه تام بهم من حيث اللسان واللهجة، والدم وشعر الرأس، فلو رأيت أحداً منهم أو كلمته لا تشك أنّه من أمة النّبي موسى ﷺ وهو من أمة النّبي محمّد ﷺ. وفيها رقي جيد لا يسمّونه إلا بالحبّ^(٣)، ولكن يحمل إليها من

(١) الفعم: الممتلئة.

(٢) الخلاف: صنف من شجر الصفصاف.

(٣) حبّجة: البطيخ الشامي، الذي يسمّيه أهل العراق (الرقي)، والفرس تسمّيه الهندي؛ لأن أهل العراق يأتيهم من جهة الرقة.

ظ: (معجم أسماء النبات، جمع وتحقيق: محمود مصطفى الدميّاطي ص ٣٨).

(الدير)^(١) في الشخاتير.

وبالجملة فهي بلدةٌ وسيمةٌ زاهرةٌ وكان منزلنا بيرة (فضوة) في وسطها على حافة الفرات في قبالها وسط الشط جزيرة خضراء فيها نخل وغيره، وصنعة أهلها الزراعة والحياكة، وعرضوا علينا من العبي البريسم ما يشبه عبي (النَّجف) الجيدة، وهي من عملهم، والأسباب الظاهرة تقضي بأنهم ذوو ثروة طائلة؛ لكثرة المزارع والمغارس، ولكن وجدنا في صبيانهم ونسائهم بل ورجالهم من الدَّناء والجشع الموجب للتكدّي والطلب الحريص، ما لم نره في محلٍّ أبداً فيبيعونا الرقية الواحدة بأعلى ثمن، ثم يجتمع حولنا من عدّة البنات والصبيان ما يسلب راحتنا، فنلتجئ إلى كسرهما وأكلها وهم ينظروننا ونفوسهم تتقطع، فبُست الأكلة، ثم نرمي لهم بالقشور وهي على النصف فتكاد تقع الفتنة من تهالكهم وتكالبهم عليها، وبالجملة لهم حال غريب في ذلك وهذه أيضاً شنشنة (يهودية).

وبقينا هناك تمام نهار الجمعة وأكثر ليلة السبت ٢٠ شوال، ورحلنا في سحرها فشاهدنا أيضاً من الجبال بل هو ذلك الجبل المطلّ على (عانة) وصرنا نسير في السفح والجبل فوق رؤوسنا قد ظللنا بمثل الرواشن^(٢) والأجنحة الهائلة، بحيث يظن كل أحد أن سوف ينطبق عليه، وكثيراً ما نمرُّ بقطعة عظيمة قد

(١) قال الشابشتي في كتابه (الديارات): (دير ماسرجيس) وهذا الدير بعانة، وعانة مدينة على الفرات عامرة، وبها هذا الدير: وهو كبير حسن كثير الرهبان والناس يقصدونها من هيت للتنزه فيه، وهناك كروم وبساتين وشجر، والموضع في غاية الحسن ...
ظ: (الديارات، للشابشتي، تح. كوركيس عواد ١٤٧ - ١٤٨).

(٢) الرواشن: جمع روشن، وهي أن تخرج أخشاباً إلى الدرب، وتبني عليها، وتجعل لها قوائم من أسفل.

انفصلتُ منه ومالتُ عنه وهي قائمة على تعاضمها على شلخ^(١) ضعيف وهي مائلة على الجادة؛ كأنَّها شاهرةُ سيفِ المنون (حفظه الله) عليها، ومع ذلك جزنا بأسفلها ولم أبالِ بشيء من ذلك.

لأنِّي ما انتفعتُ بأن أبا لي^(٢)

أما أكثرُ القافلة وكل رفقائي فكانوا غير متبهرجين لذلك؛ ولكنِّي رفعتُ ستار محملي كعادتي في التطلُّع والتمتع بتلك الأجواء والأودية والجبال والوهاد على ضوء القمر الزاهر في نسائم تلك الأسحار المنعشة المدهشة - فتبارك الله رب العالمين - ولم نزلْ على هذا ومثله؛ حتَّى صعدنا الجبل إلى أعلاه وهناك وجدنا لذة السير في الأرض الوطيئة السهلة وعن يسار الطريق رأيتُ قبةً عاليةً مشيدةً حولها صحن واسع قد تهدم سورهُ إلا بقاياهُ وهو عال منيع، فوددتُ لو ألقيتُ نفسي من محملي لاكتشافه والنظر، ولم أجِدْ خيراً أسأله عنه.

نَهْيَةٌ

حتَّى وصلتُ المنزل ضحوة السبت والمنزل أرض خالية لا أكل ولا كلاء فيها سوى الماء ويسمَّى بـ(نَهْيَةٍ) فسألنا عن ذلك المقام المشيّد فقل: أنَّه مقام عليٍّ عليه السلام، وهو من العمارات المتقدمة، أمّا المنزل فلا مطعم فيه ولا مشروب سوى ماء الفرات، والنسيم العذب، وبقينا نتعلل ببقايا أزوادنا وهي ونحن على

(١) الشلخ: الأصل.

(٢) عجز بيت للمتنبي، صدره:

وهانَ فما أبا لي بالرزايا

ظ: (ديوانه ٣: ١٧٣).

شفا، وفي الإمساك العافية والشفاء - إن شاء الله - وسألنا عن سبب تسمية المنزل بذلك الاسم؛ فذكروا أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء إلى هذه النواحي وكانت منزلاً للمشركين قبل الإسلام وهم تبع القياصرة، وهراقلة الشام، فغزاهم - سلام الله عليهم - داعياً إلى الإسلام وليس معه سوى سرية نزيرة العدد فنهاء جماعة في هذا المحل عن السير إلى ذلك الوجه فأبى وسار فسمي بـ (النهاية) وسيأتي لهذا الحديث المرسل تنمة بحسب المنازل الآتية. وكُنَّا ليلة السبت في (عانة) شرعنا في مباحثة بـ (حجّ الدروس)^(١) وكانت معي منه نسخة جيّدة قلمية ابتعتها من الكاظمية، ووقع الإشكال في بعض عباراته مثل قوله في مسألة الزاد والراحلة: «ويكفي البذل في الوجوب مع التملك أو الوثوق به وهل يستقر الوجوب بمجرد البذل من غير قبول إشكال من ظاهر النقل وعدم وجوب تحصيل الشرط...»^(٢)؛ فإنّه لا يكاد يظهر وجه التقابل إذ عدم وجوب تحصيل الشرط إنما يحسن أن يكون وجهاً لعدم وجوب القبول بعد الفراغ من عدم كفاية البذل في استقرار الوجوب؛ حيث إنّهُ على ابتناء القول بعدم الوجوب بالبذل قد يقع الكلام في أنّه هل يجب عليه أن يقبل أم لا؟. ووجه الثاني عدم وجوب تحصيل الشرط ويمكن أن يكون مراده فَيُسْتَقَرُّ باستقراره بمجرد البذل أنّه يجب عليه أن يقبل ولو بالقبول الفعلي والمضي إلى الحجّ، والمخالف يدفعه بأنّه تحصيل للشرط ولا يجب. ولا يخفى ما فيه، والحاصل أنّ العبارة تحتاج إلى تأمل لم يتسع له

(١) الدروس الشرعية في فقه الإمامية: للشهيد الأول محمد بن مكي العاملي (ت ٧٨٦هـ)، خرج منه إلى كتاب الرهن فأدرّكه الشهادة قبل اتمامه.

ظ: (الذريعة ٨: ١٤٥).

(٢) ظ: (موسوعة الشهيد الأول (الدروس الشرعية في فقه الإمامية) ١/ ج: ٩: ٢٢٥).

المجال، والتحقيق كما عليه أهله أنّ البذل غير محتاج إلى القبول كما في الهبة؛ لأنّ البذل محقق للاستطاعة بنفسه وقد صار به واجداً لها كما لو جاءه مال من ميراث أو غيره من القهريات، بخلاف الهبة فإنّ الإيجاب غير مملّك والقبول تحصيل فلا يجب والعجب فيما نقله عن ابن ادريس حيث قال: «وابن ادريس قال: لا يجب الحجّ بالبذل حتى يملكه المبدول...»^(١) ولم يُعلم ما المراد بالتمليك، هل هو بمثل الصلح والهبة من العقود؟ وقد ظهر عدم الوجوب به أم غيرها، وليس هو سوى البذل ومثل هذه الفقرة فقرات آخر وقع فيها الكلام لا تسمح مشقّة السفر لتحريرها.

القائم

ثم رحلنا من (النهية) السادسة من ليلة الأحد ٢١ شوال؛ حتّى أتينا إلى منزل يُسمّى بـ(القائم)^(٢) الساعة الرابعة من نهاره، وكان مسيرنا عشرة ساعات وعلى هذا أغلب منازلنا: وهو موضع [يبعد] عن حافة الفرات بما يقرب من ميل ليس فيه سوى قلعة وهي نقطة لنفرين أو لثلاث من (الجندرمة)، لم نسمع حسّهم ولم نرَ

(١) م.ن.

(٢) القائم: تل أثري على قمته بقايا جدار قائم فيه معالم درج يرتقي إلى اعلاه من الداخل كالادراج التي نشاهدها في المنائر أو الابراج، ويعتبر من المواقع الأثرية التي حافظت على اسمها القديم، فلقد عرفه العرب باسم (القائم الأقصى)....

ظ: جولة في انحاء القائم، صبري سكري، مجلة سومر ٦ (١٩٥٠) ص ٢٤٤ - ٢٤٨.

ناحية القائم: تقع على الحدود السورية في موضع يبعد عن عانة (٩٥) ك، بني فيها محل للحكومة، ومخفر للشرطة، ودائرة للكمرك، وعدد من الدور والحوانيت القروية، مع مدرسة أولية، ومستوصف صحي.

ظ: (العراق قديماً وحديثاً ص ٢٧٢).

شخصهم، وإلى يُميتها (خان قديم) وإلى يسارها (خان جديد) بعد لم يكمل، فنزلنا قريباً من تلك العمارات على فلاة بيضاء لا زرع فيها ولا ضرع وهي مرتفع ينحدر إلى وادي متسع ينتهي إلى الفرات كله مشحون بالغابات (الزور)، وليس فيه سوى شجر الطُرفاء^(١) وهي هنالك أشجار عالية في ضخامة وعظمة تشبه شجر الصفصاف والغرب^(٢)، وتلك الغابة تمتد طويلاً على الشط ما يقرب من ثلاثة أميال، وعرضاً ما يقرب من ميلين، وهي مشتبكة واشجة أشد الاشتباك تتصل أشجارها بالجبل المطل، وعلى سفحه كان منزلنا ومحط القافلة منا، والقلعة والعمارتان على تل عالٍ فوق ذلك السفح، وفي ناحية الشرق عنا جبال عالية وتلوت مرتفعة وعلى أرفعها عمارة شاهقة تُرى من مسافة أميال وهي من الآثار القديمة، فذهبتُ عصرًا مع الصفوة من أصحابنا للصعود إليها واكتشافها فوصلوا إلى نصف الطريق وحاذروا لوعورة الطريق وخوف الغوائل وأصرّوا على منعي فأبيتُ، ولكن دفعتُ إليهم ما معي من ساعتِي والدراهم، وانطلقتُ وارتقيتُ إلى موضع العمارة فلم أعرفُ بَقِيَّةَ أيِّ شيء هي سوى أنَّ الباقي منها مربّع كالأسطوانة في عرض أربعة أذرع مبني بالصخور العظيمة والجص وفي صفحته إلى جهة الفرات بعض النقوش النابتة من العمارة بالجص والحجارة، وفي أسفله مغارات مظلمة كأنها محفورةً جديداً للإطلاع على أساسها أو للعثور على بعض النفائس فيها، ثم رجعتُ إلى منزلي بعد الغروب بقليل، وبعد أداء الفريضة

(١) الطُرفاء: شجرٌ، وهي أربعة أصناف منها: الأثل، وهُدْبُه مثلُ هُدْبِ الأثل، وليس له خَشَبٌ، وإنما يُخْرَجُ عَصِيًّا سَمَحَةً فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ تَحَمَّضُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا لَمْ تَجِدْ حَمَضًا غَيْرَهُ ...

(٢) الغُرب: شجرٌ لا يشمر لتباعده عن الثمرات.

وتناول العشاء وقضاء ما تيسّر من مذاكرة مباحثة (الدروس) أخذنا مضاجعنا فأيقظتنا أجراس الرُّكَّابِ وأصوات أصحاب، وإذا بالمُكَّارِينِ المَكَّارِينِ والحملدارية الحَيَّالِينَ يتلادمون ويتلاومون ويتشائمون فقلنا: ما الخبر؟ ف قيل: قد سرق من الحمل رزمة قريوغ بكل ما فيها، وإذا هي رزمة المسكين صاحبنا الحاج علي خلف الحاج عبد الهادي كُبَّة^(١) الذي عزم يوم مسيرنا وفيه جميع لوازمه وأسبابه، وليس له ولوالدته سواها، فقدَرنا ما فيها من العبي، والجُبِّب، والأقبية الإبريسميّة، وغير ذلك فكانتْ على الأقل خمس عشرة ليرة، فالتزم الحملدار بتغريم المكاري ثمنها، وأبقى ابنه توفيقاً للشكاية عند المدير وقبض أعراب تلك النواحي وحتّى الآن لم تحصل نتيجة.

في أبي كمال

ثم رحلنا السابعة من ليلة الاثنين ٢٢ شوال، حتّى أتينا بلداً صغيراً فيه قائمقام وإدارة قضاء على صغرها تُسمّى البلد بـ(أبي كمال)^(٢)، وفيها جامع ومنازة على أحدث طرزها، وسوق على مناسبتها، وقبل الوصول إلى البلد نفسها أبصرنا - والله الحفيظ - أعلاماً صفراً عثمانيّة، فراعنا ذلك فتحققنا ذلك وإذا هو الحَجَرُ الصحي، والحبال منصوبة، والأعلام على أخشابه المائلة قائمة - نكسها الله ولا أقامها، ولا أرانا إيّاها أبداً إن شاء الله - فاستقصينا الخبر حيث كان ذلك في غاية الغرابة عندنا؛ لأننا من حين خروجنا من (الكاظميّة) لم نسمع لذاك الموحش

(١) علي ابن عبد الهادي ابن مهدي ابن محمد صالح كُبَّة، من التجار.

(٢) قضاء أبي كمال: بدير الزور إحدى محافظات الجمهورية السورية.

بخبر، ولم نجد له لا في قوافل الحُجَّاج ولا في المنازل أثر، فذكروا سبباً غريباً: وهو أنَّ القافلة المتقدمة قبلنا بيوم ضلَّ منها في الغابة غريب إيراني دخلها ذاهباً إلى الشطِّ فلم يعد إلى بعد الظهر فافتقده أصحابه وحدثوا أنَّه غاب في الغاب، فتنادى الحمل والحملدار وجعلوا يفحصون ما بين تلك الأشجار الواشجة وينادونه فما وجدوه إلا قريب الفجر، والحمل تقدَّم أمامهم على ميعاده من الحركة عند طلوع القمر وبقي أنفار في طلبه فلما أصابوه وجدوه في آخر رmq من الحياة من الخوف والجوع والنصب، فجاءوا به من (القائم) إلى المنزل الذي بعده (أبي كمال) فلما جيء به صار لمجيئه والتقاطه همَّاهم^(١) وضجَّة في الحاجِّ على العادة، حتَّى بلغ ذلك الدكتور فجاءه وقال: ان تعافى هذا إلى أربع وعشرين ساعة يلزم الحجر والمراجعة، فما كان - أطال الله لكم البقاء - إلا قليل حتَّى توفي فحبسهم في غربيِّ البلد، ثم وضع الحبال على الشرق من جهة ورود الحاج، فلما وردنا منعونا من دخول البلد حتَّى جاء الطبيب وفتش على الرفقة فلم يجد إلا الصحَّة والسلامة، فرشَّ عليهم تلوثة ورفع الحجر، وصار الرفقة يدخلون البلد ويمتارون وبقي الركب إلى طلوع القمر.

في الصالحية

فارتحل الساعة الثامنة من ليلة الثلاثاء ٢٣ شوال إلى أن أتينا الساعة الرابعة من نهاره إلى فسحة على الفرات ليس فيها سوى المنابت الطبيعية من الشوك و(شجر) الطرفاء وأمثالها وعلى الخصوص الطرفاء، فإنَّها كانت متَّصلة من مسافة

(١) هماهم: جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر.

تسعة أميال على جنبي الجادة؛ ولكنّها غير واشجة كما في ذلك الغاب، ويُسمّى هذا الموضع بـ(الصالحية) وفيه خان معدّ للأجرة على المترددين في ذلك الطريق، وهو صغير ساقط في السفح والجبال مجلّلة له، وبينه وبين الشط فسحة يملؤها الفرات عند أوّل زيادته، وإلى جنب ذلك الخان نقطة فيها بعض الجندرمة، وكان فيما يقابلنا من شرقي الفرات جبالٌ شاهقة وتلال عالية تُرى عليها عماراتٌ مرتفعة تكاد تناطح النجوم وهي كأمثال الأسطوانات والمنابر، ومثل هذا كان في (أبي كمال) أيضاً، فسألنا عن هذه المواضع فقالوا: هي بلاد قديمة قبل الإسلام للفرنج والروم فلما ظهر الإسلام جاء الإمام علي (عليه السلام) فدعاهم فأبوا، وفي (النّهية) نُهي، وفي (القائم) قامت عليه قبائلهم وجنودهم فقاتلهم؛ حتّى أفناهم وبادت ديارهم وبقيت آثارهم، وأهل تلك النواحي على هذا لهجة واحدة لا يختلفون فيه ويُسمّون تلك المواضع بالناغوز والناغوزات بالزاي أو بالسين، وهذا الذي يذكرونه ليس له شاهد من التواريخ أصلاً، ومن المظنون القريب جداً أنّ هذه بلادٌ وأمصارٌ لهراقلة (الشام) قبل الإسلام؛ ولكنّها في حروب (مؤتة)^(١)، و(تبوك)^(٢) وأشباهها مما هو في حياة حضرة صاحب الرسالة

(١) مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وقيل: مؤتة: من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف، وإليها تنسب المشرفة من السيوف، بعث إليها النبي ﷺ جيشاً سنة ٨ هـ وبها قبر جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه) ...

ظ: (معجم البلدان ٥: ٢٢٠).

(٢) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأوّل الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ... غزاها النبي ﷺ سنة ٩ هـ.

ظ: (م، ن ٢: ١٤).

وبعدها بادَتْ وخربتْ لِتفاني أهلها وهجرتهم عنها، وأنَّ فيها كنائس عظمى وفي الكنائس نواقيس عظيمة، وهذه المرتفعات الباقية هي المنارات التي تُنصب عليها النواقيس كما هو العادة من إحكامها واتقانها وارتفاعها، ويكون هذا تحريفاً من الأعراب حيث يسمّونه الناقوس (بالناغوز) والنواغيز ويساعد ذلك في الجملة ما يذكرونه من أنَّهم يجدون في قرب تلك التلال التي عليها تلك العمارات قبورهم، وقد أخرجوا كثيراً من عظامهم وأكفانهم منها، وهي أكفان على ما نقلوا عجيبة؛ فإنَّها من كرباس غليظ جداً معمول ببعض الشمع والأدهان التي تخصّه بأن لا يبلَى، وهذه الأحوال تشهد بأنَّها قبورٌ ملوكهم أو بطارقتهم؛ فإنَّ مدافن هؤلاء في الكنائس أو إلى جنبها حتّى الآن.

وأقمنا في (الصالحية) بياض نهار الثلاثاء وزُلْفَة^(١) من ليلة الأربعاء، وفي غصون ذلك جرينا في ميدان المذاكرة الموظفة فكان مما وقع الإشكال فيه من عبارة (الدروس) قوله: «والظاهر أنَّ استطاعة النذر شرعية لا عقلية، فلو نذر الحجّ ثم استطاع صرف ذلك إلى النذر، فإن أهمل واستمرت الاستطاعة إلى القابل وجبت حجة الإسلام أيضاً»^(٢).

ومحلّ السؤال أنَّه ما وجه تقديم حجة النذر؟ مع أنَّها قبل الاستطاعة هي وحجة الإسلام في رتبة واحدة واجبان معلقان على شرط واحد وهو الاستطاعة، فعند حصوله يتراحمان، فينبغي تقديم الأهم والأهمية لحجة الإسلام بالضرورة، ثم على تقديره ما وجه قيد الإهمال؟ فإنَّ الاستطاعة لو استمرت وجبت حجة الإسلام سواء

(١) زُلْفَة: ساعاتُ اللَّيْلِ الآخِذَةُ مِنَ النَّهَارِ، وساعاتُ النَّهَارِ الآخِذَةُ مِنَ اللَّيْلِ.

(٢) ظ: (موسوعة الشهيد الأول (الدروس الشرعية في فقه الإمامية) ١/ ج: ٩: ٢٣٣.

أهمل حجة النذر أم لم يهملها، وأمّا احتمال أنّ حجة النذر لو فعلها ولم يهملها فهي مسقطة لحجة الإسلام أو متداخلة معها بخلاف ما لو أهملها، فإنّهما تحبسان معاً وتقدّم حجة الإسلام في هذه الصورة، فهو وإن كان غير بعيد عن العبارة ولكنّه بعيد عن الأصول والقواعد جداً. هذا ما حضر لدي بادئ التأمل. والله أعلم بالحقيقة.

ثم انتقلنا إلى بعض المسائل الحكميّة منها الإشكال على البرهان الذي تمسك به صاحبنا الفاضل^(١) المتقدم على كون الواجب هو الوجود لا بشرط لا الوجود بشرط لا. والبرهان: إنّ طبيعة الوجود من حيث هي مع قطع النظر عن سائر الحيثيات والمغايرات موجودة بالضرورة الذاتيّة الأزليّة من غير حيثيّة تقيديّة ولا تعليليّة، ضرورة ثبوت الشيء لنفسه، والعدم ليس بموجود في نفسه حتّى يكون علّة لوجود غيره، ولا ثالث للوجود والعدم وكلّ موجود كذلك فهو واجب الوجود، فطبيعة الوجود واجبة.

والإشكال: إنّ لازم هذا البرهان أن لا تتحقق الموجودات؛ بل تكون كل الموجودات واجبة وهو باطل بالضرورة، فأجاب بأنّ الموجودات الامكانية ليست من طبيعة الوجود وإنما الإمكانية هي ظهورات تلك الطبيعة وشؤونها وتجلياتها وأفعالها، ولا ضير أن تكون الطبيعة واجبة وظهوراتها وأفعالها ممكنة. فقلت: لا ثالث بضرورة العقل للوجود والعدم، فالممكنات الوجوديّة أما أن تكون من طبيعة العدم وهو محال، وأما من طبيعة الوجود فجاء المحذور.

فلم نزل نتجاذب أعنة المراجعة والردّ والإيراد حتّى نودي فينا بالرحيل، فركبنا

(١) الشيخ علي أصغر الهزارجيني المازندراني.

قباينا وسيقتُ رواحلنا في الرابعة من الليل ليلة الأربعاء ٢٤ شوال، فسرنا في ليلة دهماء بفلاة هيماء والسحاب الأسود من قزع^(١) الخريف قد غشى جملة من السماء وكانت الأرض أرض زرع كلّها عثرات وعقبات والظلمة شديدة إذا أخرج بها الرائي يده لم يكذّ يراها^(٢)، فلم يكن بدّ من إشعال السرج والفنرات^(٣) فقيدتُ كل دابة ومعها سراج فامتدتُ الأضوية قطاراً على طول القطار في عرض تلك الفيافي القفار؛ وصار لها منظراً أنيقاً، وما سرنا إلا قليلاً حتّى أصابتُ الرواحل الجادة المستقيمة في أرض سمحة سهلة، وطالعنا عن يسارنا تلك الشّم الهواضب الذي يرتد البصر عن ذراها خاسئاً حسيراً^(٤)، وهو يحدّ تلك الجادة ويتصل بها اتصالاً محدوداً على ميزان قاسطٍ لا يتجاوزه ولا يتعداه، فبقى ذلك الجبل الصلد الأصمّ يُسائرنا ونسايره وأنا أفكر^(٥) فيه وابتهر حتّى بلغنا إلى فوهة فيه وشعب منه، فاستبان أنّ طريقنا منه، وأنّه يلزمنا الصعودُ عليه بمحاملنا وأثقالنا، وكان وقوعه إلى جنبي يملأ بالرعب والهيبة قلبي، فكيف بارتقائه من أرضه إلى سمائه ولكن:

هي النفسُ ما حَمَلَتْهَا تَحْمَلُ^(٦)

(١) القزع: قطع السحاب، الواحدة قزعة وهي رقيقة الظل تمر تحت السحاب الكثير.

(٢) أفاد من قوله تعالى: ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكْذِبْ﴾ سورة النور: ٤٠.

(٣) الفنرات: كذا، والصحيح: الفنارات، جمع فنار: المشعل.

(٤) أفاد من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْجَعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ سورة الملك: ٤.

(٥) أتأمل.

(٦) صدر بيت، لعلي بن الجهم، وعجزه:

وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَغْدِلُ

ظ: (ديوانه ص ١٦٢).

حَقِيقَةُ الْوُتْدِ التَّكْوِينِي

وعلى العلات صعدنا من تلك الْفُوهَةِ فوجدناها مسرَّحة سراحاً حسناً، ولم نجد فيه كثير مشقة - بحمد الله - وكانت الجبال منضودة بعضها على بعض، فإذا ارتقى الراقي إلى جبل وجد في أعلاه سرحة وإلى جنبها جبل فوق الأول، فيسير قليلاً حَتَّى ينتهي إلى فُوهَةٍ يصعد منها إلى الأعلى، وهكذا ثلاثاً أو أربعاً، وكانت الثانية أحسن تسريحاً من الأولى، وهي شعب في الجبل الثاني قد عمل فيه الْعَمَالُونَ وبنوا طرفيها بالصخر والحجارة، وحفروا فيهما نهريْن يميناً وشمالاً لا يبلغ عمقهما نصف متر وعرضهما، كذلك وضع الساقية، وهما متصلان بسفح الجبل وأسفله ليكونا مصباً لمجري السيل وتسلم الجَادَّةُ وهي في عرض حسن بقدر محملين، وأرضها من نفس أرض الجبل لا تجد فيهما شيئاً من الحجارة وغيرها لا قليلاً ولا كثيراً بل ولا من التراب، والحاصل هي ألطف صنع وأحسن نظام فسألنا عن العاملين في هذا المشروع الخيري فقيل: أرباب العجلات من أهل حلب والشركة التي كانت بينهم وبين البغداديين التي انحَلَّت؛ ولو دامت لأصلحت أكثر الطريق هذا الإصلاح لكنَّها لم تربح سوى الخسار، وهذه الجبال أعظم ما شاهدته هذه المُدَّة في تلك المراحل بل في الحقيقة هي الجبل الواحد الَّذِي تَلَقَّانَا من عن يسارنا من فوق هيت، الَّذِي هو ثاني منازلنا من الكاظمية، ولكن ذلك الجبل يعلو تارة وينحط أخرى وطوراً يتجافى ويبعد عنا، وفي حال آخر يتداني ويقرب منا، وهو متصل متسلسل في أكثر من مائة فرسخ حسب الَّذِي أبصرناه وما خفي علينا منه أعظم، هذا من الجانب الغربي. وفي الجانب الشرقي مثله وبمعينة هذه المواضع والتدبُّر فيها اتضح لي وجه كون الجبال

أوتاداً للأرض كما نطق به الذكر الحكيم^(١) وكانت تخطر هذه الآية الذهبية على بالي فلا يفتح لي فيها الوجه المقنع فارجع إلى الجمود والتقليد واقتنع بهما منها، حتى فتح لي بابها صانعها الحكيم المدبر العليم؛ فإن فلسفة معنى الوجود وحقيقته هو الحافظ لهيئة الشيء المؤلف من أجزاء عن تلاشي هيئته وتفرق أجزائه سواء كان من الشيء أو خارجاً عن الشيء، هذا حقيقة معناه ولبه على وجهه الجامع الواسع كل شيء بحسبه وفي كل مقام ما يليق به، ولما قضت العناية الأرضية أن تكون الأرض للإنسان بل لسائر الحيوان مقراً وموضعاً لانتفاعاته وقضاء حاجياته ولوازم تعيشه بل ومماته ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٥] فلا جرم جعلها - جلّت حكمته - ملائمةً مطاوعةً باجتماعها من أجزاء وذرات بسيطة أو مركبة فكانت وهي على هذه الصورة معرضاً للتلاشي والتفرق، ويوشك أن تصبح هباء في أيدي الرياح والزعازع^(٢) فلا محالة فتتق الجبال منها وأرساها فيها ووصل بعضها ببعض وبسط قطع الوهاد الفسيحة بها التي تكون موضعاً للحرث والغرس وسائر الانتفاعات الطائلة التي تكون بها مواد الحياة وبها تمام النظام، فكانت تلك الجبال المستديرة على تلك الفساح كائنة تحفظ ما فيها عن التفرق والتشتت، وجعلها مرتفعة عن الأرض لتكافح بصلابتها تلك المعصرات التي تؤثر في السحب فتعصر ماءها فكيف لا تؤثر في الأرض فتغرق أجزائها، ولكن هذه الرعان^(٣) الشامخة في الأجواء المناطحة نجوم السماء هي التي تقوى على تمزيق

(١) ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ سورة النبأ، آية ٦، ٧.

(٢) الزعزعة: الجمع زعازع، تحريك الأشياء لشدتها.

(٣) الرعان: جمع الرعن: أنف الجبل المتقدم.

تلك الأهواء، هي التي تكون مجناً^(١) للأرض وأوتاداً ومدرء^(٢) لها، وبها ترسو وترسب في تلك التيارات الجارفة، وإن تحركت بحركتها الطبيعية عند قابلها فإن ذلك غير ضائر فيها ولا مضرّ بها بخلاف تلك العواصف التيارة، فالجبال هي الأوتاد التي تحفظ الأرض عن تفرق أجزائها وزوال هيئتها، تربط وتشد بعضها إلى بعض، وهل الوتد إلا هذا؟! وهذا الوجه هو الظاهر البديهي للمتأمل مع العيان والمشاهدة لتلك الآيات الباهرة والمخلوقات العجيبة وهو من فوائد السير في الأرض، الذي أمر الله به في كتابه الكريم^(٣) فيما لا يحصى من المواضع لتَحْصِلَ الفكرة بعظمته وقدرته، والعبرة بآياته الشاهدة على عظيم علمه وحكمته. هذا ما حصل من مراجعة الكتب التكوينية والمطالعة الانفسية، وما أدري ماذا تقول الكتب التدوينية من اللغة والتفسير؟! فإنني لا أستحضر شيئاً ولا يحضرني شيء منها؛ ولعل الحقيقة وراء هذا، وهذا الوجه الذي ذكرناه في الوجدانية هو أحد الحكم والأسرار في الجبال، وفيها هناك منافع وحكم تقصر العقول دونها، أوليست هي خزائن الله ومعادن الثروة الطائلة؟، وقد أردنا هنا تفسير هذا المعنى ليكون شارحاً لقولهم ﷺ (يا من في الجبال خزائنه)^(٤) ولكن طال بنا المقام وخرجنا عن القصد كثيراً.

(١) مجناً: سترأ.

(٢) المدرء بالكسر: ما يدفع به.

(٣) ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ سورة الحج: ٤٦.

(٤) وردت في دعاء (جوشن الكبير) المروي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

في الميادين

فنقول: إنّ تلك الجبال المتراكمة المتعالية ألقنا إلى أرض بسيطة وسبعة مدّ البصر ما وجدت [مُدّة] عمري أرضاً أبسط وأبسط^(١) وأسهل منها، لا تجد فيها ولا قدر إنملة من حجارة أو صخرة أو ما يوجب زلة أو عثرة، وفيها صلابة ملائمة يعلوها من ناعم التراب ودقيقه قدر ما يوجب سهولة المشي.

وبالجملة هي أحسن أرض لطراد الخيول ومنازلة الأبطال وتُسمّى هذه الأرض بـ(الميادين)، وهي (ميادين صَفَيْن)^(٢) تلك الوقعة التي تستك^(٣) منها المسامع، ويحقّ لو تخرّ لها العيون قبل المدامع التي ضحّت ملايين من النفوس الإسلامية، وعلى الآخرة لم ينتصر الحق فيها من الباطل.

وكان على يسارنا تلال ترايية كثيرة متّصلة، بقيت منها آثار قديمة وعمارات فوق التلال مرتفعة من جدران ومنارات وغيرها، تشهد تلك الآثار أنّ هذه التلال كانت بلاداً فبادت وعمرانات فخربت.

فسبحان مَنْ لا يدوم إلّا وجهه ولا يبقى إلّا ملكه وسلطانه.

ثم دفعنا تلك الصحراء الوسيعة بعد السير قريب ثلاث ساعات فيها إلى بلد

(١) اسبط: امتد وانبسط.

(٢) صَفَيْن: وهو موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرقة وبالس، وكانت وقعة صفين بين الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية (لعنه الله) في سنة ٣٧ هـ في غرة صفر، وكانت الوقائع تسعين وقعة، وقد أكثر الشعراء من وصف صفين في أشعارهم ...

ظ: (معجم البلدان ٣: ٣١٤ - ٤١٥).

(٣) تستك: استكت مسامعه إذا صُم.

تُسَمَّى باسم تلك الأرض (الميادين)، فنزلنا خارجها الساعة الرابعة من نهار الأربعاء ٢٤ شوال وهي قضاء ترجع إلى متصرفية (الدير)، وتشهد الآثار بقدمها، وفيها عمارات مستجدة جيدة وغير جيدة، وفيها جوامع ومنارتان قديمة وحديثة، وهي على شاطئ الفرات الغربي، وفيها سوق إلى المدن أقرب، وقد دَبَّتْ فيها بعض نسائم التمدن وهيئات! فكان فيها مكينة طحين ولكنَّ أهلها في غاية التوحش والهمجية وهم مع الإيرانيين على طرفي نقيض وكلاهما سواء في الخشونة وعدم الآداب.

خرج إيراني وقت الغروب فأذَّن وأنت تعرف ما مقدارهم في الجهل وعدم المعرفة، فأنصت له رجل منهم حتَّى قال: (أشهد أنَّ إمامنا إمام المتقين وقائد الغرِّ المحجلين...) إلى آخر الزيارة (عليّاً وليُّ الله...)، فقال له الرجل: (تعلاوة على قلبك) وسبَّه ومضى وأقمنا ذلك النهار.

وفي الساعة السادسة من ليلة الخميس رحلنا في مثل تلك الأرض في سهول لا ترى فيها عِوَجاً ولا أمتاً^(١)، وما مرَّرت بنا مرحلة أسمح أرضاً وأوطى ظهراً وأقوم طريقاً من تلك البسيطة؛ حتَّى أننا لم نجد فيها إلى غايتها ربوة ولا تلعة ولا عقبة ولا عثرة، أما سلسلة تلك الجبال والتلال فقد ترامت عن يسارنا بأميال، وهذه الأرض أيضاً من (ميادين صَفِين)؛ ولكنَّ العجب كلُّه أنَّه لم نجد فيها على سعتها وطولها مرقداً مشيداً ولا مقاماً معلماً، مع أنَّ الحال يقضي بكثرة قبور شهداء (صَفِين) فيها من أكابر الصحابة والتابعين الذين انجلت تلك المعركة وهم ضحاياها؛ ولعلَّ مواضع دفنهم غير مواضع مصالهم^(٢) ونزالهم.

(١) أفاد من قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾ طه، آية: ١٠٧.

(٢) مصالهم: مكان صولاتهم في الحرب.

في الدير

وعلى أيّ فقد وصلنا بمنّه تعالى الساعة الرابعة من نهار الخميس ٢٥ شوال إلى بلد (الدير) وكان ركوبنا إلى هذا المنزل والذي قبله عشر ساعات وأثنى عشر ساعة ركوباً واحداً وحَقّاً (إنّ المعونة تنزل على قدر المؤونة)^(١)، ما كنتُ أحسب أنّ هذا الضعيف تدوم صحّته على أقل من النوم الضروري الطبيعي المقدّر بست ساعات من مجموع الليل والنهار، وفي طول هذه المدة ما اتفق لي النوم أكثر من ثلاث ساعات من تمام الأربعة وعشرين، أمّا الليل فأكثر سيرنا فيه، وإذا دخلتُ محملي أذهبتُ حركته وهزّته كلّ سِنَّة ولو كنتُ قد سهرتُ سنّه، على عكس كافة أصحابي فإنّه لهم كهزة المهد يرقدون حتّى ينزلون، وأمّا النهار فما كان يتسع الباقي منه بعد السير وقضاء الضروريات لأكثر من نوم ساعتين، وعلى النادر ثلاث؛ ولكنّ - الفضل والمِنَّة لله - لم أجِدْ له في وهنِ صحتي أثراً. وقبل الوصول إلى نفس (الدير) بأربعة أميال فأكثرُ طالعتنا مناراته العالية الأنيقة فعددناها فكانتُ ست منائر كلّها بيض على طرازها الحديث.

ثم غَبَّ يسير لاحت لنا البلد بتمامها وذلك لبساطة الأرض وتسطيحها، ثم تلقّنا الفرات بذلك الوجه الطليق والمنظر الأنيق فسايرنا قدر ميل؛ ولكنّه في عمقٍ عن أرض الجادّة، شاسع لارتفاع الأرض وانخفاضه، ثم انحرف عنّا أو انحرفنا

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: والذي بعث جدي (صلوات الله عليه وآله) بالحق نبياً إنّ الله (عز وجل) ليرزق العبد على قدر المروءة وإنّ المعونة تنزل على قدر المؤونة، وإنّ الصبر ينزل على قدر شدّة البلاء.

عنه حتّى وردنا البلد، وكانت خيامنا قد ضربتُ أمامنا خارج البلد متّصلة به، وريثما أخذنا طرفاً من الإستراحة دخلنا البلد لسحب التيلغراف إلى (النّجف)، فوجدناها من البلدان العامرة والأمصار، لم نرَ شيئاً لها في كلّ ما مررنا به بل ولا شبيه لها في (العراق) كلّهُ إلّا محلّة (العباسيّة)^(١) من (كربلاء)؛ فإنّ أزقتها وشوارعها وأسواقها بتلك الهندسة وبذلك التفصيل سوى أنّ هذه تفوق تلك بأمرٍ كثيرة من الفراهة والنزاهة والبنيان لطرفيها الآخرين الذي هو محلّ المرور بالصخر الحسن المنحوت على شكل لطيف، وأكثر دورها وقبورها وجوامعها ومناراتها مبنية بالصخر المرمر العال الذي هو كالمرآة، وهو أبذل شيء هناك؛ لأنّ معدنه جبل قريب من البلد جداً ومنه يحمل إلى سائر الأطراف، والآن مشغولون ينحتون منه لفرش الحرم المقدس الحسيني - صلوات الله على مشرّفه - والعزم على الإقامة فيها يومين أو ثلاث للاستراحة وإمطة وعشاء السفر.

وبمعونة الله - تعالى - وتسهيله سوف نذكر شرطاً من أحوال البلد وما نقف عليه منها في الأجزاء الآتية فإنّ العزم - بمعونة الله - على اطراد هذه المقالة إلى حيث يشاء الله لنا من هذا السفر ومنه نستمد وعلى جوده وكرمه نعتمد.

(١) محلّة العباسيّة: تقع إلى جنوب المدينة، وقد اختطت في عهد الوالي (مدحت باشا)، وتعرف بالجديدة، وقسمت إلى قسمين:

العباسيّة الشرقيّة: وهي التي تقع إلى شرق شارع العباس.

العباسيّة الغربيّة: وهي التي تقع إلى غرب شارع العباس.

ظ: (تراث كربلاء، سلمان هادي طعمة، ١٠٤ - ١٠٦).

متفرقات^(١)

• جميع أهالي هذه الصفحات عرب لا دخيل فيهم أبداً وكلهم شافعية، وليس للجعفرية فيهم عين ولا أثر، نعم للإمام عليّ وأولاده عليه السلام ذكر عظيم ومقامات كثيرة وكرامات على ألسنتهم شائعة، وللشيخ عبد القادر^(٢) عندهم شأن عظيم وأكثر قسمهم به.

• مسيرنا من (الكاظمية) إلى (هيت) تغريب^(٣) محض، ومن (هيت) إلى (الدير) إلى خط الشمال، ومن (الدير) إلى (الشام) نعود إلى التغريب؛ ولهذا كان هذا الطريق سلوكاً من الجهة البعيدة جداً، وإلا فمن (هيت) إلى (الشام) ثمانية أيام بخط مستقيم إلى الغرب، ولكن لعدم الماء وال عمران فيه تعدل عنه القوافل والسابلة وتسلك هذا الفج العميق الذي يُفنى الصبر فيه ويقطع آباط الإبل^(٤). وفي كل يوم سفر جديد وحلّ وارتحال ومتاعب شديدة فوق العادة مع ما فيه من لزوم صرف الأموال الباهظة والمصارف الطائلة، فإنّ جميع الأجناس في جميع هذه

(١) العنوان من المؤلف.

(٢) عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي دوست بن أبي عبد الله بن عبد الله الجيلي ثم البغدادي، الزاهد، ويسمونه (سيد أهل الطريقة)، ولد سنة [٤٧٠ هـ] بكيلان، وتوفي سنة (٥٦١ هـ)، بلغ من العمر تسعين سنة.

ظ: (الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب (ت ٧٩٥ هـ)، ٣: ٢٩٠ - ٣٠١).

(٣) التغريب: النفي عن البلد.

قال السيد عبد الستار الحسني: ليس المراد هذا المعنى المذكور في معجمات اللغة بل مراد الشيخ عليه السلام أنّ مسيرهم كان نحو الغرب بلا ميل ولو قريب إلى اليمين أو الشمال، أي بخط نازل من الشرق إلى الغرب باستقامة كما يدل عليه السياق.

(٤) الآباط: جمع إبط. وضرب الآباط كناية عن شدّ الرّحال وحثّ المسير.

المنازل لا يبذلها أهلها للحاج إلا بأضعاف أثمانها، والخوف والخطر في أكثر المراحل شديد، وقد بقي لنا إلى (الشام) عشرة منازل جملة منها شاقة لعدم الماء إلا من بئر مالحة، ولطول المسافة حتّى أن بعضها يستلزم ركوب يوم وليلة بتمامها لا يحطّون فيها إلا للصلاة، ونذكر - إن شاء الله - ما نشاهده منها، وفيها (تدمر) التي هي من العمارات الباهرة التي يقال إنّها: من بناء الجنّ لسليمان بن داود عليه السلام.

• أمس ليلة الخميس ٢٥ شوال، نزلتُ من راحتي سحراً فنظرتُ إلى المشرق وإذا بكوكب مذنّب مستطيل الذنب وان كان ضعيفاً لقرب القمر منه.

• اليوم صباحاً زارنا في خيمتنا جماعة من أهل (الدير) وبعضهم من الطلبة وأهل العلم وجرتُ مسائل كثيرة بيننا منها مسألة المتعة وغيرها.

• وكان قد زارنا في (أبي كمال) السيد محمد حسين الصدر^(١) بعمامته الخضراء الشامية وجبته الزرقاء وطرزه الحديث، عرفني وأنا له منكر، حتّى تصافحنا وأدينا رسوم الآداب، واليوم أيضاً زارنا صباحاً مع جماعة من الحاج، ونسأله - تعالى - أن يتم لنا ولإخواننا بالخير - إن شاء الله -.

• دخلنا (للدير) يوم الخميس ٢٥ شوال، وبقينا فيه ليلتين وثلاثة أيام، وطفنا في أكثر شوارعه وأطرافه، والتقينا بجملة من أمرائه، وعلمائه، وأشرافه، وهي من أمهات الأمصار الكبيرة، ويصحّ أن يقال: إنّها أوسع من (بغداد)؛ ولكنّها متصرفية، وأوّل خطّتها والإدارات التابعة [لها] (القائم) المنزل المتقدّم وهو ناحية

(١) هو السيّد محمّد حسين ابن السيد هادي الصدر (١٢٨٨هـ - ١٣٣٠هـ) من أعلام أسرته

ووجوهها، حجّ بيت الله الحرام سنة ١٣١٧هـ وسنة ١٣٢٥هـ وسنة ١٣٢٩هـ

ظ: موسوعة السيّد شرف الدين (بغية الراغبين) ٧: ١٣٥٩.

لقضاء (أبي كمال) التابع (للدير)، فمتهى خطّه (العراق) وحكومتها إلى هناك، ومبدأ الدخول في تربة (الشام) وهوائه من ذلك، ثم (الميادين) وهو أيضاً يتبع (الدير) ويتبعه أفضية أخرى ستأتي - إن شاء الله تعالى -.

في الدير

أما هذا البلد فمن أزهى البلاد وأبهاها، وكانت قبل من أسقطها وأدناها على وضع القرى الغير المنتظمة، وقبل سنتين أو ثلاث جعلوها على تنسيق جديد وطرز حديث وهندسة بارعة، وقدرّوا الشوارع على نسق واحد وسطه سبعة أمتار، وفي طرفي الشارع جادتان مفروشتان بالصخور المربعة المستطيلة يبلغ عرض كلّ جادة مترين؛ بل ونصفاً، لا تتقدم دار عن دار، ولا ينحرف جدار عن جدار، وفي شارعها العام جملة من الأضوية البرقية، وكل أبنيتهم بالصخور والجص الممتازين، والصخر عندهم ثلاثة أنواع: مرمر وهو ألطفها، وكلس، وحلاني وهو أقواها، وهذه الأنواع كلّها عندهم أبذل وأيسر من الحجار في سائر الأقطار؛ ولذلك تجدها مشتملة على القصور المنيعة والحصون الشاهقة على أبداع شكل وأنسق طرز، وبيوتهم في غاية الفراهة والسعة والتزويق بتلك الصخور المرمرية المختلفة الألوان المنحوتة على أشكال شتى وكيفيات مختلفة، وهي مصقولة بأحسن صقال حتّى تجد أكثرها أصفى من السجنجل^(١)، وعلى أبواب أكثر دورهم وإداراتهم صخرة كبيرة موضوعة فوق الباب منحوت فيها أمّا آية قرآن، أو فقرة حديث، أو أبيات شعر تناسب المقام، ولكن أكثر ما وجدته من تلك الأشعار

(١) السجنجل: المرآة النقية .

ليس فيه من شرائط الشعر سوى القافية، نعم وقفتُ على باب دار شاهقة يحار البصر من حسننها وإتقانها وعجيب هندستها وأنواع صخورها، وكانت على الباب صخرة فيها أبيات شعر أعجبتني سلاستها وفي آخرها تاريخ عمارتها وأول الأبيات:

يا دار لا دارَ فيكَ الهمَّ والحَزَنُ والسوء لا مَسَّ قوماً فيكَ قد سَكَنُوا

وفي آخرها:

داموا ودُمَّتْ بأفراحٍ يُؤرِّخُها حِصْنٌ عُجَابٌ وَقَصْرٌ مُتَقَنَّ حَسَنٌ^(١)

ثم قبل الظهر من يوم الجمعة دخلنا الحمام فوجدناه من الحسن والنفاسة، والسَّعة بالمحلِّ الفائق والمقام الراقي، وكلَّه على أعمدة الرخام العالية المُشكَّلة بلطف الأشكال، مفروشا بتلك الصخور المعجبة، والعمدة في تفوق هذه البلد وتقدّمها وجود تلك المعادن الصخرية إلى جنبها، فإنَّها في جبل في غربها يبعد عنها بساعة أو ساعة ونصف؛ ولعلَّه ذلك الجبل الممتد المستطيل الذي يسمح في كلِّ مسافة ما يذخره من ذخائره ونفيسة من معادنه وجواهره، وفيها جوامع كثيرة أعظمها ثلاثة:

(الجامع العمري)^(٢) الذي أسَّس في زمان الخليفة عمر بن الخطاب التي فتحت هذه البلد في أيامه، وهو جامع البلد وفي وسطها الحقيقي، وفيه أرفع المنارات المبنية بتلك الصخور المربعة المستطيلة البيضاء، وهكذا سائر منارات

(١) تاريخ البيت الشعري هو (١٣٢٦هـ).

(٢) جاء في (أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية) ص ٣٩١ مانصه: (جامع سيدنا عمر بن الخطاب في سوق باب السريجة قبالة شارع الشيخ حجاز (زقاق الخطاب) ولا تحمل اللوحة المثبتة فوق ساكف بابه أية إشارة لتاريخ بنائه سوى عبارة: (جامع سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جلد ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م).

جوامعها التي تطالع الرائي من مسافات بعيدة، ولا سيّما في النهار إذا ضربت بها أشعة الشّمس فاستنارت كأعمدة النور، ويذكر أهل البلد من خاصّتهم وعامّتهم أنّه تفوحُ في هذا الجامع نصف الليل ونصف النهار عند الظهر رائحة طيبة؛ وذلك لأنّ رأسَ سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) وضع فيه من نصف الليل، وارتحلوا به نصف النهار حين ساروا به إلى (الشام).

والجامع الثاني: (جامع الشارع العام)، والثالث: (جامع الصراي).

وفي كلّ تلك الجوامع من الأضوية والمعلقات شيء كثير من النفائس وكذلك الأفرشة وغيرها، وبعد الظهر جاء إلى المخيم أفنديان عليهما لوائح الهيبة والجلال، ومعهما غلام يافع كأنما خرجوا للتنزه والترويح، فلما بصروا بي قصدوني لمحليّ فسلموا ورحبوا بهم فجلسوا في الخيمة وتعرفوا مني وطني وحسبي ونسبي؛ ولكنّهم كانوا يتكلفون العربية وجعلوا الترجمان بيننا ذلك الغلام، فكانت الملاحظة والظرافة تتناثر من فمه، بيد أنّه كان يتكلم بحماس وحِدّة مع غاية من النزاقة - مكان بعض الأخوان خالي في مثل هذه المقامات وأنا لا ازال أذكره بنفسي عندها -، وعرفّوني أنفسهم، فكان أحدهم: رئيس جزاء المحل وهو من أهل (قونية)^(١)، والثاني: مدير المعارف من أهل (أنقرة)^(٢)

(١) قُونِيَّة: من أعظم مدن الإسلام بالروم، وبها سكنى ملوكها، قال ابن الهروي: وبها قبر أفلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع
ظ: (معجم البلدان ٤: ٤١٥).

(٢) أنقرة (انكورية): مدينة مشهورة بارض الروم، غزاها الرشيد وفتحها. وفي (دائرة المعارف الإسلاميّة ٣: ٧٠-٧٦): اسم عاصمة الجمهورية التركية، وتعرف عند الغربيين باسم (انكوره).
ظ: (اثر البلاد واخبار العباد ص ٥٠٦).

والغلام ولده وهو في المكتب الإعدادي، وخضنا في مواضيع شتى ومطالب مُتفرّقة أكثرها حديث (إيطاليا) و(الدَّوْلَة العلية)^(١)، ثم بعد مُدَّة ودعوني وانصرفوا، فخرجتُ للوضوء والتهيؤ للصلاة وإذا بأفندي ذي شبيبة بهية وجسم ضخم، كان رآنا عند المتصرف وكُنَّا ذهبنا إليه لعرض الحال في أمر السرقة، فسحب بتلغراف إلى قائمقام (أبي كمال) يلزمه بها، فقال ذلك الأفندي: جئتُ لزيارتكم فرحبنا به وجلس وأطال، فعرفنا أنَّه مدير المكتب الإعدادي وألزمنا بزيارته في المكتب، وكان عربياً حسن اللهجة وهو (نقشبندي)^(٢) لا يخلو من معرفة وممَّا استشهد به في ما يناسب البيتين المشهورين :

إذا ضاقت بك الدنيا تفكر في ألم نشرح
ففسرين بفسرين إذا تقرأهمما تفرح

واستشهد أيضاً من الفارسيّة فيما يناسب:

مرا به كعبه جه حاجت كه جار ديوار است طواف كعبه من ديدن رخ يار است

وكان ممن أنس إلينا وواظب على الحضور في محلّنا صباحاً وعصراً رجل من طلبية (الدير) وإماميّ في بعض جوامعها يُسمّى بـ(ملاً نهري)، وكان حاضراً إذ ذاك، وهو يكثر من السؤال والمذاكرة في الفروع والأصول، وهو شافعي ليس عنده إلا حفظ بعض فتاوي الشافعي، ولكنّه يخوض في كل شيء ويسأل عن كل شيء، وأزيف الغروب قلنا لصاحبنا (النهري): إنّا نريد الرواح إلى الشط

(١) الدَّوْلَة العثمانيّة.

(٢) نسبة إلى النقشبندية.

والسير في البلد، فسار بنا إلى الشط فرأينا شيئاً معجباً وأمرأً غريباً، وذلك أنّ الشط ينقسم هنا بشعبتين: تتصل إحداهما بالبلد، والثانية إلى شريقيها، وبين الشعبتين جزيرة كبيرة يبلغ عرضها ميلين وطولها خمسة، وكلّها بساتين أنيقة زاهرة فيها من كل أنواع الفواكه سوى النخيل، وخلال البساتين قصور كلّها بذلك البديع من الصخور والرخام الرائع، وبين البلد والجزيرة على الشعبة الأولى جسر من حديد وخشب قائم على اسطوانات من الصخر المربع مبنية بالكلس والنورة والرماد وسط الشط يبلغ عددها عشر اسطوانات على خط مستقيم يبلغ طول الواحدة سبعة أمتار في عرض ثلاثة قائمة الجسر كأحسن ما يكون من الاعتدال، وهي مبنية بتلك الصخور في غاية الإتقان والإحكام، ومثل هذا الجسر جسر على الشعبة ينتهي إلى شرقي الفرات طرف الجزيرة؛ ولكنه بعد لم يكمل، قد بُنيت أكثر أسطواناته ولم يُعقد سقفه، وقد ذكروا لنا في كيفية بناء تلك الأساطين وسط ذلك اللجّ الغامر ما يقضي بالعجب في تفريغ الماء وكبس البناء في محلّه، وهم يبدلون في ذلك الأموال الطائلة وتلك الأساطين بمقام من الإتقان والإحكام حتّى أنّها لتكافح شدة جري ذلك الماء المنحدر أشدّ الإنحدار وهي غير مكترثة به ولا متأثرة أقل أثر منه.

ثم رجعنا بعد الغروب وسلكنا الشارع الذي هو وسط البلد فدخلنا من طرفه الشرقي وخرجنا بخط مستقيم من جانبه الغربي إلى خارج البلد، فكان عرض البلد يقرب من ميلين تخميناً، أمّا طولها على الشط فقد ذكروا أنّه يبلغ أربعة أميال.

والحاصل أنّ الأحوال والآثار تشهد باستعدادها وسيرها إلى أعلى مراتب الرقي والعُمران والتّمدن الفائق بحيث تقع في صف أمّهات الأمصار المتمدنة

بأسرع زمان، وهي لدى الحال مركز للأمصار العظيمة كـ(حلب)، و(الشام)، و(بغداد)، و(الموصل)، و(ديار بكر)^(١)، وغيرها، فإنّها واقعةً وسطاً، تستدير عليها تلك البلاد على نسب متقاربة والقوافل والسابلة تتوارد عليها من تلك الخطط والقارات وفيها أسواق كبيرة، ومغازات حافلة، وخانات واسعة، والفواكه الشهية، وقد متعتنا ببطيخها الأخضر (الراقي) الممتاز من (عانة)؛ حتّى أتيناها فوجدنا فيها منه ما لم نر مثله مُدّة العمر وقد تبلغ الواحدة عشرين حقة أستانة أو أكثر، وأكثره في غاية الحلاوة والحمرة والرقّة، وسائر ما يطلب في ذلك الثمر وهو بقيمة بخسة على الحاج فضلاً عن أهل البلد، ويباع بالعدد على نسبة الصغر والكبر، أخذنا يوماً منه عدد سبعة تبلغ وزنة النّجف بل تزيد في ربع مجيدي، ومن الغريب عندهم أيضاً الباذنجان فإنّ الواحدة عندهم تبلغ الحقتين والثلاث وهو مع الرقي عندهم قد يحول تمام السنة، ومثل ذلك بل أحسن عندهم الرمان فإنّ عندهم ما لا يوجد في كل العراق مثله، وقد حملنا من هذين الثمرين قدر حمل استأجرنا له دابة مستقلة تحمله معنا فيما بقي من طريقنا، أمّا أهلها والسواد الأعظم منهم فهم وإن كان الجمال والجميل فيهم قليل؛ ولكنّهم أهل بشاشة وتألّف ولا سيّما لمن هو من عنصرهم من العرب، وللمتوحشين منهم في العرس عادة عجيبة وذلك أنّي كنتُ ذاهباً عصراً إلى البوست^(٢) لدفع المكاتيب فرأيتُ حفلة بنات وغلّمان يغنون ويصفقون والطبل يضرب أمامهم وبينهم امرأة في أتمّ الزينة

(١) ديار بكر: ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق، قصبتها الموصل وحرّان، وبها دجلة الفرات

ظ: (اثر البلاد واخبار العباد ص ٣٦٨).

(٢) البريد (post): كلمة انكليزية.

والملابس الجيدة؛ ولكنها مكشوفة الوجه تصفق وتغني معهم، فسألت ما الخبر؟ فقالوا: عروس تزف لزوجها، فقلت: وأين هي؟ فقالوا: هي تلك المتزينة، وكان ذلك في أطراف البلد وأقصى المعمورة منها.

وفيهما للدقيق مكنيات في أماكن متعددة. واليهود هناك والنصارى في غاية القلة، ولا سيما الأول ولكن ما يوجد منهم لا يمتاز، وهي على العكس من (حلب) فإنَّ المسلم هناك قليلٌ معدود على أنه لا يمتاز عن غيره.

مسائل الشافعي

أما المسائل التي سئلتنا عنها وجرت المذاكرة هنالك فيها فهي كثيرة: منها مسألة المسح في الوضوء وأنه ما دليل الجعفرية عليه؟ فقلنا: إنَّ ظاهر الآية الشريفة^(١) معهم وأنتم قد خرجتم عن الظاهر وعدلتم عن القريب إلى البعيد.

ومنها مسألة الاستحالة قال صاحبنا النهري: إنَّ الشافعي ينكرها إلا في صيرورة الخمر خلأً؛ لدليل خاص ورد فيها، فقلت: فالإنسان يلزم أن يكون عنده نجساً؛ لأنه كان نطفة، فقال: هو لا يقول بنجاسة النطفة ولكن يقول بنجاسة الودى، والمذي، والبول، فقلت: قد كان دماً، فقال: في الباطن ليس بنجس، فقلت: كيف وقد أوجب الشرع فيه الغسل وما أوجب بالبول سوى الوضوء، وهذا يدل على كونه أشدَّ نجاسة منه، فانقطع وغفل عن كونه قياساً لا يقول به الشافعي.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ سورة

و سئِلْنَا عن دليل المتعة فقلنا: آية ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [النساء، من آية ٢٤] فقال: نسخت بآية ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلِإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون، من آية ٦] فقلنا: هي زوجة وإن اختصت ببعض الأحكام، وليس هذا ببدع في شرعة الازدواج وأحكام الأزواج فَإِنَّ الصَّغِيرَةَ زوجة، ولا يجوز وطئها ولا تجب نفقتها على أنها ترثه ويرثها ولهذا نظائر كثيرة.

و سئِلْنَا عن الرؤية هل تقول بها الإمامية أم لا؟، فقلت: ينكرونها أشدَّ الإنكار، فقليل: وما يقولون في مثل قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة، آية ٢٢] فقلت: يقولون بما تقولون به أنتم في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح، من آية ١٠] وأمثالها، فقال: هناك بمعنى القدرة، فقلت: وهنا بمعنى الرحمة أو القدرة أو ما أشبه ذلك، فقال: أفهي محال؟، قلت: نعم البصرية محال عند ذي البصيرة، فقال: أويطلب الكلیم المحال حيث قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الاعراف، من آية ١٤٣] فقلت: غرض الكلیم الإراءة لا الرؤية، فَإِنَّ قومه اضطروه إلى أن يريهم الله حيث قالوا: ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء، من آية ١٥٣] فأراد أن يدلهم على استحالة ذلك في حَقِّهِ وهو كلیم الله فكيف بهم، ثم قلت: فإذا كان قد طلب الجائز فلماذا لم يقع مع طلب الكلیم؟، والمسؤول جواد كريم، فقال: طلب رؤية في الدنيا وهي لا تكون والذي نقول به: الرؤية في الآخرة، فقلت: إذاً قد طلب المحال. فتلعثم وتكلم ولم يأت بشيء، فقلت: وأنا أرجو أن يكون النزاع بين الطائفتين لفظياً فَإِنَّ الأشاعرة لا يقولون بالرؤية التي تستلزم الجسميّة والتحيز وأمثال ذلك، فقال: لا،

فقلت: فهذه هي الرؤية الجنايية التي نقول بها، ونقول بها حتى في الدنيا، قال سيّد العارفين: (أفأعبد ربّاً لم أره)^(١) نعم أنتم تقولون: بهذا البصر، ونحن نقول: هو أحسنّ وأحقّر من ذلك والأمر حينئذ سهل.

وسئّلنا عن الدليل على عصمة الأئمة عليهم السلام، فقلنا: هو الدليل على عصمة الأنبياء عليهم السلام وهو حكم العقل بقبح نقض الغرض؛ وأنّ الغرض من البعثة لا يحصل أو لا يتم إلا بعصمة الرسول، وحكم الحافظ والنائب حكم المبلّغ والمنوب مضافاً إلى آية التطهير^(٢) والذنوب أرجاس وقد طهّروهم الله عنها، والقدر المتيقن من أهل بيت النبي بنته وبضعته فاطمة وأولادها عليهم السلام، فتكلم بما لا طائل فيه والرجل لم يكن من فرسان النقض والإبرام والكر والإقدام.

وسألني مدير المعارف وكان رجلاً في غاية العقل والتمتانة وصحيح الحرية، فقال: بعد المحادثات التي تتعلق بلزوم اتحاد المسلمين من أيّ ملّة ودولة كانوا، وأنّه يجب على أهل العلم مثلك أن يعظوا الناس والجهّال ويعرّفوهم لزوم التناصر والتعاون، وأنّ الإسلام قد بلغ منتهى الضعف وأن يتركوا اليوم نزاع عمر وعلي ويجعلوه عقيدة في القلوب كل على اجتهاده، وما يراه بينه وبين ربّه

(١) ورد هذا الحديث الشريف في كتاب (الكافي، للشيخ الكليني ١: ٩٨) ونصّه: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء خبرٌ إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنتُ أعبد رباً لم أره، قال: وكيف رأيتَه؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان.

وورد في (مستدرک نهج البلاغة ص ٦١) باختلاف يسير.

(٢) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ الاحزاب من آية ٣٣.

كمشارب الفقه والتصوف من الحنفي، والشافعي، والقادري، والرفاعي وأمثال ذلك، التي لا تقتضي تنافراً وتباعداً بين الفريقين، فوجد منّي موافقة وتأيداً لكلامه عن جدّ حقيقة ورغبة في ذلك صداقة. فلما انتهى الكلام قال لي: أنت في النّجف معلّم أم متعلّم، فقلت: معلّم يتعلّم ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: من آية ٧٦]، ثم ذكرتُ شرطاً من أحوال (النجف) وما فيها من أهل الفضل والعلم وسائر الكمالات، وكان يدّعي الصداقة الأكيدة مع قائمقامها الحالي عزيز أفندي^(١)، فقال: إذا يلزم أن آخذ رخصة وأمضي للزيارة؛ فعرفته أن النّجف فيها الأمم المختلفة، والأنواع المتفرّقة، والعناصر المتغايرة، ولعلك لا تحظى بزيارة أهل الفضل منهم؛ فليكن قصدك زيارة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام وإن حصل غير ذلك فذاك خير زائد، فأنعم بالجواب.

وللحكومة هناك من القيام بالوظائف والنفوذ ما ليس مثله في (العراق)، وقد كانت البوليسية والضابطة في أشدّ المراقبة على محافظة قوافل الحج، - والله هو الحفيظ - وكانت لا تبارحهم طول الليل تطوف حولهم وتستدير على مخيمهم وكان فيهم بوليس أنس إلى رفاقنا وكان يكثر زيارتنا، فوجدناه رجلاً في غاية التنبه والفطنة والعقل والرزانة سمّى لنا نفسه (محيي الدين) وأنه بغدادي سكن (الدير) ودخل في هذه الوظيفة وهو شافعي الفروع، رفاعي الطريقة، وكان شديد الولاء لأهل البيت عليه السلام، لهجاً بذكرهم وذكر كراماتهم فتجارينا في مطالب منها

(١) عزيز بك: كان قائمقاماً للنّجف خلال سنتي (١٩١٠م - ١٩١١م) وهو من قيادي جمعية الاتحاد والترقي. أشيع عنه أنه كان مكلفاً عن مهمته قائماً للنّجف، بالتخابر مع العاصمة استانبول في الأمور المهمّة التي تخص ولاية بغداد...).

شعر الشافعي^(١) والرفاعي^(٢) في مدح الأمير، فقرأ لنا وقرأنا له، ثم تلوتُ له البيتَين عند زيارته لمرقد النبوة وهما:

روحي على البعد منكم كنتُ أرسلها تقبل الأرض عني وهي نائبتني
وهذه نوبةُ الأشباح قد حَضرتُ فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي^(٣)

فقرأ لي لها تخميساً وتشطيراً وحيث لم يكونا بالمحل الفائق لم نحفظهما عنه، ومما ذكرناه له قول الشافعي:

لو أن المصطفى أبدى محلّه لخرّ الناس طراً سجّداً له
كفى في فضل مولانا عليّ وقوع الشك فيه أنّه الله^(٤)

فأخرج الممداد والورق ونسخهما، ولما رأيتُ حسن محاورته قلتُ له: أقرأتَ شيئاً من العلوم؟، فقال: لا، ولكن خدمتُ بعض الأكابر ولقيتُ بعض الأفاضل أمثالكم فحفظتُ بعض المطالب عنهم، والعلم في الصدور لا في السطور، فقلتُ له: نعم (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء)^(٥) وأنت منهم - إن شاء الله تعالى -، وذكر أنّ شيخ طريقته سيّد حسيني في (الدير) مجاز من سيّد كبير ناء، ووعدنا أن يأخذنا إليه أو يأتي به إلينا، ولم تسعُ المهلة كما لم يمهلنا السفر والأشغال لزيارة

(١) محمد بن إدريس الشافعي، إمام الشافعية، (ت ٢٠٤هـ)، من كتبه كتاب الأم، وأحكام القرآن وغيرها.

(٢) أحمد الرفاعي، الفقيه الشافعي الأشعري الصوفي (ت ٥٧٨هـ).

(٣) لم على اعثر على قائله.

(٤) لم أعثر عليه في ديوان الشافعي.

(٥) ظ: (الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥: ٢٥٠).

أولئك الأفاضل الأطياب مدير المعارف، ورئيس الجزاء، ومحمد شاكر مدير المكتب الإعدادي، ولا سيّما الأخير فإنّه وعدنا إذا زُرناه أن يدفع لنا كتاب تفسير (سورة عبس) لمرشد النقشبندية الذي هو حالاً في إسلامبول، وكان في زمان عبد الحميد^(١) المخلوع منفياً إلى طرابلس الغرب، وقد بقي فيها أربعة عشر سنة، وعند إعلان الدستور رجع وهو يبالغ في كل كمالاته وفضله وبالأسف أننا لم نحظَ بكتابه ليدلّنا على ما ذكره ويكون شاهداً له على الصدق أو الخلاف.

وبالجملة فمجال الكلام لنا في هذه البلد كان باتساعها واسعاً لولا ضيق الوقت، وأغرب وأعجب ما فيها جوامعها ومناراتها المبنية كلّها من الأرض إلى أعلاها بالصخر المنحوت المقرنص، والرّخام الملوّن على أبدع شكل وأنسق نظام، نعم هم يقولون: الجوامع في الاستانة، والحمّامات في الشام، والخانات في حلب.

ثم إنّنا يوم السبت ٢٧ شوال اشتغلنا في تزوّد الأمتعة واللوازم الضرورية من (الدير)؛ حيث إنّ أزوادنا التي تزوّدناها من (الكاظميّة) بحسبان أنّها توصلنا إلى (المدينة) ولا أقل إلى (الشام) قد نفدت لدى الوصول إليه أو قبله، فاعتدنا بمثلها بل زائداً عليها؛ فإنّنا حملنا منها حتّى اللحم، والباذنجان، والطماطة، والرّقي، والرمّان؛ فضلاً عن مثل القند، والجاي، والفحم، والخطب، واستكثرتنا من حمل الماء من الفرات معنا في المزاد والقرب؛ لأنّ الماء قدر منزّلين ماء بئر

(١) عبد الحميد خان الثاني نجل عبد المجيد الأول جلس على سرير السلطنة بعد خلع أخيه (سنة ١٢٩٣هـ)، خلع بفتوى من شيخ الإسلام وتصديق مجلس المبعوثين سنة ١٣٢٧هـ وأقيم أخوه محمد رشاد مقامه، أرسل الى سلاتيك وحجر عليه في قصر الجيش ثم نقل من سلاتيك الى اسلامبول، وبقي فيها حتّى مات (سنة ١٣٣٤هـ).

ظ: (دوائر المعارف: للسيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي ص ٧٥).

وبيء لا يشرب، وكان ذلك اليوم يوماً مغبراً ذا ريح عاصف، وعجاج حاصب^(١)، يلطم الوجوه والعيون بالحصى والرمل، لم ننتفع فيه بشيء إلا بتكلف جمع الأمتعة من الأسواق.

إلى الشام

ثم ودعنا الفرات - أعادنا الله إليه ولا جعله آخر العهد منه - فأخذ هو على مجراه من خط الشمال موازياً للجدي، وأخذنا نحن خط المغرب مستقيماً كما سرنا عليه أولاً عند الخروج من (الكاظمية)، وانحرفنا عنه شمالاً من (هيت)، وقوافل (حلب) تسري على الشط إلى مسكنه ومن (الدير) تفرّق عن قوافل (الشام)، وفي الساعة الحادية عشر من آخر نهار السبت رحلنا وصرنا ننحدر انحداراً شديداً كأننا ننزل إلى بئر عميقة ولكن تسريحاً، وهذا مما يدلّ على انخفاض (الشام) عن (العراق) كثيراً ولم نزل ندلج^(٢) ليلاً في تلك الأودية المنحدرة على أضواء المشاعل والفنرات حتّى نزلنا قبل ان تذرّ الشمس قرنهما^(٣) في وهدة بين تلال ورمال فيها قلعة صغيرة (للمبرقة) الذين لم نبصر منهم نفساً، ولم نسمع لهم حساً، وتلك القلعة على بئر عميقة يبلغ عمقها خمسين باعاً فيخرج منها الماء المالح الذي يمجّه كل ذي حياة؛ فضلاً عن المعوّد على الفرات العذب، فأقمنا نهار الأحد ٢٨ شوال هنالك قدر ما استدر كنا فيه سهر تلك الليلة وجوعها.

(١) حاصب: الرّيح التي تحمّل التراب والحصى.

(٢) الإدلاج: سير الليل كلّهُ.

(٣) ذرت الشمس: أي طلعت، وقيل: هي أول طلوعها.

في قباقيب - دير الزور

ثم خرجنا عصرًا نتمشى [بين] تلك التلال والروابي، وإذا تلك الأرض كلها من صخر المرمر الأبيض الصقيل مغشى بشيء قليل من التراب والرمل قد أطارته الريح عن بعض المواضع، فظهرت الأرض بيضاء صقيلة فقل: في (مرآة الغريبة)^(١).

وانتهينا إلى مثل النهر قد حفرته السيول وقلعت منه تلك القطع الكبيرة من الصخور المرمرية، فها هي هنالك ملقاة في وسط ذلك المجرى، لا تجد من يحملها، والبئر كلها إلى قعرها مبنية بتلك الصخور، والجبال قد أثرت فيها تأثيراً غريباً تشهدك عياناً صورة البيتتين. وكان مضرب خيامنا إلى جنب تلك البئر والقلعة، وكان ذلك المعدن المرمرى ممتدً مما يلي (الدير) إلى هذا الموضع إلى ما الله أعلم، وكان سيرنا من (الدير) إلى هذا الموضع يقرب من أربعة عشر ساعة نقلة واحدة، ويسمى هذا المنزل (قباقيب)، ولم نعرف وجه التسمية كما أن أهل (الدير) يسمونه بـ(دير الزور)^(٢) أو (الزور) وحده، ولم يتضح وجهها إلا باحتمال

(١) مرآة الغريبة: المرأة التي تزوج من غير قومها، فهي تجلو مرآتها أبداً لئلا يخفى عليها من وجهها شيء.

قال ذو الرمة:

لَهَا أُذُنٌ حَشْرٌ وَذِفْرَى أُسَيْلَةٌ وَخَدٌ كَمِرَاةِ الْغَرِيبَةِ اسْبَجُ

ظ: (مجمع الامثال ٢: ٣٥٣ و ٣٨١).

(٢) دير الزور: الواقعة على الضفة الغربية من الفرات، ويكون العبور إليها على جسر معلق طوله

٣٥٠م، وسميت بهذا الاسم لما يكثر فيها احراش (زور) الأثل، وكان اسمها القديم أزورا.

ظ: (المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة (الرحلة الثالثة). تأليف: طه باقر وفؤاد سفر ص ٦٥).

كونه في القديم غاباً وزوراً، وقال النهري: إِنَّ (الزور) من أسماء الفرات كما في القاموس^(١) والله أعلم.

ثم رحلنا من (قباقب) الخامسة من ليلة الاثنين ٢٩ شوال فسرنا بحمد الله على ضوء السرج المنقولة في ظلمة تلك الليلة المدلهمة، وكان مسيرنا في هذه المرحلة كله في سهول بسيطة معتدلة قد أذهب الله بها عنا الحزن^(٢)، وترجّلتُ سحراً وطالعتُ آفاق السماء ودراريه الثاقبة وكوكبها المذنب المادّ ذنبه من موضعه الشرقي إلى الشمال، وقد تفأل بعض أصحابنا من مدّ ذنبه إلى الشمال بانخزال دول الكفر من الروس وغيرهم، حقق الله الأمل - إن شاء الله تعالى -، وعندما نشرتُ الغزاة^(٣) ذوائب أشعتها على الأجواء أبصرنا في الأفق الغربي تلقاء وجوهنا كالسحاب المتراكم بيضاء وسوداء، فسألنا عنها، فقيل: هي جبال الشام، وكان بيننا وبين (الشام) ستة أو سبعة منازل.

في البئر الجديدة

وفي الساعة الثالثة من نهار الاثنين ٢٩ شوال نزلنا في أرض بسيطة فيها أيضاً قلعة صغيرة، وإلى جنبها بئر يُسمّى ذلك المنزل باسمها (البئر الجديدة)؛ لأنها حُفرت منذ سنتين أو ثلاث، وكان القوافل قبل ذلك يطوون تلك المسافة إلى الذي بعدها منزلاً واحداً أربعاً وعشرين ساعة، أما البئر فكانت في غاية العمق

(١) ليس في القاموس شيء من ذلك، والموجود (دجلة).

(٢) الحزن: ما غلظ من الأرض.

(٣) الغزاة: عين الشمس.

والبعد تبلغ مائة باعاً^(١)، فلما امتاحوها^(٢) لم تسمح للواردين منها بقطرة ماء، فأنزلت القافلة فيها مايحاً^(٣) وأدلوها دلاءهم فصار يغترف لهم منها بلغة من قعر الأرض، وبالجهد يملأ الدلو فإذا آمتاحوه لم يجدوا فيها سوى حمأة^(٤) سوداء يعافها الحيوان الصادي^(٥) فضلاً عن الإنسان، وكنت قد وقفت على تلك الحال، والركب في رزية ودهشة لا يدرون ما يصنعون، وذكرت بهذه البئر بيتي الأعشى:

ما يجعل الجدُّ الظَّنُّونُ الَّذِي جُنَّبَ صَوْبَ اللَّجْبِ الْمَاطِرِ
مِثْلُ الْفَرَاتِ إِذَا مَا طَمَى يَنْذِفُ بِالنُّوتِيِّ وَالْمَاهِرِ^(٦)

وبقينا ذلك اليوم نترشف ما بقي معنا من ماء الفرات وماء البئر السابقة والركاب على نصف الورد، وعجلنا السير من ذلك المنزل القاحل والمحل الماحل الضنين حتى بقطرات الماء، وسرنا منه بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء غرة ذي القعدة الحرام أهله الله علينا وعلى كافة إخواننا أينما كانوا باليمن والبركة والصحة والسلامة لنا ولأهلنا وإخواننا ولكافة المسلمين - إن شاء الله تعالى -.

(١) البوع والباع: مد اليدين وما بينهما.

(٢) المائح: الذي يملأ الدلو من أسفل البئر.

(٣) ميح: أن ينزل الرجل في قرار البئر إذا قل مأوها فيملأ الدلو.

(٤) الحمأ: الطين الأسود الممتن.

(٥) الصادي: العطشان.

(٦) البيتان لميمون بن قيس.

(الماطر) وفي الديوان (الزاخر)، و(النوتي) وفي الديوان (البوصي).

الجد: البئر. الظَّنُّون: التي لا يعلم هل فيها ماء أم لا. الصوب: الناحية. اللجب: الذي له صوت وجلبة. الزاخر: الكثير الماء. طما البحر: ارتفع مأوه، البوصي: الملاح، الماهر: السابح.

ظ: (ديوان الأعشى الكبير (ميمون بن قيس) ١٤١).

تأملات بـ (لسان الغيب)

ولما تنقبت الشمس من الشفق بنقابها الأحمر، تطلعت القافلة ونحن معهم للاستهلال، وكان موضع مظنة الهلال من الأفق مرقعاً بقطع السحاب الأسود التي حالت بيننا وبين رؤيته، وجلسنا بعد المكتوبة نتعلل حتى تشد الأحمال وتحمل الأثقال، فأخذت ديوان أشعر عرفاء الفرس وأعرف شعرائهم (حافظ الشيرازي)^(١) المعروف عندهم بـ (لسان الغيب)، وكنت في هذا السفر أكثر من النظر فيه، والتأمل في أسرارهِ ومعارفهِ، والمذاكرة مع رفيقي العارف في رموزه وحل مشكلاتهِ، فقرأت المقطوعة التي يقول في أولها:

روشن از برتو زویت نظری نیست که نیست

منت خاک درت بر بصری نیست که نیست^(٢)

حتى انتهيت إلى المقطوعة التي تليها التي يقول في أولها:

كس نیست که افتاده آن زلف دوتا نیست

در رهگذری نیست که دامی ز بلا نیست^(٣)

(١) محمد شمس الدين محمد بن كمال الدين الحافظ الشيرازي. (المولود سنة ٧٢٩هـ - المتوفى سنة ٧٩٢هـ).

ديوان حافظ الشيرازي: أشهر الدواوين الفارسية ويسمى بـ (لسان الغيب) لخلوه عن التكلف، أو لإخبار تفاؤلاته عن الغيب.

ظ: (الذريعة ج ٩: ٢٢٢-٢٢٤).

(٢) ظ: (ديوان حافظ شيرازي، باهتمام: محمد قزويني، د. قاسم غني. ص ٥١).

(٣) ظ: (م. ن. ص ٤٨).

حَتَّى بَلَّغْنَا إِلَى قَوْلِهِ:

كِرِيرِ مَغَانِ مَرشِدِ مَنْ شَدَّجَهُ تَفَاوُتِ

در هیج سری نیست که سَرِّ زخدا نیست^(١)

فَانَجَرَّتْ الْمَذَاكِرَةُ فِي تَفْسِيرِ هَذَا الْبَيْتِ إِلَى مَبَاحِثِ شَرِيفَةٍ وَأَسْرَارِ غَامُضَةٍ
تَتَعَلَّقُ بَبَيَانِ حَقِيقَةِ الْبَدَاءِ وَوَجْهِهِ الصَّحِيحِ الْكَامِلِ الَّذِي تَنْطَبِقُ عَلَيْهِ أَخْبَارُ الْأُمَّةِ
الْمَعْصُومِينَ، وَيُوَافِقُ قَوَاعِدَ الْحُكَمَاءِ الرَّاسِخِينَ الْمُبْتَنِيَّ ذَكَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ عِلْمِينَ:
عِلْمٌ مَخْزُونٌ مَكْنُونٌ^(٢) قَدْ أَسْتَأْثَرَهُ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَهُ لَمْ يُظْهَرْ عَلَيْهِ أَحَدًا لَا
مَلِكٌ مُقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَا عَبْدٌ مُجْتَبَى.

وَعِلْمٌ يَتَصَلُّ بِسُلْسَلَةِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ وَالْعُلَلِ وَالْمَعْلُولَاتِ وَهُوَ الَّذِي تَقِفُ
عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَقَامَاتِهِمْ، وَعَنْهُ وَمِنْهُ يَكُونُ
إِخْبَارَاتُهُمْ وَإِنْبَائُهُمْ عَمَّا سَيَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ التَّكْوِينِيَّةِ بَلْ وَالشَّرْعِيَّةِ، وَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ
الْمُرْتَبِطُ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ طَبَقَ تَعَيِّنَاتِ الذَّاتِ الْأَحَدِيَّةِ فِي مَظَاهِرِ صِفَاتِهَا
وَأَسْمَائِهَا، وَالْعِلْمُ الْأَوَّلُ هُوَ الْعِلْمُ الْمُرْتَبِطُ بِمَقَامِ أَسْمَائِهَا الْغَيْبِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ
سُلْسَلَةِ الْأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبَاتِ، وَالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَقَعُ عَلَيْهَا الْأَلْفَاظُ وَالْإِشَارَاتُ وَالْكَلِمُ
وَالْعِبَارَاتُ، وَهَذَا الْعِلْمُ هُوَ الَّذِي لَهُ الْحُكُومَةُ وَالتَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ وَالْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ

(١) ظ: (م. ن. ص ٤٩).

النسخة التي اعتمدها في تخريج هذه الأبيات فيها تقديم على الأبيات التي في ص ٤٨ - ٤٩.
(٢) أفاد من قول الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إِنَّ اللَّهَ عِلْمِينَ: عِلْمٌ مَكْنُونٌ مَخْزُونٌ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ، مِنْ
ذَلِكَ يَكُونُ الْبَدَاءُ، وَعِلْمٌ مَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ وَأَنْبِيََاءُهُ فَنَحْنُ نَعْلَمُهُ.

ظ: (الكافي، للشيخ الكليني ١: ١٤٧).

على ذلك العلم المخصوص المقيّد بسلسلة الأسباب الطولية، ومن هذا العلم وهذه الأسماء الغيبية يكون بكاء الأنبياء وجزعهم وفرعهم جداً وحقيقة لا صورة وتعملاً؛ فإنّهم وإن كانوا بحسب ذلك العلم ومن تلك الأسماء عالمين مستيقنين برضوان الله وغفرانه، وأنّهم من أهل النعيم، ولكنّهم يحاذرون أشدّ الحذر ويخشون أعظم الخشية مما قضى الله في ذلك العلم المخزون المكنون الذي لم يظهرهم عليه ولم يعطهم ولا لأحد شيئاً منه، وبهذا يثبت لهم الجهل في بعض الموارد، ومنه يثبت البداء لله بمعناه المعروف الصحيح عند الإماميّة لا كما يقوله حکماؤهم من الاطلاع على نقوش الحركات الإرادية الفلكية، وما نستمدّه تدريجاً بحر كاتها فإنّه لا يتم في حقّ المترفع عن أفق هذه الأفلاك كمرتبة النبوة الختمية المحمّدية وأوصيائهم (عليه السلام) بل من مقام أسماء الله الحسنى والأسباب والمسببات والعلل والمعلولات، والله سبحانه مع كل عبد من عباده علاقة ورابطة بتلك العلاقة، يفيض عليه العلم والرزق والحياة والصحة والسقم وكلّما قدّر له وقضى عليه، ولكن لهذا الفيض منه تعالى طريقان وسيلان:

أحدهما: من سبيل تلك الأسماء الطويّلة المرتبطة بها سلسلة الأسباب والمسببات فيعلم مثلاً أنّه إذا سعى أو تاجر أو اكتسب يحصل له المقدار الفلاني من الرزق أو العلم والمعرفة، وهذا بحسب الأسباب.

والسبيل الثاني: ما يفاض من ذلك العلم الغيبي الخاصّ الخارج عن سلسلة الأسباب والمسببات، فالطريق الأوّل ربط العبد بربه؛ ولكن بوسائط متعددة ووسائل كثيرة، والطريق الثاني ارتباط بلا واسطة، وسرّ الله بينه وبين كل عبد من عباده من غير فاصلة ولا وسيلة وهو مقام معيّة الله - جلّ شأنه - مع خلقه، وهو

معكم أينما كنتم وبه تكون حسن الخاتمة - من الله بها علينا -، وسوء الخاتمة - أعاذنا الله منها - وهذا المقام يكون كالعائق والمانع بالنسبة إلى ذلك المقام الذي هو مقام العلل والمعلولات، والأسباب والمسببات، وإلى هذا المقام أشار الشاعر الحكيم في المثل المشهور: (سر سرير باخداي حفظ سرير)، وقول (لسان الغيب) في البيت المتقدم:

(درهيج سري نيست كه سري ز خدا نيست)

ثم انجرّ الكلام إلى ذكر القضاء الإجمالي والقدر التفصيلي والإشارة إلى الفرق بينهما وبين لوح المحو والإثبات واللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب، ثم استطرنا الكلام إلى ذكر الحركة الجوهرية وذكر برهانها إجمالاً، ثم سرنا - بعون الله تعالى - من ذلك المنزل المُسمّى بـ (البئر الجديدة) الساعة الثالثة من ليلة الثلاثاء.

في السخني

حتّى أتينا الساعة الثالثة من نهاره إلى منسرح من الأرض بين تلال وجبال تحيطه وتكفّه من كل الجهات، فنزلنا فيه ويسمّى ذلك المحل بـ (السخني)^(١) وعلى يُمْنى الطريق شرقياً بيوت ودور مبنية بالحجارة والطين وفيها قلعة خربة حقيرة يقولون: فيها نفران أو ثلاثة للمحافظة، وفيها بعض الدكاكين من الحجر لبيع بعض ما يناسبها، وعلى يسار الطريق غربياً في أثناء انحدار ذلك الجبل عين

(١) السخني: قرية سورّية تتبع إدارياً لمحافظة حلب منطقة منبج ناحية خفسة، بلغ تعداد سكانها

(٢٧٨) نسمة حسب التعداد السكاني لعام ٢٠٠٤.

ظ: (ويكيبيديا، الموسوعة الحرة).

ماء كبيرة يبلغ عمقها من أرض الجبل إلى سطح الماء سبعة أذرع، ومن سطح الماء إلى قرارها مترين، ويبلغ محيط دائرة الماء فيها خمسة أمتار، والماء فيها يُرى أسوداً شديداً السواد كعين حمئة^(١)، فإذا أخذتَ غُرْفَةً منها وجدته صافياً شديداً الزرقة تيزابياً، وماءها حاراً كأشد ما يكون من ماء الحمّامات الحضرية، وأرض العين صخر صلد من نفس الجبل والماء ينبع من فُوْهَةٍ في أثناء الصخر كغم التنور أو أضيق يبلغ عمق تلك الفُوْهَةِ من أرض العين إلى قرارة الفُوْهَةِ ما يقرب من قامتين، وكان صبيان ذلك الموضع يغوصون في تلك الفُوْهَةِ ويخرجون لنا من رملها الأسود الحالك وحماتها السوداء، وماء تلك العين مجّ كريحه منتن الرائحة يشبه رائحة الحمّامات البلدية جداً؛ بيد أنّ فيه رائحة الكبريت والنفط وغيره، ولا أظنّ أنّه لو جُزّيء ذلك المعدن بالآلات يبقى فيه بعد التصفية من خالص الماء واحد من سبعة؛ وبالأكثر واحد من خمسة، ثم أنّ ماء تلك العين يجري في نهر متصل بها ينحدر مائه إلى أسفل ذلك السفح واهبط قرارة ذيّاك الوادي فيسقي هنالك نخيلات خاوية وشجيرات بالية هي إلى الموت أقرب منها إلى الحياة، ومزرعة صغيرة من الدخن والذرة، وتحيط تلك العين عيون كثيرة شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، كلّها في مسح ذلك الوادي على منحدر تلك الجبال الصخرية، تجدهم قلعوا الصخور العظيمة قدر ثلاثة أو أربعة أذرع فنبع الماء، وأشرجوا تلك الصخور عليه دائرة وحفروا منها نهراً أو ساقية على اختلاف النبع قلة وكثرة، ثم سلّطوه على مهبط ذلك الوادي، وكلّ تلك العيون حارة

(١) الحمأ: الطين الأسود.

حمئة؛ ولكنها تختلف في الشدة والضعف باختلافها في القلّة والكثرة، وهي تنيف على الثلاثين عين بعضها متقارب أشدّ القرب وبعضها متباعد، وأكبرها وأكثرها ماءً وأشدّها حرارةً وسواداً هي تلك العين المتّصلة بالجادة القريبة إلى البيوت، وكنتُ قبل يومين في (قباقب) ساعة نزولي المنزل أول النهار أخذتُ مضجعي وأنا من شدة السهر على خطر، فاضطجعتُ ولم أتدثر على ما ينبغي، فأصابني البرد ولوثني الخبيث بمسه وقيادته الشنعاء، فانتبهتُ وأنا مقرر^(١) لا أجد لي مساعاً إلى الغسل، ولا أظن أنّ الخيمة تحميني ولا الماء الحامي يقيني، واليوم الثاني في (البئر الجديد) لم يكن ثمّة ماء للشرب فضلاً عن غيره، فلما جئتُ إلى تلك العين وجدتها هي الضالّة التي أنشدها والحاجة التي أتفقّدها، على أنّنا كنّا نسمع بهذه العيون فتشوّق إلى الاغتسال بها لما يقال أنّها [تنفع] لدفع جملة من الأمراض - بأذن الله تعالى - .

وبالجملة فقد تداكتُ القافلة على بكرة أبيها على الخوض في تلك العيون الحمئة الحامية، ولم يبقَ صغيرٌ ولا كبيرٌ ولا رجلٌ ولا امرأةٌ إلا وخاض فيها وأزال عن جسمه وعثاء السفر وأوساخ الكدر، واتخذوها كأحسن الحمامات، وهذه الجبال في كثرة العيون المعدنية ذكّرتني (هيت) وهيئات ك(هيت)، وعلى جبالها أيضاً قبور معلّمة بالقباب يزعمون أنّها قبور أولياء وأكابر بينهم الشيخ واصل ولم نصل إلى معرفته، أما أهل تلك القرية فهم أهل فقر ومسكنة وعدم اهتداء إلى طرق المعيشة، ولقد كان يمكنهم أن يجمعوا مثل هذه الأيام الأموال

(١) رجل مقرر: أي أبرد من الكافور.

الطائفة بأن لا يدعوا أحداً يدخل تلك العيون إلا برسم مضروب، وجميع أهل تلك النواحي من (فلوجة) إلى موضعنا وما فوقه كلهم في غاية البؤس والمسكنة حتّى أهل (الدير) التي هي عاصمة ذلك القطر، وعلى أيّ فقد أقمنا ذلك اليوم في (السخني) على مضض من الماء، وشظف من العيش، وأظن أن تسميته بهذا الاسم لكثرة المياه (السخينة) فيه.

مذاكرات في حجّ (الدروس)

وبعد أداء مكتوبة العتمة وتناول العشاء تذاكرنا في (حجّ الدروس) في عدم جواز إدخال العمرة في الحجّ، ولا العكس، ولا هي فيها ولا هو فيه، ولا نيتها معاً، ولا هو مع مثله، ولا هي مع مثلها إلى غير ذلك من الفروع، وأشكل هنا قوله: «ولا يجوز للمتمتع بعد قضاء عمرته الخروج من مكّة بحيث يفتقر إلى استئناف إحرام، بل إمّا أن يخرج محرماً، وإمّا أن يعود قبل شهر، فإن انتفى الوصفان جدّد عمرة هي عمرة التمتع. وفي استدراك طواف النساء في الأولى احتمال...»^(١) انتهى.

إذ عمرة التمتع لا طواف للنساء فيها، فما وجه الاستدراك؟ وما وجه الخصوصية للصورة الأولى؟، وقد ذكرنا فيها بعض الاحتمالات الغير نضيجه؛ ولعل نظره قدّس إلى بعضها.

ثم شرعنا بالخوض في مسألة من أمهات مسائل المعارف وهي مسألة الأسماء والصفات، وحدوثها وقدمها، وبيان الحدوث الأسمي، وأسم الاسم، وأسماء الذات، وأسماء الفعل، وأمّهات الأسماء، ووجود الأسماء، في مقامها

(١) ظ: موسوعة الشهيد الأول (الدروس الشرعية في فقه الإمامية/١)، ٩: ٢٤٩.

العلمي والعيني، وتفسير الحديث المروي في (الكافي)^(١) عن الصادق عليه السلام (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَسمَاءَ بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مَصُوتٍ وَبِالْلفظِ غَيْرَ مَنْطِقٍ...) ^(٢) إلى آخر الحديث، إلى غير ذلك من متعلقات هذه المسألة الشامخة، ولا يسع المقام ذكرها.

ثم ارتحلنا الساعة الثالثة من ليلة الأربعاء ٢ ذي القعدة الحرام تقويمًا، ورؤية الهلال هذه الليلة كان يساعد على ذلك، وفي ساعة الركوب وقعت في الركاب ضجة ورجة وهيئات ^(٣) وفزعات، وضربت بعض المسدسات والبنادق ونحن في برزة مكشوفة، وليس الحافظ سوى الله، وقد طارت القلوب شعاعاً وانخلعت الأفتدة، وركبنا على أوحش [حال]، ثم انكشف أن خمسة من الأعراب اختلسوا حواشي القافلة وانتهبوا جولقاً ^(٤) منها، واقتطعوا حاجاً إيرانياً ليستلبوه، وعثر عليهم الحملدارية فتضاربوا حتى دفعوهم - بحمد الله -.

ومما سنح على الفكر سحر تلك الليلة وأنا في قبتي الخشبية وقد ضربت بي

(١) الكافي: لمحمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩هـ - ٩٤١م)، في قسمين الأصول الدينية وفروعها، من أعظم الأصول الأربعة، وأقدمها، وعليه المدار في عمل الإمامية؛ لاحتوائه على عين العبارات الصادرة عن أهل البيت (عليهم السلام)، جمعه في عشرين سنة عن أربعمئة أصل من الأصول المدونة في مدة قرنين والنصف... .
ظ: (الذريعة ٦: ١٧٩ و ١٤: ٢٦).

(٢) ظ: أصول الكافي، (باب حدوث الأسماء) ١: ١١٢.
وأنظر شرح هذا الحديث الشريف في كتابه (الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية) ١: ٢٧٧ و ٤٧٦.

تقديم وتعليق وتحقيق: الشيخ محمد جاسم الساعدي، الناشر المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، المطبعة: المجاب / سنة الطبع: ١٤٣٢هـ

(٣) الهبة: كل ما أفرغك من صوت.

(٤) الجولق: الوعاء.

الفكرة والعبرة بعض مضاربها، فأخذتُ في الصراعة والمناجاة له - جلَّ شأنه -
فجرتُ مترسلة على خاطري هذه الأبيات وغشيتني حالة أسأله - تعالى - أن
يعيدها عليّ ولا يقطعها عني بجوده وكرمه والأبيات:

خليلي هل أنت لي مسعدٌ	بعزم فتى للمعالي نهوض
تعال لنخرج من ذا المضيق	لفسحة ذاك المجال العريض
رقت أنفُسُ أوج هذا المحيط	فما بالنا حظنا في الحضيض
أنترك فيما هناك الحبيب	ونقنع فيما هنا بالبغيض
أليس السموات أوطاننا	فماذا الخلود لهذي الأروض
هلمّ لنحبوا إذا لم نطق	مطاراً بهذا الجناح المهيض
هلمّ نعود إلى جوهر الحياة	ونعرض عن ذي العروض
هلمّ نموت لنحيى على	مقاعد صدق بهذا النهوض
هلمّ إلى عرصات الفناء	لنحيى بروض البقاء الأريض
وقفتُ على باب عفو المليك	بقلب كسير وطرف غضيض
أسأله لمحّة من رضاه	لتنعش صرعة هذا المريض
وأقسم ما أمسك البخل قطّ	بالفيض منه ولا بالمفيض
تدفّق بالفيض منه اليدان	ولكنّا العجز بالمستفيض
تألّق لي وامض من سنّاك	فمض الحشال مع ذاك الوميض
فها أنا عوفيت من لوعتي	بطرف نديّ وقلب رميض

ملكي كم قد غمّدتني	بوابل احسانك المستفيض
ولكنني قد أسأت الصنيع	وخست وفاء بتلك القروض
فها أنا من سوء قرضي إليك	حال جريضي دون القريض
تفيض ذنوبي فيض الذنوب	وسترك يغمرني بالفيوض
أسيء وبرك بي لا يغيض	فيا عبرتي من حياً لا تغيض ^(١)

في الأرك

ثم سرنا حتى أتينا بتسهيله - تعالى - إلى برحة أيضاً بين جبال وتلال، وفيها أيضاً عيون حارة كثيرة، ولكنها قليلة الماء جداً، بيد أن ماءها أعذب طعاماً وأقرب إلى الحقيقة من ماء عيون (السخني)، وفي ذلك الموضع أيضاً قلعة للمبدرة باسم (المحافظة) وليست هناك، وبيوت تُعدُّ بالأنامل ليس فيها سوى الفقر والفلاكة^(٢) والتكدي ويُسمّى هذا الموضع بـ(الأرك) وعيونه أيضاً في وسط الجبال، وقد صنع لها في الأرض مثل القناة بعضها مكشوف وبعضها تحت الجبل، وعلى أيّ فقد أقمنا ذلك اليوم وهو الأربعاء ٢ ذي القعدة بلا زاد من الخبز ولوازمه، وقنعنا بما معنا من الأذرة والسمن غداءً وعشاءً، وبعد ما يسّر الله لنا من الأغذية الجسمانيّة والروحانيّة بالمذاكرات العلميّة أخذنا من الرقاد قدر مضمضة الأجفان.

(١) لم ترد هذه الضادّة في ديوانه المخطوط (الحسن في شعر الحسين أو العصريات والمصريات).

(٢) اذا لج في الأمر.

في تدمير

ثم نهضنا للرحيل فسرنا السابعة من ليلة الخميس ٣ ذي القعدة حتّى أتينا بعد طلوع الشّمس بقليل إلى (تدمر)^(١) وما أدراك ما (تدمر)، تدمّر على كل عجيبة من عمارات الأرض، وتأتي على كل غريبة حادثة أو قديمة، وفيها من الشموخ والعظمة، ومظاهر القدرة وعجائب الصنع، وغرائب الاختراع وقاهر القوة وعظيم السطوة، ما لا يأتي عليه الوصف ولا يحيط به البيان، ولا يصل إليه القول ولا تدنو إلى أسرارهِ وأسبابهِ العقول، طالعتنا تلك العمارات الباهرة الشامخة قبل الوصول بأكثر من أربعة أميال، وحينما وقفنا في أوساطها لم يبرح الركب كلّهُ مدّة من الزمان حيارى في بُهت ودهشة، فالألّبابُ طائشة والأبصار في الأطراف جائلة، تتردّد في تلك الأبنية التي تناطح الأفلاك رفعةً وشموخاً، وتسيح في أعماق الأرض مع أصول الجبال رسوباً ورسوخاً، ثم لم نتمالك قبل كل شيء من أكل وشرب أو استراحة أن انحدرنا للسّير في تلك العمارات والسّبر لتلك الآيات الباهرات، وكان مضرب خيامنا على فسيح ربوة في وسط تلك الأبنية القديمة إلى جنب القرية الحادثة المبنية بالطّين على طرز القرى المعتاد.

ولمّا سرنا في خلال تلك العمارات وأستبرأنا آثارها قليلاً وجدناها تشهد بأنّها قد كانت بلداً بأوسع ما يكون من أمّهات الأمصار، وهي مستديرة يزيد قطر دائرتها على ستة أميال، فإنّنا دخلنا من جانبها الشرقي وبقينا نسير فيها على

(١) تدمّر: مدينة بأرض الشام أبنيتها من أعجب الأبنية، وموضوعة على العمدة والرّخام؛ زعموا أنّها ممّا بنته الجنّ للنبي سليمان عليه السلام.

ظ: (آثار البلاد واخبار العباد ص ١٦٩ - ١٧٠).

رواحلنا أكثر من ساعة، ثم نزلنا في الوسط وانحدرنا للاكتشاف في جانبها الغربي والشمالي، وبقينا نتردد فيما بقي من عماراتها المتباعدة، وأساطينها القائمة، وأعمدتها الماثلة، ونقوشها البديعة وصناعاتها المعجزة، إلى أن مضى علينا نصف النهار ونحن بعد لم نأتِ على جميع ما في تلك الجهة حتّى مضنا الاين والوجي^(١)، والتعب والسغب، فعدنا إلى منازلنا؛ ولا تسل عن ابتهار ألبابنا والإكثار من تعجبنا واستعجابنا، وما أدري ماذا أصف وماذا أقول، واللسان عي، والبيان قاصر، والقلم طائش حائر، والأمر عظيم، والخطر جسيم، والصنع بديع، والآيات باهرة، هذا ونسبة الباقي إلى الغابر الدائر نسبة الواحد إلى المائة أو المائة إلى الملائين، ومهما كتب البليغ أو قال فما هو ببالغ إلى الحكاية عن بعض صورة الحال، وهذا من المقامات التي لا يجدي فيها سوى الشهود والمعينة البتّة، نعم لا يسعنا ترك القول جملة، ولا بدّ لنا من بعض الحكاية، والوصف أجدى أم لا. كما لا بد لنا من استعمال الألفاظ الدارجة العادية، فصيحة لغوية كانت أم لا.

نعم أوّل بارع رائع وقفنا عليه دركاه^(٢) واسع شاهق مترام علوّاً في الفضاء كأنّه موضع باب البلد وما هو بذلك؛ بل هو موضع باب قصر أو دار أو محل حكومة وما أشبه ذلك، وإلى جوانبه متّصلة به دركاهات أصغر وأنصّ منه على شكل مثنّى، يقال له في الدارج: (هشتي)^(٣)، وتلك الدركاهات هي أثمانه وهي

(١) الوجي: ألم القدم عند المشي.

(٢) دركاه: وهي لفظة فارسية، تجمع على «دركات» مركبة الأول «در» بمعنى باب، والثاني «كاه» بمعنى محل، ويقصد بالكلمة العتبة أو الممر أو الساحة الصغيرة المربعة أو المستطيلة التي تلي الباب وتؤدي إلى داخل بناء كبير مثل القصر أو المسجد أو المدرسة...

ظ: (المصطلحات العمرية والفنية في العمارة التراثية، د. حميد الدراجي ص ١٠٠).

(٣) الهشتي: الفناء المسقوف الذي يتقدّم البيت.

أبواب تخرج منه إلى عمارات ومحلات، وتلك الدركاهات كاملة بأصفاها وأطواقها التي هي سقوفها وكلها من الصخر الأصم الشديد الصلابة الذي هو في غاية الصقالة والصفاء؛ كأنه مصقول بمطرقة القين^(١) أو مضروب برندج النجارين، وهو من البياض والاستقامة في الأطراف بمكان، حتّى كأنه معمول بالبوية^(٢)، ومحزوز على خطوط المساطر الصناعيّة، أمّا سُمك الصخرة الواحدة فيبلغ قدر القامتين أو أكثر في أبعادها الثلاثة، وهي موضوعة على مثلها وهكذا إلى الأعلى والأسفل منطبق عليها أشد الانطباق، فكأنّ الجميع صخرة واحدة، إذ ليس في الدز بين الصخرتين ما به الالتصاق من جص، أو كلس، أو قير أو غيره بل الصخور منضودة بعضها على بعض، ولعظمة تلك الصخور وثخنها لم تحتج إلى ما يمسك بعضها ببعض، فهي ثابتة على تلك الهيئة مدّة ألوف السنين، تُصادم الرياح العواصف والزوابع القواصف، ولم تتأثر بشيء منها.

وعمارات ذلك البلد (التدمريّ) كلّ على هذا النحو من عدم الطين أو الجص، أو كلّما يوصل به بعض ببعض ويربط فيه بعض إلى بعض، بل تشرح الصخور متراكمة متعالية حتّى تبلغ في الجو إلى - ما شاء الله -، وهذا حتّى في الحيطان والكواسر فضلاً عن الأركان والأعمدة والأسوار، ثم أنّ الطوق الهلالي لذلك الدركاه الرفيع كلّ مخرّم بأبدع التخريّمات والنقوش المنحوتة في ذلك الصخر بأشكال بديعة، من أشجار، وأوراد، أو طيور، أو غير ذلك على زنجيل واحد بركاري^(٣)، وتناسب تام لا يزيد ولا ينقص شكل عن نظيره، وقرين عن

(١) الحدّاد.

(٢) البوية (boya): كلمة تركية تعني (الصيغ).

(٣) بركار (بالكسر): آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر.

قرينه، قدر شعرة واحدة، مع أنّ ذلك الصخر من الصلابة بحال لم تكن لتعمل بها أشخذ الآلات الحديدية وأنفذ العوامل الصناعية، ثم تمتد بأزاء تلك العمارات أعمدة وأساطين اسطوانية يبلغ الظاهر منها القائم على الأرض خمسة عشر متر في محيط خمسة أمتار، وقد اجتمعنا ونحن ثلاثة فمدّ كلٌّ منا كلا باعيه جهده حتّى استدرنا على محيطها، وفي أعلى كل واحدة رأس عظيم مخرّم بأنواع التخريعات مقرنص بأشكال مختلفة من المثلاثات، والمربعات، والمسدّسات، والطبوع المتلوية الأعناق، كلّها منحوتة في تلك الصخرة الواحدة الصمّاء، وقد كانت بعض تلك الرؤوس ملقاة على الأرض كبعض تلك الأساطين والأعمدة، وكان الرأس الواحد في وسطه حفيرة يبلغ سعتها قدر الكرين من الماء، كما أنّ بعض أهل البلد يوجد كثيراً في بيوتهم من ذلك، وقد صنعوه حياضاً كأحسن ما يكون، وهو صخرة واحدة مشكولة الظاهر بالنحت بتلك الأشكال الهندسية البارعة التي يحار العقل في أيّ بركارٍ خُطّت، وبأيّ آلةٍ عُمِلتْ، وعلى أيّ ظهرٍ حُمِلتْ، وبأيّ سُلّمٍ أصدعتْ، حتّى وُضعتْ على رأس تلك الأسطوانة الشاهقة، ثم عددنا تلك الأساطين فكانتْ في خطٍّ واحد تزيد على المائة، بعضها قطعة واحدة من أسفلها إلى أعلاها، وبعضها قطع عظام مستديرة كمثل الرحى الكبيرة، ولكن في سُمك سبعة أمتار فأكثر، موضوعة بعضها على بعض على ما سبق، فالثلاث أو الأربع تبلغ اسطوانة واحدة، وفي أوساط تلك الأعمدة مثل الرفوف المتقاطرة المنحوتة من نفس تلك الصخرة النابتة منها متدرجة في التقرنص إلى ذراع، وبين كل اسطوانة إلى الأخرى قدر خمسة أذرع فاصلة، وبين كل سبعة وعشرين منها باب عال ودركاه عظيم كالسابق، ثم على رؤوس تلك الاسطوانات - الله أكبر والعظمة لله - صخور عظيمة مستطيلة طول الواحدة بقدر اللوح

المعروف بالجاوي المتداول هذه الأيام، أما ثخنه وسمكه فلا تقل عن ذي هنج^(١) أو هنجين بل ذي عشرة اهناج إلى عشرين، وهي موضوعة على تلك الأساطين شبه الأخشاب التي توضع على الأعمدة التي تُسمّى في الدارج (دلكات)^(٢)، ووجه هذه الصخور إلى أسفل منقوش بالنحت بتلك الأشكال البديعة من أشجار، وأوراد، وفواكه وغيرها، وعلى وسط جملة من تلك الأساطين بارتفاع قامة كتابة قديمة سريانية أو عبرانية أو غير ذلك بقدر ثمانية أو تسعة أسطر، وفوقها بفاصل قليل كتابة بالخط الفرنساوي حادثة من خطوط مكشفي الأوربايين الذين لا يزالون يترددون إليها في كل سنة مثنى مثنى، وجماعة جماعة، منذ أزمنة متقدمة، ويعلم الله ماذا حصلوا وحملوا من نفائسها، ودفائناتها، وعظيم خزائنها؛ فضلاً عن علومها ومعارفها، وعجيب صنائعها، وجملة ما كان دائراً كثيراً قبل هذا من التخريعات والمقرنصات وما يُسمّى بـ(الخرد كاري)^(٣) وأشكال النجاريات والنقوش الصناعية كلّه مأخوذ من هنا، ولكن على أضعف شج^(٤)، ومثال على أنّ هذا نحت في الصخر، وذاك مصبوب بالقوالب المطاوعة من الجص والبورك وأمثاله.

ثم فوق تلك الصخور العظيمة صخور أخرى مستطيلة محفورة شبه النهر أو

(١) المقصود به (الأنج inch): وحدة قياس انكليزية معروفة.

(٢) ذلك: كلمة تركية، وتعني عموداً خشبياً ذا مقطع مشنّ أو دائري، لها تيجان مزينة بزخارف جميلة وكان يهتم بها النجارون، تستخدم عادة لاسناد سقوف الطارمات والأواوين....

ظ: (المصطلحات العماريّة والفنيّة في العمارة التراثيّة ص ١٠٢ - ١٠٣).

(٣) خردة: فارسية، بمعنى القطعة ماصغر وتفرق من الأمتعة.

ظ: (م.ن. ص ٨٥).

(٤) كذا في الأصل والظاهر (نسج).

الساقية يجري الماء فيها إلى قصور البلد وعماراتها، وبالخصوص العمارة الخاصة التي هي في وسط البلد وسيأتي ذكرها - إن شاء الله تعالى -.

ثم في قبالة تلك الأساطين شمالياً قرائن لها على ذلك النمط والأسلوب من الدركاهات والأعمدة وغيرها، ولكن بعضه قائم وأكثره حصيد مطروح على الأرض، وما من عمارة إلا ولها قرين من الجوانب الأربعة، وجملة من تلك العمارات قد اكتسح الرمل والتراب من أسفلها وحفروا تحتها، وإذا المدفون تحت الأرض مثل ما هو الظاهر عليها على ذلك النمط والأسلوب، وكان هذا البارز للعيون هو الطبقة الثانية أو الثالثة من العمارة، ثم في شمال تلك الأساطين ويمينها من جهة المغرب والشمال عمارات مرتفعة مربعة كالغرف قد بقيت جوانبها الأربعة، ولم يذهب منها سوى سقوفها وهي على ذلك الطراز، وأبدع من وضع تلك الصخور العظيمة بعضها على بعض بحيث لا يُرى من الدرز بينها إلا بمثل الشعرة أو أقل، وهي على تلك التلال المرتفعة التي تدل الآثار أنه عمارة تحت تلك الغرف المنيعة قد دفنت تحت السواقي والرمال المتهايلة، وفي أسفل تلك التلال عمارات في الأرض لم يبق منها سوى جدرانها التي هي من تلك الصخور الممردة^(١) كأنها لجة أو قوارير، وفيها أمثال المحاريب وأشباه ما كان يُصنع في بعض البيوت الأنيقة الذي يُسمونه بالبخاريات، وهي صخرة واحدة منحوتة بتجويف وتحديب هلالتي وفيه إلى جنبه أنواع الصور من الطيور والفواكه وغيرها.

(١) التمريد: الملساء المستوية.

وَحَقًّا أَنْ مَنْ نَظَرَ إِلَى تَشْكِيْلَاتِ تِلْكَ الصَّخُورِ وَأَعْمَالِهِمْ فِيهَا أَيْقَنَ بَتًّا أَنَّ تِلْكَ الصَّخُورَ الصَّمَاءَ كَانَتْ فِي أَيْدِيهِمْ كَالشَّمْعِ أَوْ الْعَجِينِ يَشْكُلُونَهَا كَيْفَ شَاءُوا وَكَيْفَمَا شَاءَتْ لَهُمُ الْعَنَاءَةُ.

وَالشَّرْحُ يَطُولُ وَالْوَقْتُ ضَيِّقٌ وَالْمَجَالُ لَذَكَرَ جَمِيعَ الْخُصُوصِيَّاتِ غَيْرِ مُتَّسِعٍ. وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّنَا بَعْدَمَا اسْتَبْرَأْنَا آثَارَ تِلْكَ الْجَهَةِ بَزَعْمِنَا وَوَصَلْنَا إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ الَّذِي هُوَ مَنَبْعُ الْعَيُونِ الشَّمَالِيَّةِ وَالْغَرْبِيَّةِ رَجَعْنَا ظَهْرًا إِلَى مُضَارِبِنَا، وَبَعْدَ تَنَاوُلِ مَا يَسِّرُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ أَخَذْنَا مُضَاجِعَنَا فَمَا أَيْقَظُنَا إِلَّا الزُّوْبَعَةُ الْقَاصِفَةُ، وَالزَّرْعُزَعُ الْعَاصِفَةُ الَّتِي قَلَعَتْ أَوْتَادَ الْخِيَمِ وَأَطْنَابَهَا، وَضَرَبَتْ بِهَا وَبَأَعْمَدَتِهَا رُؤُوسَنَا، فَانْتَبَهْتُ فَزَعًا مَرْعُوبًا وَإِذَا الْهَوَاءُ أَقْتَمَ وَالْجَوُّ قَدْ أَظْلَمَ وَلَا أَبْصَرَ شَيْئًا، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: - سُبْحَانَ اللَّهِ - كُنَّا نَسْمَعُ مِثْلًا: إِنَّ الْمَاءَ يَنْحَدِرُ عَلَى النَّصُوصِ، وَقَدْ بَانَ الْيَوْمَ إِنَّ الْهَوَاءَ كَذَلِكَ.

أَيُّهَا الْهَوَاءُ: إِنْ كَانَ فِيكَ عِرَامَةٌ وَزَعَامَةٌ فَدُونِكَ فَاصْنَعْ بِتِلْكَ الْهِيَائِ كُلِّ مَا صَنَعْتَ بِهَذِهِ الْخِيْمَةِ الضَّعِيفَةِ لِهَذَا الْخَلْقِ الضَّعِيفِ، فَقَالَ عَنْهُ لِسَانُ الْعَبْرَةِ: نَعَمْ صَنَعْتُ وَأَصْنَعُ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ صَدَقْتَ وَتَصَدَّقْ وَهَذِهِ (مَدَائِنُ صَالِحٍ) أَخَا عَادٍ أَمَامَنَا...^(١).

الْمَقْصَرُّ لَوْ كَانَ ثَمَّةَ مَعْتَبَرٍ وَمُبْصَرٍ.

وَلَمَّا حَبَسَنِي اللَّيْلُ عَنِ السَّيْرِ فِي بَقِيَّةِ تِلْكَ الْآثَارِ وَاسْتَقْصَائِهَا، عُذْتُ إِلَى خِيَمَتِي، وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْفَرِيضَةِ وَالصَّلَاةِ جَرَتْ هَذِهِ الْأَبْيَاتُ التَّالِيَةُ عَلَى عَفْوِ

(١) سقط مقدار صفحتين من المخطوط.

الطبع، ورسل القلم، وقد رسمتها من دون إعادة النظرة الدقيقة فيها، ولا أدري هل فيها شيء من الدخل والخلل أم لا، وهي هذه:

عَبَّرْ لُو وِرَاءَهُنْ اَعْتَبَار	وَادَّكَارْ لُو يَنْفَعُ الْإِدَّكَار
أَيُّ آي يَتْلُو لَنَا غَابِرُ الدَّهْرِ	رَ وَلَكِنْ عَلَى الْعُقُولِ غِبَارْ
كُلْ يَوْمَ يَتْلُو عَلَيْنَا عِظَاتٍ	قَدُمْتُ فِي حَدُوثِهَا الْأَعْصَارِ
كَمْ عَلَى هَذِهِ الْبَسِيطَةِ مِنْ حِرَافَةٍ	رَّ صَنِيعٍ فِيهِ الْعُقُولُ تَحَارِ
دَمَّرَتْهُ الْأَيَّامُ حَتَّى عَلَى تَدَارُفِهَا	مُرِيَاتِي الْفَنَاءِ وَيَقْضِي الدَّمَارِ
وَهِيَ تِلْكَ الْعِصْمَاءُ طَالَ لَعِينُ الشَّدِيدِ	مَسَّ عَنْ نِيلِ شَأْوِهَا الْإِقْصَارِ
دَمَرَتْ تَدْمِرُ عَجَائِبُ كُلِّ أَلْفِ	كُونَ حَتَّى فِي الْكُونِ مِنْهَا ابْتِهَارِ
لِلنَّبِيِّينَ مَعْجَزَاتٍ وَإِعْجَابِ	رُ سَلِيمَانَ هَذِهِ الْآثَارِ
لَأَبِيهِ لَأَنَّ الْحَدِيدَ وَلَانَتْ	لِعَلَّاهُ الصَّخُورُ وَالْأَحْجَارِ
وَقَفْتُ طَوَّعَ أَمْرِهِ كَنْسُورِ	وَقَفْتُ حَيْثُ مَا لَهْنُ مَطَارِ
وَسَوَارٍ تَنَاطَحَ الْفَلَكَ الْأَعْدَادِ	لَى وَتَعْلُو مِنْهَا لَهُ أَسْوَارِ
لَوْ بَشِمَ مِنَ الرَّبِّ وَزَنُوهَا	رُجُحَتْ كِفَّةً وَخَفَّ الْعِيَارِ
بِنَقُوشٍ كَأَنَّمَا هِنْدَسِيٌّ	خَطَّهَا فِي يَمِينِهِ الْفَرْجَارِ
وَطَيُورٌ قَدْ سُويَ الرِّيشُ مِنْهَا	بَاعْتَدَالٌ وَعُجُوجُ الْمُنْقَارِ
نَاشِرَاتٌ قَوَادِمًا وَخَوَافٍ	طَائِرَاتٌ تَضُمُّهَا الْأَوْكَارِ

هكذا تعظم العقول وتعلو النِّفْسُ نفس قدراً ويشرف المقدار
هكذا تبلغ النفوس مناهيها في المعالي وتنفذ الأفكار
قيل قد كان للأجنة ما يب من يديه إطاعة وبدوار
قلت: كلاً فأين للجنّ لولا قدرة الله ذلك الإقتدار
لو سعت بقعة لتعظيم أخرى لسعت نحو تدمير الأمصار
لا يظن الجهول ذلك لهو من سليمان أو علا وافتخار
حاش لله بل ليعتبر النّاس سُوحسب المهذب الاعتبار
عمر ك الله كيف تبقى العمارا تُطويلاً وتذهب الأعمار
أفمن بعد تدميرٍ يُخدع الحُرُّ رُفتبني قصوره والديار
خلّ دار الفنا ودعها لتُبنى لك في غير هذه الدار دار
هي من بعض مُنذري الله فينا لو يفيد الإعذار والإنذار
ناطقات صوامت وسوار قوائمات وعُيِّب حضار
بقيت هذه العمارات لكن أين تلك الأعمار والعمّار؟
سلّ سليمان أين بلقيس أو سلّ ها وبعض من السكوت حوار
لو أفقنا من سكرة الأمل الكا ذبٍ أو خف سكرنا والخمار
ما بنينا في الأرض داراً ولادا رَعلينا إلا الفلا والقفار

صامتات وكلّها تذكّار	حكّم في عظاتها بالغات
ضِ فطوبى لأهله التسيار	تلك إحدى فوائد السير في الأزّ
رِ فقالوا: لبعضهن قرار	أخطأ الباحثون في الأنجم الزهـ
كل نجم في فلكه سيّار	لا تخل في السماء ثابت نجم
جَوّ هذي الصخور والأحجار	إنما الثابتات في كُريات الـ
عرفته الرموز والأسرار	لا ولكن لهن سير خفيّ
للألباء تسفر الأسفار	لو علمنا عن أي باهر علمٍ
يأء لا ينبغي لها الإقبار	لا تحذنا الأوطان كالقبر والأحـ
علم لا درهم ولا دينار	سافروا تغنموا وما الغنم إلّا الـ
يه على الأمر بالسُرى إصرار	وكفّاك الذكر الحكيم فكم فيـ
طان أين الأوطان والأوطار؟	خلّ عني يا خلّ ذكرك للأوـ
وإليه المأوى وفيه القرار	وطني ما أصير بعد إليه
فيه جهل وخسّة وخسار	لا الذي قد خرجت منه وكليّ
ذار منه وزادت الأكدار	لوثت جوهرى الشريف به الأقـ
مان لا ما يظنه الأغمار	بغضّ هذا وحبّ ذاك من الإيـ
لك ما دمت أنت والإختيار	فتخيّر له من البر زاداً

فسيأتي عليك يوم عصيب ليس فيه عن العثار اعتذار
يا مليكي ما العذر إلا اعترافي بذنوبي وأتاك الغفار

وصحبنا من (الدير) رجلٌ (تدمري) فكان يأتينا في المنازل ويأنس إلينا وهو على أنه عاميٌ سوقي؛ ولكنه حسن المحاور، لطيف العارضة، متقّد الفطنة، شافعي المذهب، وكان يرصع كلامه بالاستشهاد من فرائد معجز الوحي، وينشد أحياناً بعض الأشعار ولكن أكثر ما ينشده أمّا ملّحون أو غير موزون سوى هذه الأبيات المعروفة وهي تناسب ما قدّمناه من أبياتنا التدمرية ولا يحضرني منشؤها وهي:

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر
وكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري^(١)

هذا وإنّ ما ذكرناه من أحوال (تدمر) بالنسبة إلى ما أهملناه وما وقفنا عليه بالقياس إلى ما ضايقنا الوقت عنه كالنم من اليم^(٢)، والقطرة من البحر الخضم، وقد ربح منها الارباؤيون والغريون - حسبما حدثنا أهلها - أرباحاً طائلة علماء ومالاً، وبعد ان قضوا وطراً منها تنبّهت حكومتنا أرشدها [الله] فمنعت وحجرت عن حمل حَجَرٍ منها أو احتفار شبر فيها، والحَجَر هذه الأيام شديد والمنع أكيد على أهلها من الأعراب وغيرهم فضلاً عن الأجانب؛ ولكن يا هل ترى من المراقب لذلك والرصد عليهم؟! هل هو سوى المدير وأنفار من الجندرمة، وأنت

(١) أنظر: (انوار العقول في أشعار وصي الرسول) مخطوط في خزانة مخطوطات المكتبة.

(٢) اليم: البحر الذي لا يدرك قعره.

تعلم بالمحور الذي يدور عليه المدير والمستدير!، وإن كنت لا تعرفه فالغريبيون يعرفونه، وقد حدثنا أهلها عن بيع بعضهم لأشياء نفيسة من أحجار ثمينة وغيرها، التقطوها من ظاهر تلك الأرض وباطنها، وهناك مغارات وسرايب على ما نقلوا عجيبة لم يسع الوقت للوقوف عليها.

فسُبْحان وارث الأرض وَمَنْ عليها، له الحكم والملك وإليه المصير.

المرحلة الثالثة

من (نَهْزَة السَّفَر ونُهْزَة السَّمَر)

في سيرنا من الشام إلى المدينة إلى مكَّة ثم إلى المدينة إلى الشام^(١)

(١) العنوان منه تَبَيَّنَ.

يبدو أنَّ الشيخ جعل (رحلته) على ثلاث مراحل ناظراً فيها الحدود الإقليمية، المرحلة الأولى: في العراق، والثانية في الشام، والثالثة في مكَّة والمدينة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال جلّ قوله ودام علينا طوله:

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ما بعد هذا للحثّ عن السير من مجال للمقال، أفلستَ تراه - جلّتْ حكمته وعلا علمه - كيف جعل من لم يسر في الأرض ممن ليس له قلب يعقل به، ولا أذن يسمع بها، وأنه أعمى القلب وإن لم يكن أعمى البصر، نعم وإنّ السائر في الأرض على عبرة وبصيرة يحسّ بذلك عياناً ويشهده وجداناً، وما كان أكثر السائرين معنا، ولكن - بفضل الله - لم يكن حالنا كسائر السائرين في تطلب الاعتبار وتحري الاختبار.

والله ولي العناية ومنه المبدأ وإليه العود ولا حول ولا قوة إلا به.

باسمه السائر في روح كل شيء

تتمّة بقيّة احوال الشام

قد تقدّم بعض الكلام في أحوال (الشام) وما جرى لنا فيها، ونأتي هنا على بقيّة ذلك وما بعده يوم الأحد ١٢ ذي القعدة الحرام، وهو سادس دخولنا.

خرجنا لزيارة بعض الوجهاء من أعيان (الشام) الذين أكثروا من الزيارة لنا والحضور عندنا، فأتينا دار الحاج محمّد علي رضا إخوان - حفظه الله - وهو من ذوي الثروة الطائلة، والمعرفة الكاملة، والتقى والصلاح الذي لا يوجد مثله في ذوي الوجاهة والجدّة^(١)؛ مضافاً إلى فقاهاة واسعة، ونباهة قاطعة، فإله من إنسان على ضؤولة جثمانه وصغر جسمه، ما أكبر عقله، وأكثر فضله، وأملأه للعين على سكانته وشدة حياته ومحجوبيّته، فجاءوا بنا إلى دار لا أطيل عليك في إطرائها ووصفها، وعجائب صنعتها، ولباقة وضعها، ونقوش سقوفها وجدرانها، ونحت صخورها الملمّعة المنقوشة بالأصداف والألوان الذهبية، ومُذاب التبر وشاذرواناتها في الغرف والحجرات، ولكن يكفيك عن ذلك أنّنا جلسنا في حجرة كبيرة تُسمّى عندهم بـ(صاليا) فأندهشنا لا ندري في أي شيء ننظر وبأي شيء نعجب، من أرضها وسقوفها، وجدرانها وشاذرواناتها، وانساق الحديث في ذكر ذلك المحل وبديع ما فيه، فقال بعض الأشراف من الحاضرين: إنّ هذه الدار من تعمير بعض باشات (الشام) وأعيانها، وقد بلغت مصاريف هذا المحل وحده ألف وخمسمائة ليرة، ولا بدع فإنّ فيه من الأصداف المرصعة في الجدران، والصخور المنقوشة والمحلاة بالذهب، والبُور الملون ما يوازي ذلك القدر، وقد

(١) الجدّة: وهي السعة في المال والمقدرة.

اشتراها الحاج عباس رحمته من ورثة مالکها الباني لها بثمان بخس، ثم أن الحاج المذكور حبسنا بالإصرار الشديد إلى وقت الغداء، فجاءنا بسماط يناسب المحل وشرف صاحبه، وليلة الاثنين كنّا في دعوة السّيد الشريف مؤئل الشرع والشریعة في (الشام) حضرة السيد محسن العاملي ^(١) - أيده الله - ولفرقة الجعفریة هناك إقبال عليه وخلوص له، وهو مُقبّل الید عند الجميع، وله ولد غلام - حرس الله جماله - راهق أو قارب، يتوقد حسناً وجمالاً ويتقاطر نجابةً وحياءً، وكان بإيعاز أبيه - دام لطفه - يكثر الحضور عندنا والتردد إلینا، وهو من طلبة (المدرسة العلویة) ^(٢) القائمة بمساعي والده الشريف، وكان فارغاً من النحو مشغولاً بالمنطق، وكنّا بأمر أبيه نسأله والحياء يقطع عليه فيجيب؛ ولكن على مهل واستحياء شديد، وكان السيد المومى إليه يحضر محلّنا أو نحضر محلّه فنبقى إلى الساعة السادسة أو السابعة في المسامرة والمؤانسة آنسه الله بالتأييد وجميع المؤمنين والمسلمين.

ثم في يوم الاثنين ١٤ ذي القعدة خرجنا الساعة التاسعة إلى المحطة، وكانت أثقالنا قد أخرجت قبلنا، وخرج معنا وبعدنا جماعة من أولئك الأحباب والأعزة لمشايعتنا، فوجدنا الأسباب موضوعة على الأرض وحجرات (الوابور) كلّها

(١) هو السيد محسن ابن السيد عبد الكريم ابن السيد علي الأمين الحسيني العاملي . (ولد سنة ١٢٨٤هـ - وتوفي سنة ١٣٧١هـ). نزيل دمشق، من أشهر أعلام عصره في العلم والأدب والاصلاح والتأليف، ومن أشهر مؤلفاته (أعيان الشيعة).

ظ: (النقباء ١٧: ١٢٢-١٢٥).

(٢) وتُسمّى بـ(المدرسة المحسنیة)، نسبة إلى مؤسسها، أسست في سنة (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م).

مملوءة، وكان اللازم حضورنا قبل ذلك، فتنازلنا مع الحملدارية في الكلام والملام، وظهرت لوائح التعطيل إلى اليوم الثاني، وبيناً نحن على ذلك ومثله إذ توفيق الحاجّ توفيق لإقناع بعض البوليسية والمأمورين الموكلين بالتنظيم - ولا تنظيم - فجاء وأعجل العكاكيم^(١) بحمل تلك الأثقال وسوق العيال، فأسرعوا وأسرعنا فجاءوا بنا إلى حجرة كبيرة تسع الثلاثين نفر حسب النظام، وهي مشحونة بحجاج من الفرس، وإذا بالمأمورين يدفعون بأسبابهم وطرح بعضها على بعض بزعم أن عندنا عيالاً وأنهم بغداديون واجبو الاحترام، فكلما حاولتُ المنع وأنا نتعطل لم يُجدد، وعرفتُ أن الأمر ليس في يديّ منه شيء، أما أولئك الجماعة السابقة فحين رأوا ما لا قبل لهم به، وأنّ في بقائهم ضيقاً علينا وعليهم؛ خفّوا بحمل أثقالهم وخرجوا وهم يرشقوني بسهام الطعن والملام، وأنا أعتذر إليهم بأنّ ذلك ليس عن أمري ولا برضاي ولات حين قبول، وعلى أيّ فقد أفرغوا المكان لنا وبسط كل فراشه على أوسع ما يكون في بيته وربّما:

تناول عفواً حظ ذي السعي قاعد^(٢)

ثم ودّعنا إخواننا المشايخين ومنهم سيدنا المحسن - أحسن الله كرامته - وبعد قراءته آية الحفظ والسلامة لنا وله - إنّ شاء الله تعالى - تقدّم محروسه النجيب وقبّل يدي وقبّله ثم تفارقنا على وجه جميل، واندفع بنا (الوابور) الساعة

(١) العكاكيم: جمع عكام متعهد نقل الحجاج، والعكام من العكم أي الشد واطلق على أجير الحجاج أو متعهدي الأسفار؛ لأنه يشدّ الرحل.

(٢) عجز بيت لأبي البحر الخطي صدره:

فيا كربلا طلت السماء وربما

ظ: (ديوانه ص ٣٧).

الحادية عشر من نهار الاثنين ١٤ ذي القعدة الحرام وكانت الحُجُر المسحوبة (فرقونات) ثمانية عشر تسحبها مكيتتان أمامه، وكان يبطئ في السير حيناً ويسرع في آخر، ويقطع في أبطأ سيره قدر ما بين سبعة أعمدة من أعمدة التيلغراف، وفي سرعته ضعف ذلك، ويقف عند رأس كل ساعة في محطة فيها نقطة وعسكر خصوصي كالجنדרمة، ولكن وقوفاً يسيراً لا يأمن الإنسان معه للنزول وقضاء أيسر حاجة، نعم في أوقات الصلوات يقف أكثر من ساعة وهكذا عند نفوذ الماء من القدر والاشتغال باملائه، ولما أصبحنا صباح الثلاثاء شاهدنا من شقّ الجبال الشوامخ الرعان ومدّ السيكة بينها، وعقد القناطر والجسور على الوهاد ومجاري السيول بحيث جعلوا الجبلين جبلاً واحداً، ومدّوا عليه الحديد وبنوا أسفله - بمسافة أربعين ذراعاً أو خمسين طاقاً بالجص والصخور - بناءً محكماً ليندفع السيل من أسفله، وما زلنا في مثل تلك الأحوال من قلع الجبال أو عقدها قدر أربع ساعات، حتّى دخلنا في جبل قد ثقب ومدّت السيكة في وسطه، فأظلم الهواء علينا وسط النهار، وهجم الدخان واحتبس في الحجرات (الفرقونات) حتّى أخذ بالمخنق، وكاد يأتي على النفوس وتراكت ظلمات بعضها فوق بعض، وما زلنا على ذلك ما يقرب من ربع ساعة حتّى خرجنا إلى نور الحياة من طرفه الآخر، وطرفاه مبنيان بالصخور المنحوتة المعقودة كالطاق، وصادفنا عصراً في المقصّات القطارات الآتية من (المدينة)، فكانت أكثر من ثلاثين (فرقون)، وكل (فرقون) يسع على الأقل أربعين نفراً، وعلى أيّ فمشاهدة هذا الخط في تلك الأراضي الجبلية الحزون التي هي بين وادي وجبل يشهد لبانيه ومباشره بالهمّة القعساء التي تقلع الجبال الرواسي وتقطع الحجر القاسي، ومع ذاك العناء

كله فهو لم يبلغ حدّ تمامه وانتظامه، وهم بعدُ حتّى الآن مشغولون بإصلاحه وتكميله في جملة من مواضيعه، وهذا على العكس من خطّ الأجنب إلى (حلب) فإنّه على ما ينقل في غاية الانتظام والاستقامة. أمّا حركة هذه (الفرقونات) عند جرّ البخار لها فهي هينة جداً لا تتلم شيئاً من الاستراحة؛ حتّى أنّي اشتغل بالكتابة اشتغالي بها عند القرار على الأرض، وكان مشروبنا من الجاي وإعمال السماور دائراً على أوقاته المعتادة، نعم ما فقدنا سوى الطبخ ولكن لا لعدم إمكانه بل لأننا لم نستعدّ له حذراً من عدم سعة المكان وضيق المجال.

معان - تبوك

وفي الليلة الثامنة أعني ليلة الاربعاء الخامسة من الليل وصلنا بلد (معان)^(١) وهي بلد عامرة في سفح الجبال غربيّ السكّة تبعد عنها بميل، وعلى كتف السكّة دكاكين ومغازات كبيرة فيها أكثر اللوازم، ولكن بأضعاف أثمانها، وفيها دوائر للحكومة متقنة من صخور وحديد، والظاهر أنّ البلد قضاء، وهناك وجدنا النخل بعد أن فارقنا صحيحه من (عانة) وسقيمه في (تدمر)، وفي بعض بيوت (الشام) المحتوية على الجنينات الفاخرة كدار الحاج محمد علي - متّعها الله به وهو بها - كان يوجد بعض النخل كما يوجد سائر الفواكه، ولكن كان حاملاً بـ(الشيص)^(٢) وهو بعدُ أخضر وأصفر لم تأتته حرارة تعمل فيه على أنّ الوقت تشرين الذي هو وقت القصاص في (العراق).

(١) معان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء.

ظ: (معجم البلدان ٥: ١٥٣).

(٢) الشيص: يقال: للتمر الذي لا يشتدّ نواه ويقوى، وقد لا يكون له نوى أصلاً.

ثم اندفع بنا البخار من محطة إلى أخرى وهكذا، حَتَّى أَتَيْنَا قَبْلَ الظَّهْرِ إِلَى بلد ذي نخيل باسقى كنخل (العراق)، والبلد صغيرة فيها جامع صغير ومثدنة، فسألنا، فقيل: هي (تبوك)^(١) وهي ناحية ترجع لـ (معان) ولما تجاوزناها قليلاً رأينا خيماً كثيرة لا تحصى عن يمين السيِّكة، فاستداروا بنا حَتَّى صارت عن يسارنا، وإذا هي مضارب الحجر الصحي بزعمهم، وما هو إلا لأخذ الرسوم والضرائب وإيذاء الحُجَّاج وحملهم على مصاعب المصائب؛ فَإِنَّهُمْ غَبَّ مَا أَنْزَلُونَا مِنَ (الفرقونات) وأخذوا الرسم من كل واحد علاوة على ما أخذته (الصحية) في محطة (الشام) لم يكتفوا بذلك حَتَّى أَدْخَلُونَا فِي مَبَانِي مِنَ الخشب والحديد، وانتزعوا ما على كل واحد من الثياب التي عليه وألبسوه من أسماهم^(٢) ثوباً قصيراً قدراً لو كان في الدنيا شيء مما يسمونه بمكروب الهواء الأصفر - أعاذنا الله - لما كان لاصقاً إلا في ذلك الثوب، وأخذوا ثيابهم الطيبة ووضعوها في المكيئة، ولا تسل كيف أخرجوها من الحرارة والرائحة والرطوبة المتعفنة، أما الضعيف فإنني وإن لبستُ تلك الخلعة ولكن ما دفعتُ شيئاً من ثيابي المنتنة بل دخلتُ مع الحُجَّاج من باب وخرجتُ من مقابله، وثيابي تحت إبطي وراء تلك الأسما، أما باقي الحُجَّاج فحبسوهم ليعُذِّروهم؛ بل بحذف الباء عليهم.

وبالجملة فمن يشاهد تلك الأحوال السيئة وما يُمتَهن به الحاج والمسلمون

(١) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ

ظ: (معجم البلدان ٣: ١٤ - ١٥).

(٢) الاسما: جمع سمل: الثوب الخلق البالي.

من الذلِّ وأنواع المحن والمهانة والغرامات من أولئك الجفافة القاسية القلوب، يعرف أنَّه ما من حسنة لحكومتنا إلا وقد احبطوها بسيئة تنوف عليها، ويودُّ الإنسان أن تلك الحسنة ليثها لا كانت ولم تكن، وإلا فما الموجب لكل هذا العناء والهواء في تمام الصِّحَّة والنقاء، والبلدان والمنازل كلَّها من (بغداد) إلى (الشام) بل وجميع الأطراف لم نسمع فيها ذكراً ولم نرَ أثراً لشيء من الأمراض، وكذلك قوافل الحُجَّاج كلَّهم ليس في واحد منهم أقلُّ شكوى وتألُّم إلا من الجور والتعدي، وما تفسده تلك الأعمال من الصِّحَّة أكثر مما تصلحه بكثير، ولكن أين مَنْ يصرخ؟ وأين مَنْ يسمع؟، ثم بعد مقاساة المشاق وبلوغ الأنفس التراق ومضيَّ أربع ساعات في تلك الأعمال ساقونا إلى محجر من مشبكات الحديد (سيم)، فيه تلك الخيام الخُضر فنزلنا فيه ونُقلت إلينا أسبابنا من (الفرقونات)، وبتنا ليلة الخميس ١٧ ذي القعدة في الحجر الصحي (قرنتيلة) وننتظر أن تمضي علينا أربع وعشرون ساعة حتَّى نطلق من ذلك الحبس الجائر الَّذي هو من غير جرم ولا جناية سوى إننا من حجاج بيت الله، وقد صنعوا تلك (المحجرات) كالمحلات المفصول بعضها عن بعض لأنزال القوافل فيها حسب تعاقبها في الورد، وكان في تلك الاشراك والشبكات كثير من الحُجَّاج الَّذين قبلنا وقد انقضت مدَّتهم وسافروا ونحن ننتظر الموعد إلى العصر، وفي تلك المحلات صنعوا للماء (طرمباي) حديد يندفع الماء منها بسهولة، ولكن أيَّ ماء هو؟!، ذلك المرُّ اللبئ الَّذي تجرَّعنا مثله في طريق (الدير) إلى (الشام)، وجاءنا أسود يحمل قربة ماء صغيرة يزعم أنَّه من ماء (تبوك) وأنَّه أحلى من الماء الَّذي عندنا فاشتريناها في ريع مجيدي، فإذا هو من هذا، وكان ذوقنا له مسقطاً للخيار

عنده، وليس في هذا الحجر إلا بقال واحد عنده من بعض اللوازم أردى وأسوء من كل جنس، وهو يسوم بما يقترح ويشاء، ولا يبيع إلا بما يسوم.

والبلد قريبة ولكن لا يدخل منها داخل ولا يخرج إليها منّا خارج، وقد حضر في محلّنا الآن وزارنا بدأة السيّد مهدي الزُكرتي^(١) وهو مع ابن أخيه السيّد عبد الله قاصدون للحجّ - وفَقَّهم الله - وسائر المسلمين، وأيضاً معنا في هذه القافلة الشيخ آغا جمال الاصفهاني^(٢) سليل المرحوم حجّة الإسلام الشيخ محمد باقر نائين^(٣)، وهو في خيمة إلى جنبي في كل وقت، وأراه وأعرفه؛ ولعله لا

(١) مهدي السيّد سلمان العوادي الموسوي: من زعماء النجف المعروفين، كان رئيساً لمحلّة الحويش، وكان له دور فعال في ثورة النجف (سنة ١٩١٨م).

ظ: (أعلام السياسة في العراق الحديث، مير بصري ٢: ٣٦٩).

(٢) آغا جمال: (المتوفى حدود ١٣٥٤ هـ)، عالم إمامي، فقيه. تتلمذ في أصفهان على والده الفقيه الشيخ محمد باقر (المتوفى ١٣٠١ هـ)، وقصد النجف، فمكث فيها مدّة طويلة، وتتلّمذ على الميرزا الشيخ حبيب الله الرشتي. وعاد إلى إيران، فأقام في طهران، وصار فيها من المراجع وزعماء الدين المعروفين، ثم رجع إلى أصفهان وتوفّي بها.
ظ: (نقباء البشر ١: ٣٠٨).

(٣) هو الشيخ محمد باقر النجفي الأصفهاني ابن الشيخ محمد تقّي صاحب (هداية المسترشدين): (ولد ١٢٣٥ هـ - وتوفّي ١٣٠١ هـ). وبعد وفاة أبيه بعثته والدته بنت الشيخ الأكبر الشيخ جعفر إلى النجف الأشرف؛ لأجل تحصيل العلوم وحضر على خاله الشيخ حسن صاحب (أنوار الفقاهة)، والشيخ مرتضى الانصاري، والشيخ حسن صاحب (جواهر الكلام)، ثم رجع إلى أصفهان وكان رئيساً بها ومرجعاً للتدريس والإفتاء واجراء الحدود الشرعية؛ ولذا لقب بـ(حجّة الإسلام)، وله من المصنفات شرح هداية المسترشدين (حجية الظن)، و(لب الفقه)، و(لب الأصول)، وتعليقات واضافات على رسالة صلاتية لوالده، وتعليق فتوائية على (نخبة) الحاج الشيخ محمد إبراهيم الكلباسي.

(ن.م. ١٣: ١٩٨-١٩٩).

يعرفني فلذا لم ابتدئه بالزيارة ولم يتدثني حتَّى الآن.

ثم بعد الظهر بقليل فتحو باب الحجر وأذنوا للحاج بالخروج، وأتوا بـ(الفرقونات) وحملوا الأسباب وركب الناس وجاءوا بهم إلى المحطّة، وبقينا مصبرين لا نعرف ما وجه التعطيل؛ حتّى أزفتُ الشَّمْسُ وجنحتُ للغروب اندفع بنا وجعل يجدلّ في السير ولا يقف في المحطّات إلّا يسيراً، وبعد الخروج من (تبوك) بقليل وقع الخط الحديدي بين الجبال الشواحق والرعان السوامق التي عانوا مشقّة شقّها ومُدّت السِكّة في وسطها، وبيننا نحن ننظر ونبتهر في تلك الشّم الرواسي على ضوء القمر؛ إذ دخل بنا في نقب في الجبل كالسابق وبقي مقدار دقائق.

الأخضر

ثم خرج وما انفكّ يطوي تلك الجبال حتّى أتينا قرب الخامسة من الليل إلى محطّة في محلّ يسمّى بـ(الأخضر)^(١) وكُنّا في أشدّ الانتظار والتطلّع إليه لما ذكروا لنا في (تبوك) من عدم مصادفة الماء العذب إلّا فيه، فلمّا وردناه تروّينا منه وملأنا الأواني والمزاد منه؛ وكانت من أثر ماء (تبوك) أفواهنا ولهواتنا كالحنظل، وكان مأؤه من آبار قريبة واقعة في مساحب تلك الجبال وشعابها، ثم

(١) الأخضر: منزل قرب تبوك بينه وبين وادي القرى مسافة، كان قد نزله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في مسيره إلى تبوك، وهناك مسجد فيه مصلّى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم). وأخضر تربة. ويُسمّى الوادي الأخضر: واد فحل من أودية تبوك يمر شرقها على (٣١) كم، ثم يدفّع في قاع شروري، سمّي الأخضر؛ لأن نبات الرمث يكسو أرضه فيجعله دائم الخضرة ...

ظ: (معجم البلدان ١: ١٢٣، معجم معالم الحجاز ١: ٧٦).

اندفع بنا نصف الليل من محطة إلى أخرى حَتَّى وقف بنا أوّل الشَّمْس في موضع فيه بَنِيَّةٌ من الصخر مشيّدة مكتوب عليه هذا (مبركة الناقة)^(١)، وما أمهلونا إلّا بمقدار قضاء فريضة الصبح بأقل واجباتها وأعجل كيفياتها حَتَّى اندفع بنا.

مدائن صالح

وبعد ساعة وقف على بلد فيها بعض البيوت والحوانيت، وفيها عمارات كثيرة كلّها مشيّدة من الصخور المتقنة، وكل تلك العمارات إدارات لعمليّات ذلك الخط، وفيها عمّلة كثيرة، وعساكر وافرة، وحديد ومكائن، وطرّمبات نارية ومائية، كلّها ممّا يدعو إلى التفرّج والنظر، وهذا الموضع يعرف بـ(مدائن صالح)^(٢)، ولمّا وقف القطار ونزل الحاج من الفرقونات لقضاء حاجياتهم ومصالحتهم سألت عن مقدار تعطيله هناك فقليل إلى الظهر، فسرتني ذلك وانطلقتُ إلى الجبال، وكنتُ أظنّها تبعد عن المحطّة بنصف فرسخ فإذا هي لعظمتها وارتفاعها تُرى قريبة، وهي أبعد من ذلك، وبعد مزيد المشقّة والعناء وطِيّ نشوز^(٣) الرمّال التي ترسب الأقدام فيها إلى الساق، والوهاد الكؤود وصلتُ إلى

(١) انظر: معجم معالم الحجاز، (ميرك) ٨: ١٤٩٥ - ١٤٩٦.

(٢) مدائن صالح: بلدة في شمال الحجاز، ذات صبغة أثرية سياحية، كان أهلها ثمود قوم النبي صالح عليه السلام، يطوّها طريق السكّة الحديدي بين المدينة وتبوك، تبعد شمال المدينة بحوالي (٣٤٧) كم وواديها الحجر يصب في وادي القرى من الشمال، سمّيت بـ(مدائن صالح)؛ اختصاراً لاسم النبي صالح عليه السلام، وانفة عن أسم ثمود الكفار، وهكذا صارت لا تعرف إلا بـ(مدائن صالح).

ظ: (معجم معالم الحجاز ٨: ١٥٢٥).

(٣) النشز: المتن المرتفع عن الأرض.

لَمَّةٌ^(١) من الجبال بينها شعاب ومسارب^(٢)، وكان تحملي لتلك المشقة شوقاً إلى ما سمعته من أن فيها بيوتاً وحُجراً منحوتة وسط الجبال، فلمّا بلغتها وجدت الحجرات في أوساط الجبال والغرفات في أعاليه في كثرة يعسر عدّها، وكل تلك الجبال بمكان من الصلابه بحيث لا يحصل الظفر منها ولو عمل جهده ذرة؛ فكأنّها مذاب من الحديد مصبوب في قوالب، والحجرات متقاطرة في شلخ تلك الهواضب وقرارها.

وهي مربعة متساوية الأضلاع، وبعضها مستطيلة، وهي في أقصى ما يمكن من التساوي والاعتدال، ومنتهى الصقل والصفاء جدرانها وسقوفها، وفي بعضها روازن^(٣)، وعلى باب الحجرة في الفضاء على صفحة الجبل جبهة عالية وتحديدات (إفريز)^(٤) وكتيبة عالية إلى قرب نصف تلك الأجيال التي لا يقدر ارتفاعها إلا بأنّها قد سدّت الجو وصارت سداً في الفضاء بين الأرض والسماء، وفي تلك الكتيبة ما لا أعلم أنّه نقش أم كتابة، ثم انتهيت إلى جبل تطل عليه وتحيط به جبال كثيرة بينها شعاب وفواصل، وكان قد نُحت في ذلك الجبل إيوان عظيم في أطرافه الأربعة اسطوانات مربعة، ولها رأس مربع مُشكّل وكأّن الاسطوانة مفصولة مبنية وما هي إلا من الجبل نفسه، قد صوّرت بأبدع صورة، فكان عرض ذلك الإيوان اثني عشر ذراعاً، وطوله عشرين، وارتفاعه - تقريباً -

(١) اللّمة: المجموعة.

(٢) المسارب: جمع مسرب، وهي القنوات والمجاري.

(٣) الروازن: الأماكن المرتفعة.

(٤) الإفريز: إفريز الحائط، معرّب لا أصل له في العربية.

سنة عشر، والجبال واقفة أمامه من أمم^(١) بحيث تصدّ الشّمس عنه، وتأذن للنساء المنعشة فتخلص إليه من بين تلك الشعاب، ولم تسعد الوحشة والوحدة والقوة والقوى وضيق الوقت للتوغل في تلك الأحناء^(٢) والشعاب، ولا للعود إلى قنن تلك الهضاب للاطلاع على ما فيها من عجائب الآثار وغرائب الاعتبار، وهذا الذي رأيناه بعض أطراف (مدائن ثمود)^(٣) قوم صالح الذين رأينا منهم عياناً ما سمعناه قرآنًا في قوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء: ١٤٩].

ثم نكصتُ راجعاً وقلتُ: (يكفيك من القلادة ما أحاط بالجميل)^(٤)، فلا تتكلفي يا نفس شقة البعيد، فعدتُ أزيغ الزوال من غير المنهج الذي جئتُ به، فرأيتُ في بعض التلال نقباً كأنه جحرُ حيوانٍ، وعنده عظام كادت أن تكون رميمًا، كأنَّ حيواناً أخرجها من قعر رمسها، ومنها قحف هامة كأكبر ما يكون من هامات البشر، وهو في أشدَّ ما يكون من البياض والشنخ حتّى أن قطره يبلغ أو يزيد على العقد، فحملته وجئتُ به إلى أصحابي وكلَّ مَنْ رآه تعجّب، وقال

(١) الأمم: القريب.

(٢) الاحناء: الجوانب.

(٣) كانت هذه الجبال تُسمّى (الأثالث)، وفي معجم البلدان ١: ٨٩: (الأثالث: بلفظ الجمع: جبال في ديار ثمود بالحجر قرب وادي القرى، فيها نزل قوله تعالى: (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين). وهي جبال يراها الناظر من بُعد فيظنّها قطعة واحدة فإذا توسّطها وجدها متفرقة يطوف بكل واحد منها الطائف).

ظ: (معجم البلدان ١: ٨٩: ٢: ٢٢٠ - ٢٢١).

(٤) مثلُ قاله عقيل بن عُلقَة حين سئل لم لا تطيل الهجاء؟ قال: «يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق».

ظ: (البيان والتبيين ١: ٢٠٧).

أعراب تلك النواحي: يوجد كثير من هذا بين تلك الشعاب ويزعمون أنها من بقايا تلك الأمم الغابرة.

جلّت عظمة منشئها، ومفنيها، ومميتها، ومحيتها.

ثم صوّت البخار للتهيوء والاستقرار، واندفع بنا الساعة التاسعة من النهار بين تلك الجبال الشاهقة والأحناء المتضايقة ونحن ننظر إلى تلك البيوت والحجرات المنحوتة في تلك الهضاب والصّم الصلاب.

المعلّى

وبعد ساعتين دخل بنا الى سفح من الأرض تطل عليه وتحيط به تلك الجبال المتعالية، ولكن السفح يزهو بخضرته اليانعة، وبساتينه الفارعة، ونخيله الباسق، وشجره الوارق، وأرض السيكة مرتفعة عنه كثيراً مشرفة عليه إشرافاً، حتّى أتينا إلى المحطة فكان مكتوباً عليها (المعلّى)^(١) وهو أسم ذلك المحلّ، وجاءنا من بين تلك الشعاب والهضاب صبية من سود الأعراب يحملون النومي الحلو، فتهافت الناس وتداكّوا^(٢) عليه وأخذوه بأعلى أثمانه، وذكروا أن ما بين تلك الجبال إلى مسافة عظيمة كلّها بساتين ومزارع ومياه كثيرة.

ثم اندفع بنا قبيل الغروب من ليلة السبت، وما انفك يترامى من خطة إلى خطة، ومن محطة إلى محطة، وأكثر تلك المحطات مترسة بالعساكر النظامية،

(١) المعلّى: عين مندثرة بوادي الصفراء بين الواسطة والحمراء، بقي منها نخيلات على قارعة الطريق....).

ظ: (معجم معالم الحجاز ٨: ١٦٢٣).

(٢) تداكوا: ازدحموا.

والعساكر المتوحشة من عُقِيل وأمثالهم، كل ذلك محافظة من تعديّات تلك الأعراب الغاشمة، والأمم العاتية، والحرب من عشائر حرب^(١) التي هي العذاب الصبّ، العائقة عن كل راحة وهدوء، والواقفة دون كل عمران ورقى.

ثم بقي ينساب عامّة ليلة السبت بنا انسياب الأيم بين تلك الرمال والجبال، حتّى أصبحنا صبيحة السبت بين جبال خشنة سوداء كالحة قاحلة، وحرّات^(٢) كزبر الحديد، وقطاعه المتراكمة التي هي أشدّ سواداً من السبج^(٣)، وأحد أطرافاً من الشفار.

في المدينة المنورة

وما كان إلاّ ساعتان من النهار حتّى وصلنا إلى آخر المحطّات، ودخلنا (المدينة المنورة)^(٤) قبل الظهر من يوم السبت ١٩ ذي القعدة، وكان مُدّة مسيرنا من (الشام) إلى (المدينة) خمس ليال، ليلة ويومان منها في الحجر الصحي، والباقي وهو أربع ليال وثلاثة أيام وهي من مسافة خمسة وثلاثين يوماً للقطار، فسبحان من علّم الإنسان ما لم يعلمْ وهداه للتي هي أقوم.

وكان دخولنا للمدينة من طرفها الشمالي من أسفلها من بابها الغربية المعروفة

(١) عشائر حرب: هي إحدى أكبر قبائل الجزيرة العربية التي استقرت في منطقة الحجاز بين الحرمين الشريفين في بداية القرن الثاني، واستطاعت أن توجد لها كياناً عشائرياً قوياً ابتداءً من القرن الرابع.

ظ: (الموسوعة الحرة ويكيبيديا).

(٢) الحرّة: وجمعه حرار، وأحرين، وحرّات، أرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنما أحرقت بالنار.

(٣) السبج: الخرز الأسود، فارسيّ معرب.

(٤) المدينة المنورة: عاصمة الإسلام الأولى ومحتضنة رفات سيّد البشرية ومعلّمها الأوّل....

ظ: (معجم معالم الحجاز ٨: ١٥٣٤ - ١٥٣٨).

بـ(باب العنبرية)^(١)، ثم تشرّفنا عصرًا بلثم أعتاب الحضرة النبويّة، فشاهدنا مشهداً كريماً ومسجداً عظيماً يدهش الرائي وينعش الجائي في إتقانه وإحكامه، وحسن تنسيقه ونظامه، وبديع هندسته ورائع زينته وزخرفته، وتحليته الذهبية، ونقوشه الملوّنة، وأساطينه الرخامية الرفيعة، وسواريه الشاهقة المنيعة، وهو من تشييد السلطان العثماني عبد المجيد خان^(٢)، ومن محاسن حسناته المشكورة، وهو مربّع مستطيل طوله ٢٥ اسطوانة، عرض الاسطوانة يزيد على سبعة أمتار، وعرضه ١٦ اسطوانة، والمسقف منه اثني عشر في جهة الجنوب، وأبوابه المعروفة الشهيرة خمسة، اثنان من جهة الغرب: (باب السلام)^(٣)، و(باب الرحمة)^(٤)، واثنان من الشرق وهما: (باب جبرئيل)^(٥)، و(باب النساء)^(٦)، وواحدة من جهة الشمال وهي

(١) باب العنبرية: باب بالمدينة المنورة تخرج منه إلى مكة، وإليه انتهت سكة حديد الحجاز سنة ١٣٣٢هـ وما زالت المحطة ماثلة للعيان.

(م. ن. ١: ١٦١).

(٢) عبد المجيد الأول: ابن محمود الثاني، (ولد سنة ١٨٢٢م - وتوفي سنة ١٨٦٠م)، قام بترميم المسجد النبوي وتوسعته وتزينه وإضافة رسوم تركية إلى عمارته، بعدما علم بتصدّع بناءه. ظ: (الموسوعة الحرة).

(٣) باب السلام: هو باب بني عبد شمس بن عبد مناف، وبهم كان يعرف في الجاهلية والإسلام عند أهل مكة فيه ثلاثة طاقات.

ظ: (تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، ص ١٥٥).

(٤) باب الرحمة: هو أحد أبواب المسجد النبوي الغربية، وكان يسمّى (باب عاتكة) نسبة إلى عاتكة ابنة عبد الله بن زيد بن حارثة عمّة رسول الله ﷺ.

ظ: (معجم معالم الحجاز ١: ١٦٠).

(٥) باب جبرئيل: هو أحد أبواب المسجد النبوي الشريف، وكان يسمى باب النبي ﷺ أو باب آل عثمان.

ظ: (م. ن. ١: ١٦٠).

(٦) باب النساء: ويُسَمَّى بـ(باب ربطة) ابنة أبي العباس السفّاح، وكان مكتوب في اعلاه من

(المجيدة)، ولا باب له من جهة القبلة.

أما الحجرة النبوية وضريحه المقدس فهو في جهته الشرقية إلى جنب (باب جبرئيل)، والحجرة عبارة عن ثلاث اسطوانات، كل واحدة قد فصلت باثنين فهو مربع ستة في الطول، وستة في العرض، وبين السواري والأعمدة شبابيك الحديد إلى السقف؛ ولكن من الحديد العادي المصبوغ بالخضرة من جهة الرأس الشريف والأقدام الطاهرة، وأما من جهة الوجه المقدس والقفص صنيع الفلز المعروف بـ(البرنج) المصنوع أبدع صنع، وداخل الحجرة الشريفة ضريحه الأقدس مجلل بأستار الحرير والديباج الأخضر من أرضه إلى سقف المسجد في ارتفاع شاهق، مكتوب ذلك الحرير الأخضر بالابريسم الأبيض كلاً (لا إله إلا الله الله محمد رسول الله) وقبر صاحبيه (رض) داخل الستار، وصندوق القبر الشريف داخل خلفها لا يرى منه شيء، نعم من ناحية الوجه الشريف قُوَّةٌ مفتوحة من الستار أطول من شبر تنكشف عن مشكاة في الصندوق الشريف فيها جملة من الجواهر النفيسة منها (التيمة المعروفة): وهي بقدر بيضة الحمام تتلألأ في الليل من أضوية داخل الحجرة تلالاً باهراً، ومكتوب هناك فوقها هذا قبر رسول الله ﷺ، ووراءه أسفل منه من ناحية الرجلين هذا قبر أبي بكر الصديق (رض) وخلفه كذلك هذا قبر عمر بن الخطاب (رض)، مكتوب في الستار بالخيوط الذهبية، وقبر الصديقة الزهراء (صلوات الله عليها) في صندوق مستقل خلف

→

الخارج لوح من الفسيفساء مكتوب فيه (آية الكرسي) من بقية بناء المسجد القديم الذي بناه عمر بن عبد العزيز ...).

ظ: (التعريف بما آنتست الهجرة من معالم دار الهجرة ص ٣٦).

الظهر عند الرجل داخل الحجرة قبالة بابها، وتحت الرجلين عرض اسطوانة في طول أربع^(١)، وهناك (مقام جبرئيل)^(٢) وبابه ومهبط الوحي وبيت النبي ﷺ منه إلى موضع قبره الشريف عرضاً، وإلى قبر بضعته الزهراء (صلوات الله عليها) طولاً، وبيت أمير المؤمنين (عليه السلام) من موضع قبر الصديقة الزهراء (عليها السلام) إلى (باب النساء) عرضاً، وبين بيته وبيت النبي ﷺ فاصل قليل بقدر عنزة^(٣) كما ورد في بعض الأخبار.

هذا ما استفدناه من الحدس والحس، وتطبيق الخبر على العيان والله العالم. و(المسجد الشريف)^(٤) قد أضيفت إليه زيادات ولكن القديم منه معلّم بعلامات ومحدّد بحدود بيّنة للمتأمل في خصائص هندسته وطرزه.

أما المدينة نفسها فهي قديمة وحادثه و(القديمة): صغيرة جداً ضيقة الأزقة وعليها سور يحيط بها كلاً، وله أبواب محكمة، كان هواؤها في ذلك الفصل يأخذ بالمخنق، كما أنّ أخلاق أكثر أهلها من أزقتها أضيق، ولقد كابدت الحُجَّاج وكابدنا من سوء أخلاقهم وتعصبهم وشدّتهم وتعرضهم وإيذائهم ما تقشعر له أبطار البشرية، ويحمرُّ خجلًا من همجيّته وجه الإنسانية، ولا سيّما خدام

(١) أي في طول أربع أسطوانات.

(٢) مقام جبريل: يقع في الزاوية الغربيّة الشماليّة من بيت رسول الله (صلى الله عليه واله)، داخل المسجد النبوي المقدس.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٨: ١٦٣٩).

(٣) العنزة: أطول من العصا واقصر من الرمح.

(٤) المسجد النبوي الشريف: هو ثاني الحرمين الشريفين، أسسه رسول الله ﷺ في السنة الأولى من الهجرة عند وصوله إلى المدينة المنورة.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٨: ١٥٩٠).

الحرم الشريف وعلى الخصوص المخاصي السود منهم، فقد كادت ليلة أن تقع الفتنة بيني وبينهم، بعد أن طال بيننا الخصام وكثر الكلام وإلى الله ورسوله لا لسواهما المشتكى، أما أولياء الأمور وأمراء الدَّوْلَة فهم لا يسمعون صُراخ المظلوم ولا يُؤاخذون الظالم، فالله هو الحكم بيننا والحاكم، نعم والحق يقال: قد اجتمعتُ ببعض أهل الكمال من أهل المدينة كادتُ حسنة الدهر به أن تكون كفارة لسيئات أهل وطنه، ألا وهو الحرُّ بحقيقة معنى اللفظ الفاضل المَهْدَبُ محمد شكري أفندي حفطي - حفظه الله - وكثر في المدينة أمثاله، وهو وإن كان رسماً مأمور الدخانيّة؛ ولكن أكثر وقته مشغول بتحصيل الفضل والكمال، وهو على حداثة سنّه قد هدّبتَه الأسفار ولم يؤدِّبه أبواه بل أدّبه الليل والنهار، ولَمَّا جلستُ عنده في محلّه توسّمتُ الكمال من شمائله، ولمحتُ الفضل من خلال مخايله، ولم أدرِ أوجهه أصبح أم أخلاقه؟!، ولسانه أعذب وأطيب أم أعراقه؟!، ووجهه أجمل أم فعله؟!، وحيأؤه أكثر أم عقله؟!، وبالجملة فقد برّ وأكرم، وتلطّف وأنعم، واجتمعتُ به مرتين أو ثلاث فامتلك ودّي وحبّي، ووقع أحسن موقع من قلبي، ولأمت طباعه طباعي، فكال لي من المودّة بصاعي، فلو نظرته لوجدته مجسمة النجابة والحياء، ولو اختبرته لشهدت لطيفة الصدق والصفاء، وقد فارقتَه وقلبي يهفو إليه، وأجنحة أشواقي ترف عليه - حفظ الله كماله وجماله - وكثر في المسلمين أمثاله.

و(المدينة الحادثة): وراء السور القديم، وعليها صورة سور، وأزقتها أوسع، وعماراتها أبدع، وهوأوها أصفى، وأهلها أنصف.

البقيع

و(البقيع) خارج عن المدينة القديمة متصل بها من جانبها الشرقي قبالة (باب الجمعة) وهو واقع حالياً في البلد الحادثة، وفيه مقبرة (أهل المدينة)، وعامة قبور السلف، والعمارات الحادثة شاسعة عنه قليلاً؛ ولكنها في ناحية جانبيه شمالاً وجنوباً. أما سعة المدينة فهي يوشك من أواسط الأمصار مثل (كربلاء) أو أقل، ولكن من جهة ما يحفُّ بها من البساتين، وما يجلب (الشمندر)^(١) من (الشام) وأطرافه، تجمع بين فواكه الصيف والشتاء، وبقول الربيع والخريف، فترى البطيخ الأخضر والأصفر، مع الشلجم، والجزر، والليمون، والرمان مع العنب، والتفاح، كل ذلك وما أشبه حاضر مجموع بها دفعة واحدة كما أنَّ (مكة) كذلك، أما الأثمان والأسعار ولا سيَّما على الحجاج فلا تسل عنها، فالقسط هناك عدم القسط. وقد خرجنا بعد دخولنا بيومين إلى زيارة أسد الله ورسوله حمزة (عليه السلام).

طريق مكة

خرجنا من (المدينة المنورة) ليلة الخميس ٢٤ ذي القعدة الحرام أوّل الغروب، وجئنا بمشقة عظيمة في الأخشاب على الجمال، وكان يوماً مشهوداً من الازدحام وتدافع الناس للخروج وهم في كثرة لا يحصيها سوى خالقها ومدبرها، حتّى أتينا إلى السفح من (جبل أحد)^(٢)؛ ولكن على أنَّ المسافة دون الفرسخ،

(١) من وسائل النقل.

(٢) أحد: جبل بالمدينة مشرف عليها من الشمال، أحمر معروف لدى الجميع، وأهل المدينة

يُسَمُّونه (جنّ) ويقع حي الشهداء بسفحه...

ظ: (معجم معالم الحجاز ١: ٦٤ - ٦٥).

امتدَّ الوقت بنا إلى أكثر من ثلاث ساعات من ظلمة الليل الدامس^(١)، وتوقيف (عشائر حرب) للقوافل لأخذ ما يُسمّونه بـ(الخواوة)^(٢)، ونحن مصبّرون على ظهور الإبل، وما جزنا إلاّ بعد جهد شديد، ثم نزلنا بين السفح وبين قبر أسد الله حمزة عليه السلام في فسحة بالسفح ممتدة، وكان مسيرنا مع المحمل الشامي وفي آياله جملة من العسكر النظامي والعقيلي من الأعراب تحت رئاسة بعض الأشراف، وبعض الباشات، والصرة اميني^(٣)، فكانت مبيتنا تلك الليلة هنالك؛ ولكن في ضوضاء وضجّة عظيمة، فلما سلّ الأفق عضبه على زنجي الليل، وقمنا للصلاة عليه سال ذلك الوادي بأعناق الإبل، واندفعنا قبل طلوع الشّمس، وسرنا في حرّة صعبة خشنة سوداء قد أخذت عرض الأرض وطولها، وانتشرت فيها انتشار القتاد^(٤) في شجرة الشوك، فما كان ليرفع البعير خفّه ويضعه إلاّ ويخفّ بنا الوهل والوجل خشية السقوط على تلك الحجارة التي لا ينهض صريعها ولا يسلم قريعها^(٥)، هذا مع شدة الازدحام وتدافع المحامل وضيق البغازات^(٦)، وما زلنا على ذلك حتّى أتينا إلى مضيق بغاز يكتنفه أصلب ما يكون من الجبال الصخرية الشاهقة يُسمّى بـ(المخنق) وهو أوّل منازل هذا الطريق إلى (مكّة) وهو المعروف

(١) الدامس: الشديد الظلمة.

(٢) خوى: ما عند فلان أخذ كل شيء من عنده.

(٣) أمين الصّرة: يُعيّن بإرادة سنية كأمر للحجّ، وربما يُعيّن في إرادة واحدة، وينتخب ممن يحوزون الرّتبة الثانية ويبلغه الإرادة ناظر (وزير) الداخلية.

ظ: (مرآة الحرمين ٢: ١٤٦).

(٤) القتاد: الواحدة قتادة شجر له شوك.

(٥) القريع: الرئيس.

(٦) البغز: كذا في الاصل.

بـ(الطريق الشرقي)^(١)، ويقابله (الفرعي)^(٢)، و(السلطاني) وهما أسمح أرضاً، وأعدل جادةً، وأقل منازلًا ومسافة، وأكثر مياهاً وأعمر قرى ومحالاً، و(الشرقي) خلافه في كل هذه الأحوال ولكن حبيبه إلى الناس أمران:

أحدهما: قرب ميقات إحرامه، فإنَّ ميقات (السلطاني) و(الفرعي)، (مسجد الشجرة)^(٣) وهو ثمانية فراسخ عن (المدينة) تقريباً، ومُدَّة الإحرام منه تكون تسعة أو عشرة أيام، وميقات الشرقي (وادي العقيق)^(٤) كما سيأتي.

وثانيهما: النجاة من أبالسة (حرب) الَّذِينَ لا نَجاةَ من شرِّهم إلاَّ لمن نَجَّاه الله، وهم يرون قتل الحاج وسفك دمه غنيمة فوق سلب ماله، ولا تجوزهم قوافل الحاج إلاَّ وقد ضَحَّوْا جملة من النفوس المحرَّمة في ذلك الطريق، رميّاً بالبنادق، أو رضخاً بالصخور، أو شدخاً بالعمد، وهذا هو الَّذي أعجز الدَّولة مع عدتها واستعدادها وقوة جنودها وعساكرها حتَّى عدلت بالمحمل الشامي عن هذا الطريق مع عمرانه وسماحته إلى سلوك الطريق الشرقي مع صعوبته وشدَّته وقلة مياهاه. وبالجملَة ففي (الخنق)^(٥) غدير ماء يجتمع فيه من ماء الأمطار ويحول تمام

(١) الطريق الشَّرْقي: هو الطريق التي تأتي المدينة من مكَّة مارة شرق الحرة، فتمرُّ بالمحاني، فحاذة، فالمهد، فالصويرة، ويسمَّيه أهل الحجاز (الفرعي) وفرع عندهم مطلع الشمس.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٥: ١٠٦١).

(٢) ظ: (طريق الفرع) في معجم معالم الحجاز ٥: ١٠٦١.

(٣) مسجد الشجرة: يقع شرق طريق مكَّة، في ذي الحليفة المعروف الآن بأبيار علي، وبالحساء، وبالمحرم، على الجانب الغربي من وادي العقيق.

ظ: (المغانم المطَّابة في معالم طَّابة، للفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ - ١٤١٥م) ص ٤٥٨).

(٤) سيأتي التعريف عنه.

(٥) الخنق: هو مضيق وادي رنية بين الأملح والروضة حتَّى يكون مخنقاً للسيل فيسمَّى الخنق.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٣: ٥٧٧).

الحول وكاد أن يكون لغزارته من الشطوط الغزيرة: وهو مصبُّ جملة من تلك الجبال المناطحة أعنة السماوات، والماء مجتمع محيط بأسفل جبل من تلك الجبال، ولكن لم يكن مأوه بالعذب الهني، فقضينا ليلتنا تلك وهي ليلة الجمعة ٢٥ ذي القعدة، وملأنا المزاد وسرنا بعد أداء الغداة في تلك الحرّات السود المبتوثة في عرض الطريق، بحيث لا يجد البعير لخبّه موضعاً من الأرض خالياً منها ليضعه مستقراً مطمئناً، ومازلنا نسير على ظهور الإبل في المحامل حتّى أوشكت الشمس ان تجب^(١) فنزلنا في برحة من الأرض على غير ماء ولا كلاء ويُسمّى هذا المنزل بـ(المغبة)، فإنّ منازل هذا الطريق يوم ورود، ويوم مغبة^(٢)، إلّا أن يصادف بعض المياه من (غُدْران)^(٣) ماء المطر اتفاقاً.

الحجيرية وصفينة

وقبل طلوع الشمس تحمّلنا بعد تنبيه المدفع الشامي، وسرنا في طريق وعر وحزون من الأرض صعوداً ونزولاً على الحرّات السود والعقبات الكؤود، وكلّما سبقنا المحمل الشامي في السير قهرونا عن التقدّم وأوقفونا حتّى يتقدّم وهو يسير سيراً بطيئاً ومعه من العساكر الشامية والعقيلية ما ينوف على المائتين مع ضباط وقواد، ومدافع وأسلحة، ولكن ليس لهم هم سوى حفظ أنفسهم والله هو الحافظ من شرّهم، ولا تنفك منزل من المنازل من سرقات أو قتلى من الحُجّاج غيلة وعلانية، خارج القافلة ودخلها، عند السير وفي المنزل، والسالم من حفظه الله لا

(١) وجبت الشمس: غابت وغربت.

(٢) الغب: ورؤ يوم، وظمأ آخر، وقيل: هو ليوم وليلتين، وقيل: هو أن ترعى يوماً، وترد من الغد.

(٣) غُدْران: جمعه غُدُر: الماء الذي يُغادره السيل في مستنقع ينتهي إليه.

دافع ولا مانع، فسرنا من طلوع الشَّمس وهجم علينا الليل وغشانا الظلام ونحن نتوغل في شعاب الجبال يدفعنا شعب إلى جبل، وجبل إلى شعب، وتفرق الحاج في تلك المضائق والشعاب كل خزلة^(١) في مضيق، فاستوحشنا لذلك أشدَّ الوحشة، وخاطرنا أعظم المخاطرة، ولو أخذَ نصف الحاج - وكان أكثر من عشرين ألف - لم يدفع عنه أحد، وقد تلفت بعض النفوس والأثقال، حتَّى نزلنا الثالثة من الليل في بغاز ضيق بين جبال شاهقة وأرضه متوعدة بالصخور التي أطرافها كالشفار، فنزلناها في ظلام الليل الدامس الذي لا يبصر الإنسان البصير فضلاً عن الكلب في ظلماته الطُّنبا^(٢)

ويُسمَّى هذا المنزل (الحجرية)^(٣)، لكثرة أحجارها ولكن - والله القدرة - فيها آبار كثيرة متقاربة ذات ماء معين عذب غزير قريب مشرحة^(٤) دوائرها بتلك الأحجار السود، وكُنَّا على نفاذ من الماء، ويبس من الرواء، فترَوِينَا وأكثرنا، وبتنا هنالك وملأنا المزاد، وسرنا بعد صلاة الفجر حتَّى أتينا آخر النهار إلى مغبة (الحجرية) وهي وسط بين (الحجرية) وبين الورود الذي بعده، الذي يعرف

(١) الخزلة من الشيء: القطعة.

(٢) من قول مُرَّة بن مُحَكَّان السَّعْدِيّ، وأصله:

في ليلة من جمادى ذات أنديّة لا يبصر الكلب من ظلماتها الطُّنبا

ظ: (مرة بن محكان السعدي حياته وما تبقى من شعره: جمع وتحقيق د. عباس هاني الجراخ،

مجلة (العرب)، ص ٧٩٠، ج ١١-١٢، س ٣٣، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م).

(٣) الْحَجَر: قرية لبني سليم، وتعرف (قرية الحجرية).

ظ: (معجم معالم الحجاز ٢: ٤١٢).

(٤) شَرَحُ الوادي: مُنْفَسِّحُهُ.

بـ(صُفِينَة)^(١) فعشينا هنالك وسرنا منه صباحاً حَتَّى أتينا قبل العاشرة من النهار إلى (صُفِينَة)، وهي أرض حرّة ذات صخور مختلفة الألوان أكثرها السود العظيمة، وفيها آبار قريبة القعر، غزيرة الماء، عريضة واسعة مُشرّجة إلى موضع الماء بتلك الصخور بناءً محكماً، أما موضع قرار الماء منها فهو عبارة عن صخرة واحدة سوداء قد نُقر فيها مثل الحوض الكبير ونبع الماء من وسطه، حَتَّى تخيلتُ أنّه مطليّ الأطراف والأرض بالقار، وبعد التأمل وجدته صخراً منقوراً، وهي أيضاً آبار كثيرة مأوها متوسط لا يخلو من مجاجة، وهناك بيوتات من صخر وطين، وقليل من النخيل، والمزارع يستقون لها على النواضح من تلك الآبار.

وتلك الأراضي من قبل (الحجرية) إلى ما بعد (صُفِينَة) لـ(مُطير)^(٢) وهي عشيرة كبيرة معروفة الفتك والقوة والفروسية في أعراب (الحجاز) تتبع (ابن صباح)^(٣) أمير الكويت، وعشينا تلك الليلة وهي ليلة الثلاثاء ٢٩ ذي القعدة هنالك

(١) صُفِينَة: تصغير صَفْنَة، أرض زراعية آهلة بالسكان في ديار مُطير، وهي جوفة في صَفْن حرّة بني عبد الله من الشرق، تصب فيها أودية عديدة، وفيها نخيل وقرى متناثرة...
ظ: (م. ن. ٥: ٩٩٨).

(٢) مطير: هي قبيلة عربية كبيرة من قبائل شبه الجزيرة العربية، استوطنت في نجد والحجاز وتنقسم القبيلة إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي بني عبد الله، وعلوي، وبرية تمتد منازلهم من حدود هضبة الصمان في شمال شرق شبه الجزيرة العربية مروراً بعالية نجد وحَتَّى أطراف الحجاز قرب المدينة المنورة وما جاورها.
ظ: (الموسوعة الحرة ويكيبيديا).

(٣) مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله ابن صباح، من عنزة: (١٢٥٤ - ١٣٣٤هـ = ١٨٣٨ - ١٩١٥م). أمير الكويت وسابع من وليها من آل الصباح، من الشجعان الدهاة، له شأن في تاريخ العرب الحديث، وتقدمت الكويت في أيامه.
ظ: (الاعلام ٥: ٢٧٠).

في السبختين

وبكرنا منها في الرحيل بعد تزود الماء منها لما بعدها، وسرنا حتَّى أتينا إلى أرض واسعة ووادي فسيح كلّ أرض سباح يعلوها من الشورة والملح الأبيض الرقيق قدر أصبعين، فسرنا فيها على مثل هذه الحال قدر أربع ساعات بل وأكثر، ووقعنا بعدها في أرض طيبة قدر ساعة أو أكثر، ثم وقعنا في مثل السابقة ولكن أقل منها مسافة، ومن - فضل الله تعالى - أنّ هذه الأرض لم يكن قد مسّها المطر أو الطل من كُثْب؛ وإلاّ لكانت مزلقة للإبل لا تستطيع أن تسلكها دون عطبٍ كثير، وخطر عظيم، ولأوجب التجافي عنها بما يستلزم زيادة منزل على المعتاد، وعلى يبسها وجفافها كانت الإبل تسير فيها وتبدأ خوف الزلق وتُسمّى هذه الأرض بـ(السبختين)^(١) وفي منتهاهما عشنا هنالك على غير ماء سوى ما حملناه معنا من المنزل السابق.

حائَة - الفُريع

وسرنا منها صباح السُلخ^(٢) يوم الأربعاء، حتَّى أتينا بعد المرور على حرّات وعقبات وقد جفّت القرب والأزواد إلى شُعب فيه آبار كالأبار السابقة، وفيه قلعة مهدومة على أطراف الجبال، ووراء الجبل بعض البيوت، وتُسمّى هذه المواضع

(١) السَّيْحَة: موضع بالمدينة بين موضع الخندق وبين سلع الجبل المتصل بالمدينة، وبالسبخة جالت بعض خيل المشركين، وقد اقتحمت من مكان ضيق في الخندق، منهم عمرو بن ود العامري فقتله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بالسبخة. وهي حي حديث جميل من أحياء المدينة.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٤: ٧٨٤).

(٢) السُلخ: هو آخر يوم من الشهر.

(حائه) ^(١) و(الفرع) ^(٢) بالتصغير، والأراضي إلى عدّة منازل لاحقة لعشيرة كبيرة أيضاً من أعراب الحجاز تُسمّى (عُتَيْبَة) ^(٣) بالتصغير، وكلّ هذه القبائل كـ(حرب) الذين لهم في هذا الطريق من المدينة إلى (الحجرية) لا يتجاوزهم قوافل الحاج سواء كان تحت راية الحكومة أو تحت راية أحد أمراء نجد كـ(ابن الرشيد) وغيره إلا بخاوة أو رفق ودفع أموال طائلة، واستصحب خفير ومبرقة منهم كعامّة (الطريق السلطاني) الذي هو أتعس وأشدّ، وهو كلّ خاصّة لـ(عشائر حرب) ويأخذون فيه الخاوات الباهضة حتّى من الحكومة أنفسهم لو مرّوا عليه، ومع ذلك كلّ لا يسلم الحاج من بغيهم لا في هذا ولا ذاك، وإنّ الشّرّ في الذي نحن فيه أهون من ذلك الطريق.

وبالجملة فالبلاء عظيم، والمحنة شديدة، والأمنية معدومة؛ وحقّاً لو أنّ الكفار ملكوا هذه الطرق لما عاملوا المسلمين بأشدّ من هذه المعاملة. والله هو الحفيظ والكافي.

ثم عشنا في (حائه) ليلة الخميس غرّة ذي الحجّة الحرام وسرنا منها صباحاً بعد ثورة المدفع على العادة نزولاً ورحيلاً، وكان مسيرنا من أوّل منزل وهو (جبل أحد)

(١) لم أعثر على تعريفها.

(٢) الفرع: مكان من ديار الروقة زراعي خصب التربة غزير المياه، يقع بين قاع النّجيل وحرّة الروقة في تجويف من الحرّة، متصل بالقاع من الشرق. ملاكه الروقة من عتيبة...
ظ: (معجم معالم الحجاز ٧: ١٣٢١).

(٣) قبيلة عتيبة: هي قبيلة عربية قيسية مضرية عدنانية، وهي من قبائل شبه الجزيرة العربية تستوطن نجد والحجاز. ويرجع نسبها إلى هوازن.
ظ: (الموسوعة الحرة ويكيبيديا).

إلى هذا المنزل كله إلى جهة المشرق، ومن (حائه) انحرفنا إلى جهة الجنوب.

وادي العقيق

وبعد تجاوز (حائه) بسويعات من النهار استدبرنا الحرات والعقبات، واسترحنا منها وصرنا في بسيط من الأرض، ووادي لا أمت فيه ولا عوج، ولكنه مشحون بشجر الغيلان العالي ذي الشوك والقتاد المستطيل الذي يخرق ما مر به من الثياب وملابس القائدين والرجالة، واستار المحامل، فسرنا على ذلك إلى وقت الطَّفل^(١)، ونزلنا في برحة من ذلك الوادي الفسيح الرحب، وقال المترددون وأهل الخبرة: إنَّ هذا أوَّل (وادي العقيق)^(٢) وهو (المسلخ)^(٣)، وإنَّ إلى يسارنا قريباً (البركة)^(٤) وعلامات الحدود، وحصل لنا من الفحص والاستعلام نوع شك وترديد في كونه هو أوَّل، وشهد بعض من على كلامهم أمارات الصدق أنَّ

(١) الطَّفل: الشمس عند غروبها.

(٢) العقيق: أودية العقيق في الحجاز سبعة: عقيق المدينة وهو الأشهر، والاكثَر في كتب التاريخ، يأخذ أعلى مساقط مياهه من قرب وادي الفرع، ثم ينحدر شمالاً بين الحرار شرقاً، وسلسلة جبال قدس غرباً حيث ترفده أودية عظيمة...

أنظر العقيق في (معجم معالم الحجاز ٦: ١١٧٣ - ١١٨٥).

(٣) المسلخ: قرية في وادي عقيق غشيرة في أسلفه، شمال بركة زبيدة بحوالي (٦٠) ك فيها مقاه وبيع محروقات على الطريق بين الطائف ومهد الذهب، أهلها من عتية.

ظ: (م. ن. ٨: ١٥٩٤ - ١٥٩٥).

(٤) البركة: اسم يطلق اليوم على آثار زبيدة بنت جعفر بن المنصور، أم محمد الأمين، ولزبيدة برك كثيرة تعرف اليوم باسم برك زبيدة...

ظ: (م. ن. ١: ١٩٥ - ١٩٧).

الحاج طول السنين حتّى من اتفق من أكابر العلماء كحجّة الإسلام الشيرازي^(١) والشيخ محمّد طه نجف^(٢) وغيرهم من الأعلام لم يُحرموا من هذا الموضع الذي يقابل (المسلخ)، وإنّما أحرموا من أمامه مما يلي نصف الوادي وهو (عَمْره)^(٣)؛ ولذلك توقفنا عن الإحرام ليلتنا تلك، ولكنّا تهيأنا له فاغتسلنا وأحضرنا الثياب وقلعنا سقوف المحامل، وارتحلنا منه على العادة بين الطلوعين والبرد كالح^(٤) والريح بالقر^(٥) عاصف، فسرنا قدر ثلاث ساعات من النهار، فنزلنا في أثناء الطريق، وصلّينا وعقدنا الإحرام وثيابه في بطنان (الوادي)^(٦) في برحة منه بين شجر الغيلان، وارتفعت الأصوات بالتلبية، وبدتْ الناس في صورة مشجية، وهيئة مبكية، الرؤوس مكشّفة، والمحامل لا مغطاة ولا مسقّفة، والناس قد أعروا أبدانهم ولبسوا أكفانهم وبرزوا إلى الله جميعاً كهيئتهم يوم العرض عليه في

(١) هو السيّد الميرزا محمّد حسن بن محمود الحسيني النجفي المعروف بـ (المجدد) (ت ١٣١٢هـ).

أعظم علماء عصره، وأشهرهم وأعلى مراجع الإماميّة في سائر الأقطار الإسلاميّة في وقته.
ظ: (النقباء ١٣: ٤٣٦-٤٤١).

(٢) هو الشيخ محمّد طه ابن الشيخ مهدي النجفي. (ولد سنة ١٢٤١هـ - وتوفي سنة ١٣٢٣هـ).
مرجع كبير من مشاهير علماء عصره.

ظ: (ن. م. ١٥: ٩٦١-٩٦٧).

(٣) أنظر (غمرة) في (معجم معالم الحجاز ٦: ١٢٦٦ - ١٢٦٨).

(٤) كالح: شديد.

(٥) القرد: البرد.

(٦) الوادي: إذا أطلق اسم الوادي في المدينة فهو يعني العقيق، وإذا أطلق في مكة يعني مر الظهران، ويُسمّى وادي فاطمة، ووادي الشريف.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٩: ١٧٨٢).

المحشر، و(الوادي) كلّهُ قطعة بياض واحد رجالاً^(١)، وركباناً، وجماعات، ووحداناً.

أما (وادي العقيق) فهو فسيح واسع جداً؛ وحقاً أنّه لا وسع من الدهناء^(٢)، وأبسط من سطح الماء، لا تجد في أرضه الحرّة صخوراً ولا حرّة، ولا تلاً ولا جبلاً، بل لا تجد في قاعته إلا الطين الحرّ أو الحصيات الملوّنة من السّود والحمر، وفيه كثير من الأشجار البرية: كالضّال^(٣)، والأثل^(٤)، والعُشر^(٥)، وأكثر شجره الغيلان الذي هو أشدّ الشجر شوكة لم يدع لماشٍ ثوباً إلا مزقه، ولا لراكب ستار محمل إلا خرّقه، وأكثر نباته الإذخر^(٦) الطيب الرائحة المشتمل على جملة من الخواص، ثم سرنا حتّى أتينا قبيل المغيب إلى برحة من الوادي كان إلى جنبها غدير ماء من مياه السماء، وكان ذلك عناية من الله على يأس، ولو لم نعثر عليه لأضرّ بنا العطش، وكظنا الظمأ، فقد تروينا من (حائه) قبل منزلين ولم يبق معنا هلة^(٧) من الماء ولا بلة^(٨)، فعشينا ليلة السبت هنالك وسرنا مع بزوغ الشّمس وصرنا في (بغاز) من الأرض ومضيق من الجبال، ووجدنا في أثناءه ثلاث نخلات عاليات قد نبتت من أنفسها وقد جللها السعف والكرب من أعلى

(١) أي راجلين.

(٢) الدهناء : الفلاة.

(٣) الضّال أو الضّال: هو السّدر البري وهو من الفصيلة النبقية، شجرة شائكة كثيرة التفرع.

(٤) الأثل: شجر يشبه الطرفاء، إلا أنه أعظم منها و أجود منها عوداً، تصنع منه الأقداح الصفر الجياد.

(٥) العشر: فيه حراق مثل القطن لم يقتدح الناس في اجود منه.

(٦) الإذخر: نبات معرّوف ذكي الريح وإذا جفّ أبيض.

(٧) الهلة: قطرة المطر.

(٨) البلة: أدنى بلل من الخير: أي لم يبق معنا شيء.

إلى أسفلها، لم تجد مَنْ يريحها منه لَتَمَنَعَهَا بوحشية مَنْ يوجد هناك لو اتفق.

ذات عرق - ضريبة

وبعد مسير ثلاث ساعات من النهار انتهينا إلى آخر ذلك (البغاز) وهو آخر (وادي العقيق) المعروف بـ (ذات عرق)^(١)، ويُسمَّى اليوم (ضريبة)^(٢): وهو شِعب أرضه من رمل متلبّد من الحصى الصغار المتلوّن، فنزل الحاج كلّ وجعلوا يحتفرون فيه قدر ثلاثة أشبار أو أربعة، فيخرج الماء الزلال العذب في الجملة، وصاروا يملأون منه المزاد والقرب، وكل ما معهم من الأواني والظروف، والحفيرة كلّما أخذوا منها نبع منها بقدرة أو أزيد، والشِعب كلّ على طوله على هذه الصفة. ونزل المحمل وموكبه فأحرموا كلّهم من هذا الموضع وهو الميقات عند غيرنا.

وادي الليمون

ثم سرنا ضحوة يوم السبت من (ضريبة) حتّى نزلنا عصرًا دون (وادي الليمون)^(٣) للاكتفاء بما معنا من الماء، ثم سرنا صباحًا حتّى أتينا الظهر إلى (وادي الليمون): وهو وادٍ أنيق فيه بساتين زاهرة ذات نخيل باسق، وأشجار يانعة، وتربة

(١) ذات عرق: الجبل المطل على موضع الإحرام.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٥: ١٠٣٥).

(٢) الضريبة: وادٍ حجازي يدفع سيله في (ذات عرق)، وموضع ميقات أهل العراق والقصيم (ذات عرق) في الضريبة؛ حيث يقطعها درب المُنَقَّى، فيها مياه وفيرة، ولها روافد متعددة منها: أنجل، والرّصن، والصُّير، والمحفار، ونجار، وأمعاء. وفي الأصل كانت الضريبة قسم من (ذات عرق)، أما اليوم فهي محل الإحرام؛ لكون الماء في وادي الضريبة تفرد الوادي بالأسم ... (م. ن. ٥: ١٠٣٥ - ١٠٣٦).

(٣) أنظر: (مرآة الحرمين ١: ٣٧١ - ٣٧٢).

طيبة مرتفعة على حافتي مسيل^(١) عريض كأعرض ما يكون من مواضع (شطّ الفرات)، وهو منخفض جداً عن موضع البساتين وفيه تجري السيول المتراكمة حتّى يكون كالشطوط الكبيرة، وقد يبقى فيه يجري أشهراً ثم يجف، وعلى حافته أرض من الطين الحرّ الحرّي^(٢) بالغرس والزرع كأراضي مزرع العراق، ويتصل بتلك الأرض الجبال السوداء الشاهقة من جانبي المسيل، وتستقي تلك البساتين الأنيقة والمزارع المريعة من قناة تجري في شلخ الجبل على الصخور السود منه، ويجري هناك في نهر مكشوف قد سرح تسريحاً حتّى صار يندفع بانحدار وقوة، وهو أعذب ماء وأصفاه في كلّ هذا الطريق، ثم تُجرّ منه سواقي وأنهار إلى البساتين والمزارع، وتجري منه شعبة إلى بركة رشيقة مبنية بالصخور والكلس من الساروج^(٣) يستقي منها الحاج والقوافل، ويزدحمون على الغسل والغسل حتّى يتكدر صفاء ذلك الماء ويكاد أن يخرج عن حقيقته من أقذارهم وأوساخهم، وتلك الرساتيق^(٤) والأماك كلّها لأشراف مكّة وأعظمها لسيد الجميع^(٥)، وله نائب عنه هو الحاكم فيها، وحولها بيوت وعمارات كثيرة كقري وجماعات مُتفرّقة أكثرها على قُنن الجبال؛ خوفاً من السيل، وحرصاً على زراعة السهل.

وكنتُ في حاجة إلى الاغتسال من مسّ الخبيث فمضيتُ إلى النهر، واغتسلتُ

(١) مسيل: ماء ظاهر من الأرض.

(٢) الجدير.

(٣) الساروج: مادة للبناء.

(٤) الرساتيق: جمع رستاق، وهو السواد.

(٥) سيد الجميع هو: الشريف حسين بن علي، ولي في ٦/ شوال / سنة ١٣٢٦هـ. ثم أعلن نفسه

ملكاً على الحجاز ثم خليفة.

فيه بثياب الإحرام ثم صلينا الظهر والعصر في بطحاء المسيل، وركبنا ساعتين أو ثلاث، ثم نزلنا دون (برود)^(١) وعشينا ليلتنا هناك وسرنا صباح يوم الاثنين ٥ ذي الحجة الحرام فمررنا بـ(بئر برود)^(٢) ضحوة النهار وهي بئر واسعة عليها شجرة كبيرة لم يسعنا النزول للنظر إليها واكتشاف بعض شؤونها.

في مكة

ثم تجاوزناها قدر ساعتين فأتينا إلى أول الحرم وهو عن (مكة) ثلاثة فراسخ تقريباً، وهو معلّم بينان حائطين مستطيلين كالرواق من الجص والصخور في وسط تلك الفلاة الهيماء، فنزلنا من محاملنا وأدنا المسنون من الدخول فيه حافياً داعياً حاملاً نعليه في يديه، وهذا هو اليوم الرابع من إحرامنا، وقد قاسينا شدائد الحرّ والبرد، وكُنّا منه في اختلاف الجديدين على حالين متناقضين أشدّ التناقض، فالنهار بحرّ شمس يشوي وجوهنا، والليل يبرد قرّه يضوي^(٣) جسمنا، وكان الموظفون للخيام يجمعونها نصف الليل فيتركون رؤوسنا المكشوفة للسماء وأبداننا العارية للهواء فترانا نهتز ونتفضّ:

كما انتفض العصفور بلله القطر^(٤)

(١) أنظر: (برود) في معجم معالم الحجاز ١: ١٩٨.

(٢) بئر برود: بئر كانت في الزاهر من مكة.

ظ: (معجم معالم الحجاز ١: ١٩٨).

(٣) يضوي جسمنا: يوهن قوتنا.

(٤) عجز بيت البيت لأبي صخر الهذلي، وصدرة:

وإني لتعروني لذكراك فترة

ظ: (خزانة الأدب ٣: ٢٣٦).

أو

كما اهتزّ تحت البارح الغصن الرطب^(١)

فإذا طلعت الشَّمْسُ فقل: جمرة غَضَى^(٢) على صفحات وجوهنا من غير مبالغة ولا تمثيل، ولا زالت تستدير تجاه وجوهنا من طلوعها إلى الغروب كأنما نحن هي وهي لنا حرباء^(٣) لا نجد من لدعها مفراً ولا محيصاً، ولقد بقى أثر موضعها في قرني رأسي كما يبقى من أثر الجمرة على الجلد الرقيق، حتّى بعد الحل من الإحرام عشرة أيام، هذا ونحن يومئذ في صَبَّارة^(٤) الشتاء أوّل كانون، ولقد كان يهوّن عليّ ما بي تذكري حال من يحجّ في حمّارة القيظ^(٥)؛ وأعجب لحياة واحد منهم غاية العجب فضلاً عن حياة الأكثرين، وكنتُ أعدّ سلامتنا مع مفاجأة تلك الأحوال الهائلة المتناقضة المضادة لما تعودّ عليه هذا الجسم الضعيف طول العمر ليس هو إلّا بتصرف إلهي ونفوذ روحي، وعند هذا المقام ينتهي الكلام، فقد كنتُ وكل مسلم حسب الديانة اعتقدَ ديناً وأعقدَ القلب يقيناً على أنّ الصّحّة والسقم، والحياة والموت، والرزق والحرمان، كلّها بمشيئة الله وإرادته وسابق علمه وقضائه من غير عزل لوساطة الأسباب ومجاري المسببات، ولكن رأيتُ

(١) عجز بيت للأقرع بن معاذ القشيري يشكر برّ ابنه، وصدره:
وتأخذه عند المكارم هزّة

ظ: (التذكرة الحمدونية، ٤: ٩٣).

(٢) الغضى: شجر ويستعمل وقوداً.

(٣) الحرباء (معربة): دويبة تتلون ألوانا بحدّ الشمس.

(٤) صَبَّارة الشتاء: شدّته وقوته.

(٥) حمّارة القيظ: شدّة الحر وقوته.

هذه الطوية والركيزة في سفري هذا شهوداً وأبصرتها عياناً؛ فإننا ونحن الألوف من أشتات العناصر ومتفرقات الشعوب كُنَّا نمرّ على أسباب الهلكة ومقتضيات المنية التي لو قطعنا النظر عن تلك المشيئة القاهرة أمّ الأسباب الأول والمعلولات والعلل؛ لكان الهلاك بها لازماً؛ ولكن لعدم تعلّق تلك المشيئة نمرّ على تلك الأسباب القاضية فنجدها برداً وسلاماً.

وربّما نجد الأقل منها ناجزاً^(١) في تأثيره، نافذاً إلى غايته ومصيره، فيُعلم من هذه الإثارة ويشاهد بتلك المطالعة السيّارة إنّ شيئاً هنا وراء الأسباب هو روحها، وبه نفوذها، وعليه يدور محورها. نعم ولا يَنخَدَعَنَّ الأغرارُ^(٢) بهذه الومضة من ناصع الحقيقة فينفض يده من التعلّق بالأسباب بّته، ويتكل على قضية القضاء والقدر جملة، ويتكئ على لوح المحو والإثبات، تاركاً للتثبت والتدبر والحزم والتحفظ بل النمرقة الوسطى والسبيل الجدد الذي من سلّكه أمين العِثار، أن يمدّ المرء عينيه إلى كلّ من مثل قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [النساء: من آية ٧٨] مع مثل قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: آية ٣٩]، «...اعملوا فكلّ ميسر لما خلق له...»^(٣).

(١) الناجز: الحاضر.

(٢) الأغرار: جمع (الغرّ) وهو غير المجربّ (الساذج التفكير).

(٣) عن الإمام علي عليه السلام قال: كان النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض، فقال: ما منكم من أحد الا وقد كُتِبَ مقعده من النار، ومقعده من الجنة، قالوا يا رسول الله: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، اما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، واما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ الآية. ظ: (صحيح البخاري ٦: ٨٦).

والغرض أننا بعد خوض تلك الغمرات، وطَيَّ هاتيك الهنات والموهنات - بعناية الله ومساعدته وتوفيقاته - لأضعف ما ذرء وبراء من مخلوقاته، دخلنا (مكة) المشرفة يوم الاثنين ٥ ذي الحجة الحرام التاسعة من النهار، وبقينا قدر ساعات نتطلب المنزل المناسب وضعاً وقيمة؛ فإنَّهم كانوا يسومون الحجرة الواحدة بعشر أو تسع عثمانية على سبعة أو تسعة أيام، وبعد الجهد نزلنا في حجرة بمحلة (الشعب) الذي يعرف بـ (شعب عامر)^(١) وهي بعيدة عن الحرم ولكن عادة العراقيين والإيرانيين النزول فيها، ولا أعرف ما الذي حسنَّ لهم ذلك منها، وقبل النزول في المنزل تلقَّانا وحيَّانا بطلعته المباركة سيِّدنا الشريف الأجل المولى السيد علي العلاق^(٢) - أطال الله عمره، وأعلى قدره - وكان قد ورد إلى (مكة) قبلنا بأربعة أيَّام، وصار منزلنا قريباً من منزله، فأمر لنا تلك الليلة بوليمة على عادته من المكارم الدُّثُر والأَيادي الغرِّ، واستوفينا مع الرفقة العشاء عند محلِّه وحملوا

(١) شعب عامر: شعب بمكة عليه حيٍّ من أشهر أحيائها يجاور (شعب علي) من الشمال يصب من الخدمة في الغرَّة. والصواب (شعب ابن عامر)، وقيل: بل (شعب بني عامر)؛ وذلك انه كان منازل لبني عامر بن لؤي القرشيين.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٥: ٩١٧ - ٩١٨).

(٢) هو السيد علي ابن السيد ياسين ابن السيد مطر الحسني العلاق النجفي. (ولد سنة ١٢٩٣هـ - وتوفي سنة ١٣٤٤هـ). عالم أديب وشاعر بارع.

ظ: (النقباء ١٦: ١٥٥٧ - ١٥٥٨).

وقال محبوبه في (ماضي النجف وحاضرها) ٥: ٢٣٦ - ٢٥١: (من أشراف السادة، وأعيان أهل الفضل والمجد، له مكانة سامية، ومحلّ رفيع في نفوس أهل العلم والأدباء من النجفيين، رأيته وحضرت ناديه، كان كاملاً اديباً شاعراً ناثراً، تعلوه الهيبة، ويجلِّله الوقار، ويقطر ترفاً، وينطق ظرفاً، خفيف الطَّبع، حسن الكلام، حلو المفاهمة، محبوب المعاشرة، اختلط بكثير من الأدباء والعلماء في النجف...).

إلى العائلة كفايتهم.

وبعد الخامسة من الليل خرجنا لأداء الواجب من الطواف حول البيت، والسعي بين (الصفاء)^(١) و(المروة)^(٢)، وبعد ان من الله علينا بفضلته في أدائها تحللنا بالتقصير والخروج من محرمات الإحرام ونزع ثيابه، وعدنا إلى منازلنا أخريات الليل، وأقمنا بمكة إلى اليوم الثامن (يوم التروية)، ثم خرجنا إلى (منى)^(٣) عصرًا، وبينها من المسافة ما يقرب من ثلاثة أميال فأتيناها قبيل الغروب والناس تفيض إليها من (مكة) فيض السيول من تلك الجبال الشواحق إلى تلك الغيطان^(٤) والأودية، والازدحام شديد، والخطر من التدافع والتصادم عتيد، ولما أتينا (منى) وجدناها بلدة عامرة ذات عمارات أنيقة، وأزقة متسعة مستطيلة، وموقعها شرقي (مكة) وهي شعب من شعاب تلك الجبال التي لا يحصيها العد ولا يعدّها الإحصاء، ونزلنا في ميسرة الجبل إلى جنب (مسجد الخيف)^(٥) وبتنا ليلة

(١) الصفاء: جمع صفاة: أكمة صخرية بمكة هي بداية المسعى من الجنوب، كان الصفاء متصلا ب(أبي قبيس)، فشق بينهما مجرى للسيل في عهد الدولة السعودية عند توسعة الحرم الجديد....

ظ: (معجم معالم الحجاز ٨: ٩٨٧ - ٩٨٨).

(٢) المروة: جبل بمكة يعطف على الصفاء.

ظ: (م. ن. ٨: ١٥٦٤ - ١٥٦٦).

(٣) منى: أحد مشاعر الحج وأقربها إلى مكة.

(م. ن. ٨: ١٦٧٠ - ١٦٧٢).

(٤) الغيطان: الأرض الواسعة.

(٥) الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمّي (مسجد الخيف) من (منى)...

خيف منى: معروف اليوم ب(مسجد الخيف) في سفح جبل (منى) الجنوبي من الشمال.

ظ: (معجم البلدان، ٢: ٤١٢، معجم معالم الحجاز ٣: ٥٩٠ - ٥٩٢).

(عَرَفَة) ^(١) هنالك وسرنا أوّل طلوع الشّمس منحدرين إلى عرفات، فبلغناه ضحوة ذلك اليوم وكانت خيامنا مضروبة أمامنا فنزلناها وهي إلى مَيْسَرَة (جبل عرفات): وهو جبل صغير إلى جنب جبال شاهقة تحيط به مستديرة بوادٍ فسيح متسع وسهول من الأرض بسيطة، وعلى قُنة الجبل الصغير صخرة بيضاء منصوبة كالميل تُرى من بعيد، وفي وسط ذلك الوادي جداران مستطيلان لتعيين حدود (عرفة) بدايةً، والنهاية خلف الجبل.

أما منزل جماعاتنا فهو في السفح ممّا يلي (مكّة)، وأمّا غيرنا فينزلون الجبل نفسه ويتزاحمون عليه، والبقيّة منهم تنزل السفح من جانبه الشرقي، وهم في تلك العشية فوق الجبل يتراکضون عليه ويتلاعبون بخرقٍ في أيديهم يرمون بها في الهواء، ولم أعرف وجه ذلك.

وعلى أيّ فقد أقمنا بقيّة هذا اليوم في (وادي عرفات) مشغولين بالذكر والدّعوات المقدّسات إلى وقت الطّفل بعد العاشرة من النهار، وعندها نهض القائمون بالوظائف لتقويض الخيام والتهيؤ للرحيل، فركبنا قبيل الغروب وبقينا على ظهور مطايانا في محاملنا نتهاون في السير ونتماهل حتّى سقطت الشّمس في مغيبها، وعندها اجتمعت القوافل واندفعت الرواحل، وأفضنا من (عرفات) وخرجنا من حدودها المعلّمة المعلومة قاصدين إلى (المشعر الحرام) فأخذوا يجدّون في السير الحثيث ويتصادمون أشدّ التصادم، وعندما جَلَل الظلام وجه

(١) عرفة: هي المشعر الأقصى من مشاعر الحج، على طريق مكّة والطائف على ثلاثة وعشرين (كم) شرقاً من مكّة، وهي فضاء واسع تحف به الجبال من الشرق والجنوب والشمال الشرقي.

ظ: (م. ن. ٦: ١١٣٤ - ١١٣٦).

الأفق أشعلت السُّرُجَ وأسرجت المشاعل حتّى صار الوادي كلّ شعلة واحدة، وبعد الثالثة من ليلة النحر نزلنا في مَيْسَرَةٍ (المَشْعَرُ الحرام) ونزلوا في ميمنته، و(المَشْعَرُ): موضع لا أثر فيه ولا رسم، ولكنّه مكان من ذلك البغاز المستطيل مبتدأ من قرب (مكّة) إلى أن ينتهي إلى (وادي عرفات)، وتتابع عند النزول أصوات المدافع الهائلة من أمراء المحامل، والعساكر الشامية، والمصرية، والحجازيّة، وتأجّجت الشُعلات ومراسم الزينة، وكان نزولنا تحت خيمة السماء من غير أن نضرب شيئاً من خيامنا، وبعد أداء المكتوبتين والاشتغال بما يسّر الله لنا من الذكر والدعاء، قمنا إلى التقاط الجمرات فكل ذهب إلى مذهب، فبعض أبعد، وبعض استقرب، وكان إلتقاطي من موضع منزلي من دون التجاوز سوى خطوات يسيرة؛ فإنّ الحصى هناك دفين في التراب. وكان المجتمع في كثرة رائعة يتهر منها العقل، حتّى لقد نظرتُ إلى الوادي وكلّه دائرة من السرج والمشاعل، كأنّه خطٌّ واحد مستدير من النور، يبلغ قطره أكثر من الفرسخ، كما أنّنا عند الإفاضة من (عرفات) كُنّا في وسط الرواحل، فلمّا علونا إلى المَشْعَرِ نظرتُ إلى الوادي وهو فرسخ في فرسخ تقريباً، والجبال محيطة به مستديرة عليه فإذا هو مملوءٌ بالنفوس لا يرى من أرضه موضع قدم، هذا من المتخلفين وراءنا فضلاً عمّن تقدّمنا أو كان معنا، والتخمين والحدس كان يقدّرهم بالمليون ولا أظن أنّ موضعنا من الأرض يجتمع فيه هذا القدر من النفوس في صعيد واحد، هذا وهم يقولون: إنّ الحُجَّاجَ هذه السنة أقل من سائر السنين السابقة؛ لأنّ ثلث الحاج هو الحاج المصري، ولم يتوفّق منهم هذه السنة إلّا نفر قليل مع المحمل المصري. وأكثر من شاهدناه في ذلك المجتمع وفي (مكّة) هم البجاوة، وبعدهم

الأعراب من سودان أفريقيا المعروفون بالتكارنة^(١)، ثم أهل اليمن، وبعدهم الإيرانيون، والبخاريون، وهم عدد كثير أكثر من سائر السنين، أما العراقيون والشاميون فهم مندكون مضمحلون في جنب مَنْ سواهم من الأمم. وعلى أيِّ فقد بتنا تلك الليلة في المَشْعَر، وأفضنا منه قبل طلوع الشَّمس من يوم النحر، حتَّى أتينا الضحى إلى (منى) وقد ضُربتْ خيامنا قبل ورودنا.

وريشما استقر بنا المنزل مضينا بأشدَّ الجهد والمضايقة إلى (جمرة العقبة)^(٢)؛ فرجمنا شيطانها المرموز به إلى دحر القوة الغضبية؛ ولكن بعد أن ذبحنا الهدي المشار به إلى ذبح النفس الشهوية البهيمية، وقمعنا بالاحرام نزقات النفس الأمارة حين تجرّدتْ الأُبشار^(٣) عن ملابسها العادية وعلائقها الدنيوية، وبعد الرجم عدنا إلى مضاربنا للإحلال بالحلق تنبيهاً على أقصى المراتب في السير والوصول، والتهيؤ للدخول والطواف في حرم حريم الكبرياء والعظمة، والسعي في رواق الجلال والعزّة، وهو تصفية رأس الإنسانية وأقصى مراتبها، ولا أعني بها سوى

(١) التكارنة: هي لفظة تطلق على المواطنين السعوديين من أصحاب البشرة السوداء الذين ينتمون إلى عدّة قبائل وأعراف أفريقية مسلمة مثل الهوسا، والفلاتة، البرنو، والتي تعيش في المملكة العربية السعودية وهم يشكلون وحدة عرقية في المجتمع السعودي.
ظ: (الموسوعة الحرة، ويكيبيديا).

(٢) الجمرة: الحصاة، وجمرة العقبة: موضع رمي الجمار بمنى، وسميت بذلك؛ لأنه يرمى بها يوم النحر، قال الداودي: و(جمرة العقبة) في آخر (منى) مما يلي مكّة، وليست العقبة التي نسبت إليها الجمرة من منى، والجمرة الأولى والوسطى هما جميعاً فوق مسجد الخيف مما يلي مكّة.
ظ: (معجم البلدان ٢: ١٦٢). (معجم معالم الحجاز ٢: ٣٧٥).

(٣) البشر: ظاهر جلد الانسان. يثنى ويجمع ابشار.

ظ: (ترتيب القاموس المحيط ١: ٢٢٤).

القُوَّةُ العاقلة التي هي اللائقة بذلك المقام المنيع والأوج الرفيع، من الطواف بحريم المليك والاعتراف له بالوحدانية ونفي الشريك، ولا تحصل تلك التصفية للقُوَّةُ العقلانية إلا بقلع المشاعر والشعور عن كل الأغيار، وقلع النظر إلى الآثار بمشاهدة المؤثر والاستهتار^(١) بمعاينة جماله وجلاله؛ ليسعى ويطوف حوله طواف العاشق على الأنوار، أو الفراش على النار، وبعد أداء مناسك (منى) من الذبح، والرمي، والحلق، أحلّ بعض الحاج بلبس المخيط، وبقي آخرون على هيئة إحرامهم، وكنتُ ممن بقي نظراً إلى ما يستفاد من كراهة لبس المخيط قبل الطواف والسعي، واستحباب البقاء على حالة المحرم، حتّى يتمّ العمل بطواف الزيارة والسعي وطواف النساء كما في قول صادق أهل البيت (عليه السلام) لمن قال له: رأيتُ فلاناً بعد نزوله من منى يطوف في ثيابه قال (عليه السلام): بئس ما صنع^(٢). وما هو بمضمون ذلك، ولم يكن ليتيسر لنا النزول في ذلك اليوم وهو يوم الأضحى إلى (مكة) لأداء تلك الأعمال، فبقيتُ على إحرامي إلى الحادي عشر حسب الفتوى بجواز التأخير إليه، وبعد أدائها لبسنا ثيابنا وعدنا عصراً إلى (منى) للمبيت ليلة الثاني عشر فيها بـ(منى)، صنع الشامي، والمصري، والإيراني، والشريف، شعلات بديعة وأبرزوا تزيينات فاخرة، وصعدّات متعاليات متلونة، والموسيقى تُضرب أمام خيمة كل واحد منهم، وأقيمتُ مراسم العيد هناك تلك الليلة، حتّى برزتُ في أبداع شكل وأمتع صورة، وفي صباحها رمينا الجمرات الثلاث وعدنا إلى (مكة) أوّل الظهر من ذلك اليوم، وهو يوم الاثنين والمسافة بينها وبين (مكة)

(١) الاستهتار: - هنا - الولوع بالشئ والإفراط فيه، ومنه المستهتر بالسماع: أي المولع به.

(٢) انظر: الاستبصار ٢: ٢٨٩، ح (١٠٢٧).

فرسخ واحد، ولم نقطعه إلا بثلاث ساعات من شدة الازدحام، وكان نزولنا مع المحمل المصري في أَبْهَتِهِ الزاهرة، وعساكره من القاهرة، وزينته الزاهية الفاخرة، ثم جزناه وتقدّمنا والموسيقى والمزامير تُضرب أمامه، والعساكر والأمراء تسير جانبيه وقدامه، وَجَمَلُهُ فِي خِلْجِ جَمَالِهِ، وَأَبْهَتُهُ زِينَتُهُ وَإِقْبَالُهُ، إِلَى أَنْ أَدْخَلَ (المسجد الحرام) تقود زمامه الشرفاء والأعلام؛ هذا وإنّي لم أعرف منشأ هذه العادة، وسرّ هذه السيرة ومبدأ تاريخها، وأوّل سأنّها لها (والبحت كشاف)، وعلى أيّ فالغرض أنّ المسافة إلى (منى) فرسخ، ومنها إلى (المَشْعَر) فرسخ، ومنه إلى (عرفات) فرسخان، وكلّها في بغاز واحد يضيق ويتسع حتّى ينتهي إلى (وادي عرفات)، وهذا الشعب واقع إلى جهة شرقي (مكة) بين المشرق والجنوب.

وكان مضرب الخيام في (منى) خارج البلد، وعماراتها والذبائح أيضاً بمراقبة المأمورين والدكتورية [الأطباء] من الصحّة تُذبح خارج الخيام بمسافة؛ محافظة على صحّة الهواء، ويمنعون الحاج من حمل اللحم إلى المنازل بل تذبح الذبائح التي لا عدّ لها هناك، ويأخذها السودان التكارنه وربّما يسرقونها أو يوطدون أمرهم مع المأمورين فيعيدونها إلى السوق فتباع على الحُجّاج أنفسهم.

والقصد أنّ هواء (منى) مع ذلك كلّه في غاية الوخامة والعفونة، حتّى كاد ليوشك أن يأخذ بالمخنق، وماءها هو ماء (مكة) الجاري من فوق (عرفات) في قناة مبنية بالصخور، ولكن أعراب (منى) يضمنون الماء من الشريف أو غيره، فلا يستقي منه أحد في أيّام الموسم ويبيعونه بما يشاؤون، وكان مبلغ ما ندفعه بإزاء الماء على تقدير فيه أكثر من مجيدي في كلّ يوم. ولمّا رجعنا إلى (مكة) وجدنا من رداءة هوائها، وكدورة مائها، وكثرة وفياتها، ما شوش الأفكار، وأضرّ

بالصَّحَّةِ أَشَدَّ الْإِضْرَارِ؛ حَتَّى كَادَتْ أَرْوَاحُنَا أَنْ تُزْهَقَ مِنْ حَبْسِ الْهَوَاءِ، وَاخْتِلَافِهِ، وَحَرَارَتِهِ أحياناً مَعَ أَنَّ الْفَصْلَ فِي أَوَائِلِ كَانُونٍ، وَهُوَ فِي الْبُلْدَانِ الْمَعْتَدِلَةِ كَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهِ وَقْتُ صَبَّارَةٍ^(١) الصَّرِّ^(٢) وَمَوْضِعُ نَزُولِ الْقَرِّ وَأَشَدُّ مَوَاقِعِ الشِّتَاءِ، أَمَّا هُنَا فَأَكْثَرُ اللَّيَالِي نَرَقْدُ بِلَا غَطَاءٍ عَلَيَّ أَنَا فِي أَشَدِّ الْإِحْتِبَاسِ وَالضِّيقِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَهَوَاؤُهَا هَوَاءُ الْبَحْرِ وَسَوَاحِلُهُ لَا يَزَالُ نَدِيّاً بِنْدَاوَةِ لَرْجَةٍ بِخَارِيَّةٍ مُضِرَّةٍ، مُضَافاً إِلَى ضِيقِ مَسَاكِنِهَا، وَاحْتِبَاسِهَا، وَسُوءِ وَضْعِهَا؛ حَتَّى أَنَّ الْكَثَائِفَ إِلَى جَنْبِ الْحَجَرَاتِ، وَالرَّوَانِحِ تَهَبُّ وَتَخْتَلِفُ إِلَى الْحَجَرَةِ مِنْ عَن يَمِينِي تَارَةً وَشِمَالِي. نَعَمْ يَوْجَدُ بَيُوتَاتٌ أَنْيَقَةٌ وَحَجَرَاتٌ وَاسِعَةٌ رَشِيقَةٌ.

أَمَّا الْجِبَالُ فَهِيَ مُطَلَّةٌ عَلَيْهَا، حَاصِرَةٌ لَهَا، مَرْتَفَعَةٌ عَلَيْهَا بِحَرَاطَتِهَا السُّودَاءِ، وَصُخُورِهَا الصَّمَاءِ، وَلَعَلَّ (أَبَا قَبِيْسَ)^(٣) أَصْغَرَ أَوْ أَوْسَطَ جِبَالِهَا وَمَعَ ذَلِكَ مَا صَعَدْنَاهُ إِلَّا بِأَشَدِّ الْجُهْدِ، وَالْبَلَدُ كُلُّهَا أَسْفَلَ مِنْهُ؛ حَتَّى كَأَنَّهَا فِي أَعْمَقِ بَثْرٍ، وَالنَّاسُ تُرَى فِي الْمَسْجِدِ وَالْمَطَافِ كَالِدَوَاجِنِ فِي الْبَيْتِ لَمَنْ كَانَ فِي أَعْلَى سَطُوحِهِ، وَعَلَى قُنَّةِ (أَبِي قَبِيْسَ) مَسَاجِدُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: (مَسْجِدُ أَذَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٤) فِي النَّاسِ

(١) صَبَّارَةٌ: السَّحَابُ الْإِبْيَضُ.

(٢) شِدَّةُ الْبَرْدِ.

(٣) أَبُو قَبِيْسٍ: هُوَ الْجَبَلُ الْمَشْرِفُ عَلَى الْكَعْبَةِ الْمَشْرِفَةِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ.

ظ: (مَعْجَمُ مَعَالِمِ الْحِجَازِ ٧: ١٣٥١).

(٤) مَسْجِدُ إِبْرَاهِيمَ: نَسَبَةٌ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الْقَيْسِيِّ، وَيَعْرِفُ الْمَسْجِدَ بِ(مَسْجِدِ بِلَالٍ) وَلَا عِلَاقَةَ لِبِلَالِ بْنِ رِيَّاحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا الْمَسْجِدِ. جَدَّدَ عِمَارَتَهُ رَجُلٌ هِنْدِيٌّ عَامَ ١٢٧٥هـ - ١٨٥٨م، حَيْثُ بَنِيَ بِالْحَجَرِ وَالْآجَرِ مَعَ تَجْصِيصِهِ مِنَ الدَّخْلِ وَالخَارِجِ، وَتَسْقِيفِهِ بِالْخَشْبِ، أَبْعَادُهُ ٦ × ١٥م، وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ مِنْ بَابٍ فِي جِدَارِهِ الشَّرْقِيِّ، وَفِي نَهَايَةِ الْمَسْجِدِ تَرْتَفِعُ مِئْدَتُهُ الْمَسْجِدَ الَّتِي تَأْخُذُ مِنْ أَسْفَلِهَا شَكْلاً مُضْلعاً ثُمَّ دَائِرياً مَغْطِى بِقُبَّةٍ، كَانَ الْمَسْجِدُ قَائِماً عَلَى قِمَّةِ جَبَلِ أَبِي قَبِيْسٍ، ←

بالحجّ، وعليه عمارة شاهقة، ومنارتان تشرفان على (المسجد الحرام)، ومسجد آخر، و(مسجد شق القمر)، وغيره. والبلد تستدير عليه على سعته وضخامته، ومن ارتقاه ونظرَ إلى البلد عرف سعتها، وأنّها من أمّهات البلدان، وأنّها (أمّ القرى)^(١) والأمصّار، ولا شك أنّها أوسع من (بغداد) بثلاثة أضعافها، هذا ما في الوهاد منها سوى ما على الجبال وما في أثنائها ومنحدراتها فإنّها شيءٌ كثير، وأسواقها في غاية الكثرة والاستطالة وهي محيطة بالمسجد وزائدة عليه، وهي على نشرها الطبيعي من غير نسق ولا نظام إلاّ قليل منها، وبالجملة فالذي أضرب بهواء (مكة) وأوجب وباءته ورداءته جوهرية أمور منها:

قربها إلى البحر فإنّ بينها وبينه يوماً واحداً.

ومنها: انخفاضها في الوهاد السحيقة، ومحاصرة الجبال الشاهقة لها؛ حتّى تركتها في أضيق من حجر ضب.

ومنها: قلة مائها حتّى أنّك لا تجد في (مكة) داراً يكون فيها ماء دائم من ذاتها كبئر أو غيرها بل استعمالهم حتّى للمطهرة من ماء شربهم، فلا ماء إلاّ بالشراء ولا شراء إلاّ بأعلى الأثمان، ولا سيّما على الحاجّ، وكفاك أنّ في هذه البلد التي عرفت مالها من السعة والضخامة، وتهافت نفوس العالم من كل فجّ

→

ولكنّه أزيل قبل سنوات.

ظ: (الأثار الإسلامية في مكة المكرمة، د. ناصر الحارثي ١٩٦)، (المناسك وأماكن طرق

الحج، ومعالم الجزيرة للحربي ٥١٠).

(١) أم القرى: من أسماء (مكة المكرمة)، وسمّيت بذلك لأنها أصل الأرض.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٧: ١٣٦٥).

إليها، ليس فيها سوى حَمَامٍ أو حَمَامِينَ، وكان حقّها أن تشتمل على مائة حَمَامٍ وما ذلك إلّا لضيق أمر الماء، وأما عرضياً فكثرة مَنْ فيها من المستقذرين كـ(الجاوة) وأضرابها مجاورين ومترددِينَ؛ فَإِنَّهُمْ أَقْذَرُ الْأُمَمِ عِشَاءً، وأشوهم وجوهاً، وأنتنهم ريحاً، قد كادوا أن لا ترى في (مَكَّةَ) سواهم، وأن يمتلكوا شؤونها لكثرة ما يبدلون فيها من الأموال الطائلة على سوء عيشهم، وبساطة شؤونهم وحاجياتهم، وقد رأينا بيوت (مِنَى) وعماراتها على كثرتها مملوءة بهم بحيث ليس فيها احد من غيرهم، وكانوا السبب الوحيد في عفونة هوائها.

وحدثني بعض أعيان التجّار القاطنين في (مَكَّةَ) من بغداد: إنّ في رجب الموافق لتموز، ورد منهم إلى (مَكَّةَ) ستون ألف نسمة وكان أهل (مَكَّةَ) قد فرّ أكثرهم من الهاجرة^(١) إلى (الطَّائِفِ)^(٢)؛ فكان هؤلاء يسبحون في البرك ويضربهم السموم فيموت كل يوم منهم ستمائة، قد فني أكثرهم وفرّ الباقي إلى المدينة، وحدثنا بعض أمراء (آل رشيد): - وقد زارنا في منزلنا - إنّ في دفتر السيّد الشريف من (الجاوة) خمسة وأربعين ألف، وباقي الحاج مائتان وأربعون ألف، فالمجموع قرب الثلاثمائة ألف وهم سدسه، وبعد نزولنا من (مِنَى) وقعت الوفيات في الحاجّ بأمراض - عافاك الله - مختلفة، ولقد غدوت يوماً من

(١) الهاجرة: وهي نصف النهار عند اشتداد الحر، أو من عند الزوال إلى العصر؛ لأن الناس يسكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا من شدة الحر.

(٢) الطَّائِفُ: مدينة في السفوح الشرقية لسراة الحجاز، شرق مَكَّةَ مع ميل يسير إلى الجنوب على (٩٩) كم يصلها بمَكَّةَ طريقان: أحدهما: يأخذ من مَكَّةَ فوادي نعمان فجبل كرا، والثاني: يخرج بين جراء وثبير غيئة فعلى حنين فنخلة اليمانية فالسيل الكبير فالسيل الصغير....

ظ: (معجم معالم الحجاز ٥: ١٠٥٢ - ١٠٥٦).

(الأبطح)^(١) من زيارة سادات بني هاشم كـ(عبد المطلب)، وأبي طالب (سلام الله عليه)، وسيدات قريش كخديجة، وآمنة (سلام الله عليهما)، ورجعت في الشارع العام المبتدي من (الأبطح) وهو خارج البلد المنتهي إلى سوق (المسعى)^(٢) وهو من الشوارع العظيمة، وفي أثناء عبوري رأيت من تتابع الجنائز صورة مدهشة، ولكنّها تمرّ بالناس والناس في غفلة عنها، تحملها الحمّالون حتّى عدت أكثر من مائة، وتركت هذا والناس يقولون: إنّها من أحسن السنوات - والحمد لله على منّه بالسلامة - ونسأله الإتمام بالكرامة.

في جوف الكعبة

ويوم الجمعة ١٦ ذي الحجة الحرام دخلنا متشرّفين إلى (جوف الكعبة) مع منّ معي من العيان؛ ولكن بعد تحمل هنات من متولّيها وهو شاب من بني شيبه^(٣) يحسب أنّ البيت إذا جلس في العتبة الشريفة بيته لا بيت الله، فينازع الله رداء كبريائه، فلا يكلم أحداً إلاّ رمزاً، وبعد دفع الرسم على آقتراحه عن كلّ نفر، صعدنا قبل الظهر من يوم الجمعة فصلّينا إلى كلّ ركن ركعتين، ودعوتُ الله

(١) الأبطح: وادي مكّة المكرمة (وادي إبراهيم).

ظ: (م. ن. ١: ٣٥).

(٢) المسعى: مكان السعي في الحجّ والعمرة بين الصفا والمروة، وطوله ٤٠٠ متراً وعرضه ٢٠ متراً ويقع شرقي المسجد يطل بجانبه الغربي على المسجد، وبجانبه الشرقي على الطريق العام الدائر حول المسجد. ويتألف المسعى حالياً من طابقين....

ظ: (معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د، أحمد فتح الله ٣٨٨ - ٣٨٩).

(٣) بنو شيبه: بطن من بني عبد الدار بن قُصي بن كلاب بن مرّة وقد كانت بيدهم سُدانة البيت منذ الجاهلية وما زالت إلى عصرنا (القرن الخامس عشر الهجري).

سبحانه بدعاء من شرفت الكعبة به وبآبائه ﷺ في يوم الأضحى والجمعة وهو الذي أوله «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ مَبَارَكٌ مِيمُونٌ وَالْمُسْلِمُونَ فِيهِ مُجْتَمِعُونَ...»^(١) الخ، وحُسْن قراءته هناك عندي كافية من قوله ﷺ: «... اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَخَلْفَائِكَ وَأَصْفِيَائِكَ وَمَوَاضِعَ أَمْنَائِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا قَدْ أَبْتَرَوْهَا مِنْهُمْ وَأَنْتَ الْمُقَدِّرُ لَذَلِكَ...»^(٢) الخ.

ورزقني الله سبحانه بركاتهم من الحالة ما يليق بذلك المحل، فذكرتُ مَنْ يَعِزُّ عَلَيَّ مِنْ إِخْوَانِي بِأَسْمِهِ، وكافة المؤمنين في موضع ولادة أمير المؤمنين ﷺ قرب (المُسْتَجَارِ)^(٣) بين الاسطوانتين الحمراءوين، وبعد الفراغ من الصلاة والدعاء لم يمهلنا مَنْ فِيهَا مِنَ الْجَلَاوِزَةِ لِاسْتِقْصَاءِ خُصُوصِيَّاتٍ مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابَاتِ فِي جَدْرَانِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شُؤْنِهَا. نعم هي حِجْرَةٌ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ مَرَبَعَةٌ تَزِيدُ عَلَى عَشْرَةِ أَمْتَارٍ فِي مِثْلِهَا بِأَبْعَادِهَا الْأَرْبَعَةِ، وترتفع عن أرض المسجد والمطاف بأكثر من قامة وهي من الأرض إلى قاعها مكلَّسة بالصخور، مفروشة أرضها بالصخور المرمرية الأنيقة الملونة، وفيها عمودان في وسطها من الخشب المشبع بالحمرة إلى السواد ما هو^(٤)، وجدرانها من خارج من الصخور المربعة السود، ومن

(١) ظ: (الصحيفة السجادية، دعاؤه في عيد الأضحى والجمعة ص ٢٨٣ - ٢٨٤).

(٢) م. ن.

(٣) المُسْتَجَار: مكان من المسجد الحرام في ظل الكعبة الصباحي، على يسار مستقبل الركن اليماني بينه وبين الباب المسدود، وهو من الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء كالركن، والملتزم، والمقام.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٨: ١٥٨٢).

(٤) كذا ورد في الأصل.

داخلها من صخور المرمر الأنيق المنقوش بالنحت والتخريم الرقيق، وفيه كتابات كثيرة بالنحت أسماء الملوك والسلاطين الذين تشرّفوا بلثم تلك السدّة المقدّسة، وسقفها من الخشب ولكنّه مغطّى بالديباج الأحمر، كما أنّ ظاهرها كلّها إلى الأرض بالديباج الأسود المكتوب في أصل حوله (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وليس الظاهر من ظاهرها إلا موضع (الحجر الأسود) وهو مركز في داخل الركن الذي يُسمّى به (الركن العراقي)، وعندى ما هو به؛ بل (الركن العراقي) الذي يقع الجدي في قبالته هو الركن الذي يلي حجر إسماعيل عليه السلام ^(١)، ويعرف اليوم به (الشامي) كما رصدته مكرراً.

أمّا حجر إسماعيل عليه السلام فقوس هلالى مشرج بالصخور البيضاء المنحوتة بنقوش رشيقة وارتفاعه أقل من قامته، واستدارته أكثر من ثلاثين متراً، ومجموع ما يطاف من الحجر ونفس الكعبة أكثر من مائة متر، والمسافة عرضاً ستة وعشرون إلى مقام إبراهيم عليه السلام، وهو حجرة يستدير عليها شبّاك حديد وباب مقفلة، وفيها صندوق عالي عليه ستار أنفس من ستار الكعبة يقال: إنّ في الصندوق الصخرة التي عليها أثر قدم إبراهيم عليه السلام، وأمامه طارمة صغيرة هي مكان مصلى الطائفين اليوم.

(١) حجر إسماعيل: بن إبراهيم عليه السلام كان بيتاً له، وفيه قبر أمه، وقبور الأنبياء عليهم السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن الحجر فقال: إنكم تسمونه الحطيم، وإنما كان لغنم إسماعيل، وإنما دفن فيه أمه وكره أن يوطأ قبرها فحجر عليه وفيه قبور أنبياء.

ظ: (وسائل الشيعة : ٩ : ٤٣١، ب ٣٠ من أبواب الطواف ح ١٠).

المسجد الحرام

أما المسجد الحرام: نفسه ففي غاية السعة، أما أنا فأحسب أنه أكبر من (مسجد الكوفة) ثلاثة أضعاف، والاسطوانات تستدير عليه من جوانبه الأربعة في ثلاثة صفوف كالرواقات، واسطواناته من كل جانب تناهز الخمسين في عرض ثلاث وأربع داخلية، وأبوابه أيضاً تقرب من الخمسين، وكان دخولنا إليه من (باب السلام) غالباً، و(باب بني شيبه)^(١) اليوم طاق يتصل بـ(بئر زمزم)^(٢) في وسط المسجد تقريباً، والكعبة في وسطه تحقيقاً، و(باب بني شيبه) تتصل بالمطاف وإلى جنبها منبر عظيم كأنه من رخامه من آثار (سلطان سليم)^(٣) تاريخه في التسعمائة وكسر قليل، وأرض المسجد مفروشة بالحصى الذي يعسر المشي عليه لخشونته. نعم من كل باب إلى المطاف قد مُدَّتْ جادة عريضة مفروشة بالصخر الموطن الذي يميل إلى السواد كفرش الاسطوانات.

(١) باب بني شيبه: وكان يُسمَّى الباب الكبير، ويعرف بباب عبد شمس بن عبد مناف، وبهم كان يعرف في الجاهلية والإسلام عند أهل مكة، ثم صار في وسط الحرم شرق المقام مرموز له بعقد يمر الناس تحته وحوله، ثم أزيل في التوسعة السعودية. ظ: (معجم معالم الحجاز ١: ١٦١).

(٢) بئر زمزم: سميت بهذا الاسم اشتقاقاً من زمزمة الماء أي صوته، وهي بئر قديمة، موقعها داخل المسجد الحرام شرقي الكعبة، وجنوبي مقام النبي إبراهيم عليه السلام، مقابلة للحجر الأسود تقريباً، والمسافة بينها وبين الكعبة حوالي ١٥ متراً. ظ: (معجم ألفاظ الفقه الجعفري، د. أحمد فتح الله ص ٨١).

(٣) عمارة السلطان سليم خان للمسجد: في (سنة ٩٧٩هـ - ١٥٧١م) أمر السلطان سليم خان ببناء المسجد الحرام على أكمل درجات الأتقان، وإن يعتاض عن السقف بقبب دائرية، وبلغ ما انفق هي هذه العمارة (١١٠٠٠ دينار)، (٥٥٠٠٠ جنيه تقريباً)، ومائة ألف من الذهب الأبريز ظ: (مرآة الحرمين ١: ٢٤٢).

أما الكعبة: فارتفاعها في الفضاء أكثر من عشرين متراً وليس عليها ولا على المطاف سقف ولا ظل، وكنتُ أوّل تشرفّي أحسب أن لو كان المطاف مسقوفاً لكان أولى دفعاً لحرّ الشَّمس عن الطائفين، ثم اتضح لي أنّ ما هو عليه الآن أصوب، وإلا لكان هواؤه قاتلاً لاجتماع الأنفاس المتراكمة فيه الذي لا يفرّقه في الجملة إلا حرّ تلك الشَّمس، وأحياناً يكاد أن يختنق الإنسان من تلك الأنفاس الوضرة^(١) والأجسام القذرة من السودانيين، واليமானين، والجاوة، وأضراب هؤلاء من أهل السواحل وغيرهم، هذا وهو مكشوف والشَّمس لها تمام التصرف والنفوذ فيه، فكيف لو كان مسقفاً، أما أهل (مكّة) ولا أظنّ فيها من الصميم من الألف واحداً؛ بل الكل متوطنون من شرق الأرض وغربها من كل لثيم الأصل، خبيث العنصر، فلا تسل عن ظلمهم وتعدياتهم مع الحاج وسوء أخلاقهم، فكأنّ طباعهم قُذِّت من جبالهم، وقلوبهم صُبَّت من صخورهم، وأكثرهم السّودان من التكرانة، والنوبة، والحبش، ويليهم الجاوة، والأبيض فيهم قليل كالخال البيضاء في الجسد. واللهو والطرب بل الفسق والفجور فاش فيهم ظاهر عليهم من تزويقاتهم وملابسهم وهم غير خالين من العصبية والتعرض.

كنتُ يوماً في المسجد أدعو بعد الطواف بصوت مجاهر فوقف شاب منهم يستمع حتّى انتهيتُ إلى آخر الدعاء، وفيه: «...وصل على ملائكتك المقربين وأنبيائك المرسلين وعبادك الصالحين...». فقال: لي، قل: والصحابه المرضيين والخلفاء الراشدين، فقلتُ: إن كانوا من العباد الصالحين فقد دخلوا، وإن لم

(١) الوَضْر: ما يشمه الإنسان من ريح يجدها من طعام فاسد.

يكونوا من الصالحين فأنت لا ترضى بالصلاة عليهم، فسكتَ ووَلَّى، وهم مع ذلك أهون من أهل (المدينة) بكثير.

وبالجملة فـ(الحجاز) كلّه باديته وحاضرتَه من أعتى الأمم وأشقاها، ولا يأمن الإنسان فيهم، وبالخصوص هذه الفرقة المستضعفة الذين يطلقون عليهم (العجمي) ويعنون به من لم يكن على ما هم عليه، لا يأمن فيهم على ماله، ولا عرضه، ولا دمه، ويا لله وللعجب! كأنّ الإسلامَ لمّا خرج من (الحجاز) ما دخل إليها وفيها أبداً بل تجاوزها إلى غيرها وبقوا على الجاهلية الأولى، وجزى الله الشرفاء خيراً فإنّه لولاهم لكان البلاء على هذه الفرقة بل على مطلق الحاج شديداً جداً، وسلطنة (الحجاز) في الحقيقة لهم على البادي والحاضر، والمأمورون كلّهم منقادون بأمر الشريف، والقوانين كلّها منوطة بإرادته وبالخصوص الشريف الحالي (حسين باشا)^(١) فإنّ له من النفوذ السياسي والروحي والسلطة على عامّة (الحجاز) باديه وحاضره؛ بل وعلى أكثر (نجد) و(اليمن) مالم يكن لغيره من أسلافه، وحقّ له ذلك، فقد زرناه في داره بـ(مكة) التماساً لسراح بعض حملدارية (النجف) كان قد أمر بحبسهم، فوجدنا من عقله وكماله وهيبته وجلاله ومعرفته بالشؤون وتعارفه ما يعجب ويدل على استحقاقه لما هو فيه، وأنّه من تلك الشجرة الطاهرة وهو ملائم للحقّ مائل إليه، معروف

(١) الملك حسين بن علي بن محمد بن عبد المعين الحسيني الهاشمي، (١٢٧٠هـ = ١٨٥٤م -

١٣٥٠هـ - ١٩٣١م). أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك، وآخر من حكم

مكة من (الأشراف) الهاشميين....

ظ: (الاعلام ٢: ٢٤٩ - ٢٥٠).

عند الخواص، وظهرت منه لذلك إمارات صريحة للحاج هذه السنة وقبلها، وهو معروف بالعِفَّةِ والترَفُّعِ عن الأَطْمَاعِ التي لا تليق بمقامه.

الرجوع إلى المدينة

ثم من يوم الخامس عشر والسادس عشر صارت الحُجَّاجُ تتابع على الرحيل زرافات زرافات وآحاداً، وجماعات على طريق البحر وغيره، وقضت لنا الاستخارة والاستشارة العدول عن الخروج على البحر إلى (الشام) بتوسط بيروت؛ وذلك لما فيه من المَشَقَّةِ الباهضة، وهيجان البحر الأسود في هذا الفصل - أعني الشتاء - عكس البحر الأحمر، مضافاً إلى صدمات الحجر الصحي في ذلك الطريق عند (طُورِ سَيْناء) ومحنه التي لا يحتملها أمثالنا، فمن ذلك كَلَّه عزمنا بترجيح الإخوان المشفقين، ومشورة أهل المعرفة على العود إلى (المدينة المنورة) ومنها في الوابور إلى (الشام) - بتسهيله تعالى وعونه - على النحو الذي جئنا به، وإن كان فيما بين الحرمين من هتك حرمت الحاج، وكثرة الصدمات التي تكاد توجب تحريم سلوكه لولا أنَّ الأمر بيد الله - سبحانه - وأنَّه هو الواقى ولا يغلب على أمره، مضافاً إلى تلافي ذلك وتداركه بزيارة سيِّد الكائنات وعترته الهداة (صلوات الله عليهم) أن مَنْ الله بالسلامة ببركاتهم - إن شاء الله تعالى -.

وعنده دخلنا في جمعية سيدنا الأكرم الأخ البر الشريف المتقدم الذكر^(١) - أدام الله له الفخر، وطول العمر، إن شاء الله تعالى - فعدلناه في المحمل ولا

(١) السيّد علي العلاق.

عديل له، وخرجنا من (مكة) المشرفة بعد طواف الوداع عقيب الظهر من يوم الأحد الخامس والعشرين من ذي الحجة في خفارة الله وكلاءته، ومع حمل أمراء حائل من (آل الرشيد)^(١) - أرشدهم الله للحق ولخدمة الحاج بالصدق والنصيحة - وكانت الناس في أشد الرغبة عنهم والتأبي عن السير معهم، ولكن السيد الشريف قسر^(٢) الحملدارية على ذلك واعتقلهم أشد الاعتقال حتى تطامنوا اضطراراً لذلك، والذي قضى بتنفر الطباع عنهم سوء معاملاتهم وسيما هذه السنة، فإنهم أفتحوا الناس في العطب وأوردوهم المهالك كرات ومرات أقلها عدم الماء أربعة أو خمسة أيام، ولكن مع ذلك التناصر والتحزب من السيد الشريف الذي هو ملك الحجاز اليوم لم ينفع تمام النفع لهم، وتفرق الحاج أيدي سباً، ولم يخرج معهم سوى عدد لا يتجاوز الألف ولا أظن يوافقهم من (المدينة) عشر ذلك طبقاً لقاعدة (إن القسر لا يدوم، وعاقبة الظلم شوم).

أخرجت الأتقال والمحامل والأخشاب والرواحل قبل الظهر إلى (محل التبريزة) وهو دون الفرسخ من (مكة)، وخرجنا بعد الظهر ومررنا لتجديد الزيارة والوداع بسادات البطحاء وأشياخ بني هاشم: (عبد المطلب)، و(عبد مناف)،

(١) آل رشيد (إمارة جبل شمر): هي إمارة أسست (عام ١٨٣٤م)، في نجد بمدينة الحائل (شمال وسط الجزيرة العربية)، على يد كل من عبد الله العلي الرشيد، وأخيه عبيد العلي الرشيد، وتوسعت الإمارة في السنوات اللاحقة لتأسيسها حتى أصبحت تضم في العقود الخمسة الأخيرة من القرن التاسع عشر (١٨٥٠م - ١٩٠٢م) جميع الأقاليم النجدية.

انظر: الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

(٢) القسر: القهر على الكره.

و(أبي طالب)، والسيدات (خديجة)، و(آمنة)، وهم في (الأبطح) خارج البلد في سفح جبل عال، و(قبر خديجة) في تمام الزينة والتحسين كأنه حجلة العروس، وفيه معلقات وقطع كثيرة في خطوط نفيسة من حديث، أو آية مناسبة، ومن جملتها ألواح فيها أشعار في مدح (خديجة) وأهل البيت عليهم السلام قصائد ومقاطيع، ولكن أكثرها شعر بحراني يقول بما قضت به القافية مثل قوله في رسول الله صلى الله عليه وآله:
وخديجة وتطلعت منها أشعة آله بخديجة الكبرى وصاحبة الجمل

وما أدري أي آل لرسول الله من صاحبة الجمل؛ ولكنها وقعت في طريق القافية أو أنه استخدم الآل في معنيه، ومما أنست من الشعر المعلق هناك البستان المشهوران وهما:

أصبر فأن وراء العسر تيسير وكل شيء له وقت وتقدير
وإن الله في حالتنا نظر وفوق تدبيرنا الله تدبير^(١)

فاتخذتهما فالاً حسناً بمعونته - إن شاء الله تعالى - .

ثم خرجنا من (الأبطح) متوجهين راجلين نتمشى حتى وصلنا غروب الشمس إلى مضرب الخيام، وهو دون الفرسخ عن (مكة) في برحة كبيرة تستدير عليها تلك الجبال الشاهقة من جميع جوانبها، وهي شمالي (مكة)، كما أن (منى)

(١) نص الأبيات:

أصبر قليلاً فبعد العسر تيسير وكل أمر له وقت وتقدير

وللمهيمن في حالتنا نظر وفوق تدبيرنا الله تقدير

ظ: (ديوان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع السيد محسن الأمين العاملي ص ٦٩).

و(عرفات) في شرقها، ومن تلك الجبال المطلّة على تلك البسيطة التي كانت مضرب خيامنا (جبل النور)^(١) الذي هو أعلى وأعظم ما يحيط بـ(مكة) من الجبال على كثرتها وضخامتها، وبتنا ليلة الاثنين هناك ونحن نأمل المسير صباح ذلك اليوم، فلمّا انكشف الصبح ظهر عزمهم على الإقامة ذلك اليوم، وكان أشدّ يوم علينا من شدة الحرّ، واحتباس الهواء، ورداءة الماء، وكثرة الذباب الذي يسلب الراحة والقرار، وكان ذلك اليوم كبعض أيّام الصيف التي تأخذ بالمخنق.

جبل النور المقدّس

ولمّا رأيتُ أنّنا مقيمون هناك لا محالة عزمْتُ على الصعود على (جبل النور) لما فيه من المآثر النبويّة التي ظهرت عليه لتلك الذات المقدّسة، وعليه اليوم قبة بيضاء عظيمة في أعلى قُتته، وهي لتناهي علوّ ذلك الجبل تُرى من مسافة فراعس، وكلّما عرضتُ تصميم عزمي لصعوده على جماعة من القافلة ثبطوني^(٢) عنه؛ استصعاباً له واستعظاماً، فلمّا كانت التاسعة من النهار نفذتُ إلى ذلك، وأخبرتُ أصحابي ومنّ إلى حوالينا من الحاجّ، فتقاعد جماعة وتبعني آخرون، وكان بيننا وبينه مسافة تقرب من نصف فرسخ، فسرنا مشاة في تلك البسيطة حتّى انتهينا إلى

(١) قال البلادي في (معجمه) ٢: ٤٢٦ - ٤٢٧ ما نصّه: جرّاء: هو الجبل الشامخ ذو الرأس الأزلج المقابل لشير الأيّرة من الشمال، بينهما وادي أفاعية، يأخذه (أفاعية) الطريق من مكة إلى الشرق ماراً باليمانية، فيه الغار الذي كان يتعبد فيه الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وفيه نزلت عليه أول سورة من القرآن (أقرأ باسم...)، وكان يسمّى ثبيراً الأعرج، ويسمّى اليوم (جبل النور)، يسيل منه إلى الغرب وادي جليل، وقد وصل اليوم عمران مكة إلى سفوحه الغربية.

يرتفع جرّاء (٢٠٠ م) عن سطح البحر، وبسفحه الجنوبي آثار عين الزعفران (...).

(٢) ثبط: ثبطه عن الامر تثيطاً، إذا شغله عنه.

قرار الجبل وأصله، وهو واحد من سلسلة جبال متصل بعضها ببعض من أسفلها، وتنفصل من أوساطها وأعاليتها وهو أعظمها ضخامة وأرفعها سمكاً، وكلّه كصخرة صمّاء في لون السواد والحمرة الشديدة، ومقدار عظيم منه مرتفع بتسريح، وفي أعلى ذلك قطعة عظيمة في ضخامة هائلة وهي مُسَنَّمَة كالمنارة، وفي أعلى هذه القطعة تلك القبة البيضاء، ولما انتهينا إليه وجدنا بيتاً في أسفله من شعر كبعض بيوت الأعراب ولكنه من خرق بالية، وفيه عجوز سوداء تستظل به، وتستند إلى صخور تلك الجبال الصغار التي حوالية، فسألناها عن طريق مَصْعَدِه فأرشدتنا إلى جَادَّةٍ تنتهي إليه تدريجاً، وتَصْعَدُنا عليه تسريحاً، وفيه مثل الدرجات المصنوعة وما هي إلا كالمنحوتة على صفحته في صخوره الصلدا وأحجاره السوداء، وتلك الجَادَّةُ والمراقي تلتوي عليه التواء الأفاعي، ولكن دون الدائرة المحيطة أعني في صفحة واحدة، وهي في غاية الوعورة ومظنة الزلق، وما قطعنا منه إلا قليلاً حتّى نفذت قوَّتْنا، وبلغ الجهد بنا والتعب أقصاه، وكلّما نظرنا إلى أعلاه وما نحن فيه من التعبِ والمَشَقَّةِ ضعفت قوَّتْنا ووهت عزائمنا، وأصرّ مَنْ معي على العود دون بلوغ الغاية، وكنتُ على أنّي أضعفهم جسماً أقواهم عزماً، فكنتُ أثبطهم عن الرجوع والإحجام وأحثّهم على الإقدام، فكُنّا نتسلّق على تلك الصخور تارة، ونستريح من شدّة الأين^(١) والوجى أخرى، حتّى أجهدنا الإعياء ونحن بعدُ في أوائل المرحلة، ثمّ أحمينا أنفسنا وتصدّنا طيتين أو ثلاث، فاشتدّ الجهد والإعياء ببعض الرفقة فرجعوا ناكسين دون الغاية، واندفعنا

(١) الأين: التعب.

بقوة العزم وكان وبئ هواء مكة، والحمى التي أصابتني فيها التي كان قد من الله عليَّ بالرُّخْصَاءِ^(١) منها قبل خروجي من (مكة) بيومين قد أضعفا كلَّ قواي وقوّتي وأذهبا ماء شرّتي، ولم يتركاً بعد جلّدي سوى عظمي وجلدي، فمن جرّاء ذلك كلّ وهنتُ أشدَّ الوهن، ولاحتُ عليَّ لوائح الاختلال حتّى ضجّ من لغبٍ نضوي، ولجّ في عدلي صبحي^(٢)، وأخذ الخفقان بفؤادي، حتّى كأنّ قطاةً علّقتُ من جناحها على قلبي، ولكن مدّنا الله بالعناية وبألطافه الجليلة، حتّى صعدنا إلى أعلى الجبل المفرطح^(٣)، وعليه فسحة مسوأة ممّهدة عليها مربّع جدار من صخر قدر ذراعين، وفي وسط قُنة هذا الجبل ذلك الأعلى المُسنَم، فتسلقنا على مصعد في جداره كالدرج، وبعد مسافة بلغنا إلى فسحة واسعة في صفحة منه فيها بركة لماء السيول كبيرة محتفرة، كأنّها بحفر طبيعي منقورة في سطح الجبل التي هي من الصخر الصلد، وهي في عمق ما يبلغ خمسة عشر متراً، وهي مربعة، أرضها وجدرها من نفس الجبل من غير بناء، وعلى أطرافها حاشية من بناء بالجص والصخر بارتفاع ذراع، وفيها ميازيب لانصباب مياه السماء، وتقابلها أيضاً فسحة مسوأة معدّلة فيها بعض الأثاث من قدور صغار، وحصير، وكيّزان^(٤)

(١) الرُّخْصَاءُ: العَرَقُ. وفي حديث نزول الوحي: فَمَسَحَ عَنْهُ الرُّخْصَاءُ؛ هو عَرَقٌ يغسل الجلد لكثرة، وكثيراً ما يستعمل في عَرَقِ الحُمى والمرض.

(٢) أفاد من بيت للشريف الرضي:

فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نَضْوِي وَلَجَّ بَعْدْلِي الرُّكْبُ

ظ: (ديوانه ١: ١٨١).

(٣) العريض.

(٤) الكُوْزُ: من الأواني.

ماء صغيرة، وليس إلى جنبها أحدٌ، وكنتُ في أشدَّ العطش ولم أتناول منها خوفاً من لائمة أهلها، ثم ارتقينا إلى الغاية المقصودة وهي أعلى القُنة وموضع القبة البيضاء فإذا هي أرض بسيطة من صخر مفروشة بالرمل بعض منها مكشوف كالطارمة أمام القبة تحوطه حاشية مبنية، ومنها يكون الدخول إلى ذلك الموضع الشريف الذي عليه تلك القبة الرفيعة العالية المبيضة بالجصّ الناصع، مرتفعة على أربع اسطوانات عالية عظيمة، والقبة في غاية الارتفاع والعظمة، وهي ترى في السفلى كأصغر ما يكون، ويبلغ مساحة ذلك الموضع الذي تحتها سبعة أمتار طولاً، وثلاثة عرضاً، عدا الأساطين الأربع، وأرضها من صخرة واحدة سوداء في وسطها الحقيقي شقٌّ بقدر قامة في عرض شبر، وكانت هناك عجوزان سوداوان يُعرّفان ويتطلّبان المعروف، يزعمان أنّهما من بقايا قريش، فقالتا: إنّ هذا موضع اعتزال النبي ﷺ قبل البعثة للعبادة والانقطاع إلى الله، ومن هذا الشق اشرفت له أنوار النبوة، وتطلّعت أشعة الرسالة، وألبسه الله خلع الكرامة، وهذه القبة المبنية عليه في قبلتها كتيبة وطرة شاهية تتضمن تلك الكتابة: (إنّ تجديد هذا البناء وقع بأمر السلطان عبد العزيز^(١) في سنة (١٢٧٩ هـ)، وعلى محزمها أبيات شعر قد درستُ إلا أثرها، ولم يسع الوقت لاستخراجها، ثم ذهبنا القرشيتان بنا وأنزلتانا

(١) عبد العزيز خان نجل محمود خان الثاني: (ولد سنة ١٢٤٥ هـ = ١٨٢٨ م - وتوفي سنة ١٢٩٣ هـ

= ١٨٧٤ م)، جلس على سرير السلطنة (سنة ١٢٧٧ م = ١٨٦٠ م)، فأخذ في إصلاح البلاد وقسم المملكة إلى ولايات وألوية ومديريات، وأحدث مجلس شورى الدولة...

ظ: (دوائر المعارف: للسيد محمد مهدي الموسوي الكاظمي/ص ٥٧).

من نيق^(١) الجبل عن صفحته الغربية في درج منحوتة في الصخر بمثل ثلاثين درجة أو أكثر، فدخلنا في مضيق شعب في الجبل لا يجوزهُ المرءُ إلاّ صفحاً، ثم خرجنا منه إلى فُسحة صغيرة مكشوفة إلى مسرتها غار في عرض بدن الإنسان وطول قامته، وإلى جنبه صخور لو أطبقتْ واحدة على بابه لغاب عن الحسّ والوهم إنَّ شيئاً هناك!، وهذا الغار بزعم القرشيتين وما هو المسموع هناك، هو الغار الذي صدف قريش، وصار صدفاً لذلك الجسد الطاهر عن أعين المختلسين منهم لدرة التقديس واللؤلؤ النفيس، وربّما يُستبعد في النظر أنّه هو ذلك الغار الشهير، الذي اكتتم فيه ذلك الوجود المقدّس وصاحبه، حتّى طلبته قريش ووصلتْ إلى الموضع الذي هو فيه، فصدهم الله عنه ﷺ، وذلك لبعدها هذا المحلّ ومشقة الوصول إليه وكثرة الجبال حوله التي يوجب الفحص عنها جميعاً مُدّة طائلة، ولكن لا يبعد أن يكون الأثر في البسيطة التي هي بأسفله قد دلّهم على أنّه ﷺ قد صعد إلى هذا الجبل؛ فارتقوا إليه يستبرؤون من خبره، وينتهون إلى أقصى أثره، حتّى مرّوا على ذلك المكان المشرف.

وعلى أيّ فقد تشرفنا بزيارة ذلك المكان وتبرّكنا به ثمّ أضعنا إلى تلك النيقة^(٢) ووقفنا تحت القبة إلى جنب الشق، فصلّيت الظهريّن وركتين تحية ذلك المكان، ودعونا الله سبحانه بما تيسّر، وإذ هي مكشوفة من جوانبها الأربعة، نظرنا من بابها التي هي إلى الغرب فرأينا جميع دور (مكة) وعماراتها،

(١) النيق: حرف من حروف الجبل.

(٢) النيقة: أرفع موضع في الجبل .

و(الكعبة)، و(أبي قبيس) ولكن هو وسائر ما حولها، وفيها من الجبال كان يُرى كالتلال اللاطئة^(١) إلى الأرض، وكانت في أسفله بعض الجمال السارحة، وهي تبين كقطيع شاء، ثم خرجنا منها وقد كادت الشمس ان تجب^(٢)، ودفعنا إلى ذينك المرأتين بعض قطعات الفضة المشوفة^(٣)، واستقينا الماء من كيزانهم، وانحدرنا وما بلغنا إلى مخيمنا إلا الواحدة من الليل، فكان مجموع مدة رواحنا وصعودنا وانحدارنا منه زهاء أربع ساعات.

وبتنا تلك الليلة وهي ليلة الثلاثاء ٢٧ ذي الحجة وفي صبيحتها ركبنا المحامل وارتحلنا في راية (أمراء حائل)^(٤).

بئر برود إلى صفينة

حتى أتينا أول الظهر إلى (بئر برود) فنزلنا حولها وهي عن (مكة) أربعة فراسخ تقريباً، ووقفنا على نفس البئر عصراً، فوجدناه من عجائب الآبار، ومن غرائب قديم الآثار، وقد تطلعت من جدار محوطتها الصخرية شجرة كبيرة بريّة حتى ظلّت فوهة البئر، وزادت على أنّ تلك البئر في غاية السعة، ولعل قطر دائر الفوهة يبلغ عشرة أمتار أو أزيد، وهي على ذلك حتى قعرها، وماؤها طيب عذب غزير جمّ وكأنّه يجري من قناة تحت الأرض؛ لأنّ في جنبي سطح الماء فوهتين كبيرتين كان الماء يجري منهما، وقد ارتوت كل تلك القافلة وكل ذي روح

(١) اللطء: لزوق الشيء بالشيء .

(٢) تغيب.

(٣) المشوف: الدينار .

(٤) هم آل رشيد من شمر، تقدّم ذكرهم.

فيها، وتزوّدوا منها، أمّا الشجرة فهي أيضاً لا تخلو من غرابة فضلاً عن ضخامتها وتعاليتها، فإنّ ورقها كورق السدر، وهي حاملة بثمر التين الأخضر الذي لم ينضج وهو فيها كثير، وقد جاءها الحاج كافة يعجبون بها ولا يعرفون من أمرها شيئاً، ثم عشنا تلك الليلة هنا، وصبّحنا السير حتّى أتينا عصراً إلى (وادي الليمون) الذي مرّ بك ما يحلو من ذكره، فنزلنا في عدوة الجبل الوسطى والمسيل أسفل منّا والجبال مطلة علينا، وكانت أرض مزرع، وقد نزل جماعة في عدوتها العليا عنّا، ولم تطعمنا بساتينه اليانعة وأشجاره الزاهرة سوى الرارنج النفيس الذي هو كأنفس ما يكون في العراق، وفيه قليل من الليمون الحامض الذي يعرف بـ(نومي البصرة) في طعمه وشكله، سوى أنّه جديدٌ رطيبٌ، وقد تزوّدنا كثيراً من رارنجه وتمتّعنا منه إلى المدينة متاعاً حسناً، وكان منه في كل المنازل صبح أكلي وإدام خبزي، ولا تميل نفسي إلى مطعموم ومأدوم سواه، ومن جملة ما تمتعنا منه خيار الماء الطيّب الطريّ الرويّ بذلك الماء العذب الجاري على الصخور المنضودة باندفاع قويّ، وتزوّدنا من ذلك الماء وسرنا صباح الاربعاء وعشنا عصراً دون (ضريبة)، وسرنا منه ومررنا على ضريبة (ذات عرق) بعد الشّمس ضحوة الخميس فأناخ الحاج واحتفروا في الرمل حتّى نبع الماء وترووا، واحتملوا حتّى أتوا إلى (وادي العقيق) دون البركة قريباً من موضع إحرامنا، وكان من عجيب الاتفاق وحسنه أنّ إحرامنا يوم الجمعة، وموقفنا في عرفة يوم الجمعة، وخروجنا من الوادي يوم الجمعة، وكان مبيتنا في الوادي ذهاباً وإياباً ليلة الجمعة أيضاً.

ثم سرنا صباح السبت حتّى أتينا العصر إلى (حاثّة) ونزلنا في العراء دون قلعتها المنهدمة وأضلاعها المسنّمة، فعشنا تلك الليلة وهي ليلة السبت هنالك

وانصرف الرواة فترؤوا، وارتحلنا منها صباح الأحد، وسرنا قدراً من النهار حتى أتينا إلى أرض سباخ قد علاها الملح كالجليد المتراكم، وبقينا نسير فيها أكثر النهار حتى نزلنا عصرًا آخر النهار في فسحة بين ضلعين من الجبال متباعدين، ويُسمى هذا المنزل (بما بين السبختين)؛ لأن وراءه سبخة أخرى وكانتنا - بمن الله تعالى - كأيام الورود لم يصبهما المطر وإلا لأشكل الأمر جداً، وهذا المنزل مفازة ومغبة ليس فيه ماء ولا كلاء.

ثم سرنا منه بعد صلاة الفجر ومررنا ضحى بـ (السبخة) الثانية حتى أتينا التاسعة من النهار إلى قرب المنزل المعروف (بصفينة) بالتصغير، وهذه الأرضون من (حائه) إلى قرب (المدينة) لقبائل (مطير)، وتمتد أرضهم إلى (الكويت) شرقاً وإلى قرب (المدينة) غرباً، وهم من فتاك الأعراب واشقيائهم، وكانت طائفة من الحاج والمحامل قد تقدّمت أماناً فلما انتهوا إلى بعض أضلاع جبال المنزل رأيناهم أمسكوا عن السير، وسمعنا أصوات (بنات الرعد)^(١) تندفع عليهم، وكانت الراية معنا، فركزها في الأرض وأناخ فأنيخت المحامل والرواحل على بكرة أمّها وأبيها، فاستبرأنا الخبر فاستبان أنّ طائفة من (مطير) سوى من له إلاّ الخاوة والرفق، يمنعون من الاستقاء من الآبار إلاّ بثمن يقترحونه، وأمراء البيرغ^(٢) يراجعونهم مع خفيهم بالمدافعة عن الدفع، أمّا نحن فاعتصمنا ولجأنا إلى الصلاة وكفأها بها وزراً وحصناً، فأدينا المفروض منها، وكانت في غضون ذلك تمرّ على رؤوسنا بعض البنادق ولها في آذاننا زمزمة، وفي قلوبنا همهمة، أمّا الضعيف فبعد

(١) بنات الرعد: كناية عن صوت الرصاص.

(٢) البيرغ: الراية، اللواء، وهي كلمة تركية.

الصلاة رقدتُ حتّى ملكتني عيني على تلك النعمات، وما أيقظوني إلا للركوب
فركبنا حتّى نزلنا عن الآبار ناحية، وبيننا وبينها مسافة، وكُنّا في أشدّ حاجة إلى
الماء والرواء، فأخذوا الخفير إلى الآبار وارتووا وعادوا أوائل العتمة^(١).

ثم سرنا صباح الثلاثاء رابع المحرم حتّى نزلنا السادسة ونصف من النهار في
فلاة من الأرض وإلى جنبها شرقاً غدير ماء من السماء، ببعد غلوة سهم أو
سهمين من منزلنا، وكان سيرهم هذا اليوم خَمَسَ ساعاتٍ ونصفاً؛ وذلك لأخذ ما
لهم على الحاجّ من مرسوم الخاوة ومصرف البيرغ، وقد أجحف هذه السنة أمير
الحاج وصاحبه بمنّ قهرهم الشريف على السير معه إجحافاً باهضاً، وابتدع بدعة
لم يسبقه أحدٌ إليها، ولم تكن في التصوّر والحسبان، حيث إنهم أجروا الخاوة على
العرب والعجم سواء وضاعفوها حتّى أخذوا من كلّ نفر - من أيّ صنفٍ كان -
أربع ليرات إلاّ رُبْعاً، فضجت الحملدارية واستغاثت ولات حين مغيث، إلا العصيّ
على العصاة حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ولم يسمحوا بطرح ذلك
عن أحد إلاّ لبعض الذوات، [الذين] عرفوا لهم من الشأن ما صدّهم عن اجراء
ذلك البغي عليهم وابتغائه منهم، واحتسبوا محمل الأخ الشريف^(٢) وعديله
الضعيف^(٣) من أولئك، وتوسّل بنا بعض الحملدارية لنشفع له إليهم في التخفيف
عنه، لما رأى في عامّة الطريق من ملاطفتهم بنا ورعايتهم لنا، فأتيناهم وقلنا لهم
قولاً لئنا، فسمحوا ببعض وتنازلوا عن بعض، وكثرت تلك الليلة العياط ووقع السياط.

(١) العتمة: الثلث الأول من الليل بعد غيبوبة الشفق.

(٢) هو السيد علي العلاق.

(٣) هو الشيخ كاشف الغطاء صاحب الرّحلة.

السوارقية - الصَّعْبِيَّة

ثمَّ سرنا بعد الصلاة من صبح الأربعاء حتَّى نزلنا بعد الظهر في خلاء من الأرض واقع بين قريتين:

إحدهما: تسمَّى بـ(السوارقية)^(١) ذوات آبار عليها نخيل ومزارع، وفيها بعض أبنية الصخر والطين من البيوت، تسكنها جملة من السادة الحسينية وجماعة من الأعراب المعروفين بـ(بني علي)، والجميع من الفرقة الجعفرية، والقرية عن محطّ مناخنا فرسخان أو أقلّ، وراء سلسلة من أضلاع الجبال، وجاء كثيرٌ من أهاليها من أشرافها وأدانيها وولدانها ونسوانها يتفرّجون ويتكسّبون ببيع أجربة التمر والسمن، وحضر في خيمتنا منهم ما ينوف على العشرين، وقدّموا لهم العشاء وأحسنّت ضيافتهم وكانوا في بهجة ومسرّة بمشاهدة شاكلتهم ومجالسة جانستهم.

والأخرى تُسمَّى بـ(الصَّعْبِيَّة)^(٢) وهي من ناحية الغرب عنّا، وعليها آبار، ومنها كان الاستقاء والارتواء، والتزوّد من الماء.

ثمَّ رحلنا يوم الخميس حتَّى نزلنا بعد الظهر في خلاء أرض تُسمَّى

(١) كذا في الاصل والصحيح (السوارقية): أرض زراعية أهلة بالسكان في ديار مطير، وهي جوفة في صفن حرة بني عبدالله كصفينة، وواديها قرآن يأتي من حرة مطير من الغرب فإذا زاد ماؤها دفع إلى قاع السوارقية وهو قاع لا يفيض ماؤه لكبره، فيها إمارة لمهد الذهب، ومدرسة ابتدائية. ظ: (معجم معالم الحجاز ٤: ٨٤٧).

(٢) الصَّعْبِيَّة: كالمنسوبة إلى الصعب: بلدة في ديار بني عبدالله من مطير، غرب السوارقية، فيها مدينة ابتدائية وفيها شيخ المهالككة بطن من بني عبدالله، لها وادٍ يعرف بها يأتي من حرة مطير الغرب فيدفع شرقاً في قاع السوارقية، فيها مزرعة على الضخ الآلي.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٥: ٩٨٦ - ٩٨٧).

بـ(الغراب)^(١) أو (الخراب)، وكان السير في هذه الأيام الثلاثة تعليلًا قليلاً والنزول قريباً، حتّى أنّهم كانوا يصيرون المنزل الواحد منزلين؛ وذلك لاشتغالهم بأخذ الخاوات ودفعها إلى أهلها من (شيوخ حرب) وغيرهم.

فكُنّا نحثّهم على السير استعجالاً؛ وهم يتعلّلون به إمهالاً؛ حتّى قضوا علينا بذلك الليالي والأيام.

في غدير ماء

ثم ارتحلنا يوم الجمعة بين الطلوعين حتّى أتينا ضحوة ذلك اليوم إلى (غدير ماء) في طول ثلاثمائة متر، وعرض سبعة في عمق اثنين تقريباً، يطلّ عليه جبل من الصخر الأسود على طول (الغدير)، فنزلنا على ذلك النهر فوجدنا فيه من العذب الزلال ما لم ندقّ مثله مدّة أعمارنا، وما دجلة والفرات بالقياس إليه إلّا كقياس سائر المياه إليهما؛ وكان السبب في تلك العذوبة والحلاوة أنّ السماء تصبّ على ذلك الصخر فيدفعه إلى ذلك النهر فجأة من دون أن يمرّ على الأراضي المختلفة الطعوم من السباخ وغيرها، وأرضه من الطين الأحمر الحرّ.

فما هو إلّا ماء الوقائع الذي شبّه ذلك الشاعر العربي حديث حبيبته به في قوله كأنّ حديثها:

جنى النّحل ممّزوجاً بماء الوقائع^(٢)

(١) أنظر: (غراب) في معجم معالم الحجاز ٦: ١٢٤٦ - ١٢٤٨.

(٢) عجز بيت، وصدره:

ونلتنا سيقاطا من حديث كأنّه

ظ: (ديوان ذي الرّمة، لغيلان بن عقبة العدوي (ت ١١٧هـ) ٢: ٧٨٦).

أو النُّظْفَةُ التي جعل الحماسي بالفراصة ريق عشيقته أطيب منها إذ يقول:

فَمَا نُظْفَةُ مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ تَقَادَفَتْ بِهِ جَنْبَتَا الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(١)
فَلَمَّا أَقَرَّتْهُ اللَّصَابُ^(٢) تَنَفَّسَتْ شَمَالٌ لَأَعْلَى مَائِهِ وَهُوَ قَارِسُ^(٣)
بِأَطْيَبٍ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيهَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ^(٤)

وَأَنَاخْتُ الْحَاجُّ كُلَّهَا عَلَى حَافَتِيهِ، وَوَرَدَتْ الْإِبِلُ وَرُودَ الْخَمْسِ^(٥) عَلَيْهِ، وَكَانَ عَلَى شَاطِئِهِ بَعْضُ النَّبَاتَاتِ الْخَضِرَةِ الْيَانِعَةِ، فَجَاءَنَا بَعْضُ الرِّفَاقِ مِنْهُ بِالرَّشَادِ فَجَعَلْنَاهُ مِنْ بَعْضِ أَدَامِنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ، وَأَهْرَقْنَا مَا كَانَ مَعَنَا مِنْ مَاءِ تِلْكَ الْآبَارِ حَيْثُ كَسَدَ وَبَارٍ، وَمَلَأْنَا الْمَزَاوِدَ وَتَزَوَّدْنَا مِنْ ذَلِكَ (الغدِير).

ثُمَّ بَعْدَ سَاعَةٍ تَنَادَوْا بِالْمَسِيرِ فَسَرْنَا حَتَّى أَتَيْنَا بَعْدَ الظُّهْرِ إِلَى أَرْضٍ بَيْنَ حَرَّاتٍ وَصُخُورٍ، فَزَلْنَاهُ وَهُوَ دُونَ (الْخَنْقِ) فَبِتْنَا لَيْلَةَ السَّبْتِ هُنَاكَ، ثُمَّ سَرْنَا صَبَاحَهُ حَتَّى أَتَيْنَا (الْخَنْقِ) عَصراً فَعَشِينَا لَيْلَةَ الْأَحَدِ تَاسِعَ الْمَحْرَمِ هُنَاكَ بَيْنَ مَضِيقِ شَعَابِهِ وَهَضَابِهِ عَلَى مَنْزِلٍ وَعَثٍ وَعَرٍ مِنَ الصُّخُورِ وَالْأَحْجَارِ، وَبَعْدَ ضَرْبِ الْخِيَامِ وَالْأَخْذِ مِنَ الْإِسْتِرَاحَةِ طَرَفاً مَضِينَا إِلَى التَّفَرُّجِ عَلَى مَائِهِ الَّذِي هُوَ فِي أَشْلَاحِ الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ وَأَصُولِهَا، وَنَظَرْنَا إِلَى الْعِمَارَةِ الَّتِي عَلَيْهِ، وَهِيَ عَلَى مَا يُقَالُ: مِنْ

(١) الدَّامِسُ: الْمُظْلَمُ.

(٢) اللَّصَابُ: شَقُوقٌ فِي الْجِبَلِ.

(٣) الْقَارِسُ: الْبَارِدُ.

(٤) الْأَبْيَاتُ لِأَبِي صَعْتَرَةَ الْبَوْلَانِيِّ.

ظ: (شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي (ت ٤٢١ هـ) ٣: ١٢٨١ - ١٢٨٢).

(٥) الْخَمْسُ: شَرَبُ الْإِبِلِ يَوْمَ الرَّابِعِ مِنْ يَوْمِ صَدْرَتْ؛ لِأَنَّهُمْ يُحْسِبُونَ يَوْمَ الصَّدْرِ فِيهِ.

(عمارات زبيدة)^(١)، وهو بناء هائل بديع قد انهدم أكثره، وهو كالقنطرة بين الجبلين العظيمين على الشعب العميق السحيق، الذي يمتلئ بمياه الأمطار ويقطع طريق المارة ويصير كأعظم الشطوط في بعض الفصول.

الحرب مع قبائل حرب

ثم رجعنا مع الغروب إلى مضاربنا، وكُنَّا نأمل على العادة المسير صباحاً لندخل (المدينة المنورة) نهار التاسع فنحظى بليلة عاشوراء عند النبي والأئمة (صلوات الله عليهم)؛ فبيناً نحن على ذلك إذ نادى مناديتهم بعزم الإقامة غداً تلك الليلة، فاستأننا لذلك أشدَّ المساء وتضاعفتُ الأحزان والكآبة، وبتنا ولكن بليلة ذي الغابر نعللُ النفوس بأنَّ الليلة حُبلى، فعسى أن تصبح بغير الغابر، وكان الباعث لهم على تلك الإقامة المزعجة في ذلك المنزل الخشن هو خوفهم من بعض (طوائف حرب) أن يَتَنَشَّبُوا في أثناء الطريق فَيَرْمُوهُمْ كما فعلوا في العام الماضي، وكان بينهم وبين أولئك الجفاة في المنزل تلك الليلة شغبٌ وصخبٌ،

(١) أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروفة بزُبَيْدَة، زوجة الرشيد وام ولده الأمين، تزوجها في حياة أبيه المهدي، ولدت في حياة المنصور فكان يرقصها وهي صغيرة فيقول: أنت زُبْدَة، أنت زُبَيْدَة، فغلب ذلك على اسمها، وتوفيت ببغداد في جمادى الأولى في سنة (٢١٦هـ)، لها آثار كثيرة في طريق مكة من مصانع حفرتها، وبرك أحدثتها، وكذلك بالمدينة، وتبلغ نفقتها في الحج في ستين يوماً (أربعة وخمسين ألف الف).
ظ: (تاريخ مدينة السلام ١٦: ٦١٩ - ٦٢٠).

وعلى ثلاثة أميال من الشقوق قصر لأم جعفر، وعلى ستة أميال يمنة على الطريق بركة زبيدة، وقباب، ومسجد يدعى (الرُستمية)...

ظ: (كتاب المناسك، للحربي ٢٨٨ - ٢٨٩).

ومراجعة ومدافعة، ف(الحرييون) لكونهم في مواطنهم وعدم سلامة إسلامهم فضلاً عن إيمانهم يحتكمون بما شأوا وإلا قتلوا وفعلوا ما شأوا ولا مانع ولا دافع سوى الله، وهم عنه بمعزل، وأمراء البيرغ لشحهم وحرصهم على الحطام الذي جمعوه من الحاج وهو قرب ثلاثة آلاف ليرة لا يدفعون لأولئك ما يقنعهم، وما زالوا في ذلك اليوم وهو تاسوعاء مشغولين بفصل هذه الخصومة وإصلاح هذه المفسدة حتى بعد الزوال، ولم يبقَ إلا من يهون أمره، وكان النهار قد ذهب أكثره ولم يبقَ سعة للمسير، فدخلت علينا ليلة عاشوراء ونحن عن (المدينة) أقل من مرحلة، ولكن الصدور متوغرة، والأكباد متسكرة، والعيون مستعبرة، والكآبة على الوجوه لائحة، والأصوات بلسان الحال والمقال بين نائح ونائحة، وكُنّا من أوّل ليلة من المحرم أقمنا رسم العزاء لسيد الشهداء (عليه السلام) فيأتي الذاكر ويقرأ ما يحسن من الشعر والنعي، وما أقل ما يُحسّن!، ثم يتلو صاحبنا الشريف^(١) قدراً من (مقتل اللهوف)^(٢) وتحضر هنالك جماعة من الرفاق، حتى كانت تلك الليلة التي زاد في فجيعتها ورزيتها حبسنا في ذلك المكان وحرماننا من الخطوة بتلك الأعتاب المقدسة على القرب منها، فافتضى ذلك مزيد انكسار خواطرنّا، وتألّم قلوبنا، أمّا الواهن الضعيف فما كانت ترقاً لي عبدة ولا تهدأ لي زفرة طول تلك الليلة اللّيلة، ثم بعد إداء الفرض، انعقد محفل العزاء وجاء الذاكر فارتفع البكاء

(١) هو السيد علي العلاق المتقدم ذكره غير مرّة.

(٢) اللهوف على قتلى الطفوف: للسيد رضي الدين أبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحسني الحلبي (ت ٦٦٤ هـ - ١٢٦٤ م) مرتب على ثلاثة مسالك: في الأمور المتقدمة على القتال، وفي وصف القتال، وفي الأمور المتأخرة عنه.

ظ: (الذريعة ١٨ : ٣٨٩).

وكانت النفوس مستعدة، والقلوب ممتلئة، لا تحتاج إلا إلى أقل مهيج ومحرك، ثم تليت المصيبة من (اللهوف)، وبعد استيفاء حظنا من سكب الدموع وفيض الآماق ختمنا المجلس في مخيمنا، وقمنا حتى أتينا إلى الخيمة اللصيقة بنا وهي للشهم الغيور عمدة الأعيان الحاج (عبد المحسن شلاش النجفي)^(١) شكرت مساعيه، وزيدت معاليه، وكان قد عقد في خيمته الزاهية رسماً للعرزاء في غاية الحسن والبهاء في أفرشته النفيسة، وأضوائه الزاهرة، وشموعه المنيرة، والمجلس غاصّ بأهله، رائع بحشده وحفله، وبعد تلاوة الذاكر ما تيسر وارتفاع الأصوات بالبكاء والحسرات ورنة الزفرات، اجتمع عدد كثير من الأتباع والخدام من حملدارية وعكّام، وبعض الحُجّاجِ مثنائي وأزواجاً للدم الصدور ولطمها، ونشر النياحات والنواحي ونظمها على رسم العادة في العراق وما يجري بتلك الآفاق، واتفق من حسن التوفيق ومساعدة العناية اشتمال تلك القافلة على اثنين من أهالي كربلاء من العارفين المهرة بالنواحي المشجعية، والنياحات المثكلة، والطرائق الرائقة بالعربية والفارسية، فقام أمام الخيمة للعرزاء والنياحة والطم على الصدور، موسم رائع، ومحفل جامع، والمستمعون على عقد نظامهم الأول تحت الخيمة لهم حنين وأنين وبكاء ورنين، حتى ارتفع هناك من الضجة والرجّة ما لا أشك أنّه بلغ في هَمَاهِمِهِ إلى مرقد سيّد الأنبياء، وبقعة سيّدة النساء، والأئمة الأمناء عليهم السلام،

(١) عبد المحسن شلاش: (ولد عام ١٨٨٢م في النجف الأشرف، وتوفي في عام ١٩٤٨م) من أعيان النجف وتجارها كان له دوره في الثورة العراقية ١٩٢٠م، عمل وزيراً للمالية، والأشغال، والمواصلات، وأختير عضواً في مجلس الأعيان العراقي. عرف بنشاطه التجاري الواسع ومساندته للمشاريع الخيرية.

(موسوعة أعلام وعلماء العراق ١: ٥٢٠).

وأسعفتُ العناية هذا الضعيف الواهن بما لم أكن أحتسب حصول مثله من الحالة في أيِّ مكان حتّى في روضة سيّد الشهداء (عليه السلام)، وفاض من الدموع ما سكّن لهب الضلوع، وبقينا على ذلك إلى قرب نصف الليل حتّى انفضّ عقد ذلك النظام، وختم الله - سبحانه - لنا ولهم بأحسن الختام، فذهبنا إلى محلّنا للاستراحة، وكانت بذلك قد طابت نفوسنا، وسكن ولوعنا وغليلنا عن تأخرنا، وحسنا في تلك المنزلة الخشنة، والحالة الشعثاء، وريثما استرحنا أولاً أتانا بعض الحملدارية مخبراً شاكياً؛ أنّ عزم الأمراء على الإقامة أيضاً في ذلك المحل حتّى في صبيحة تلك الليلة التي هي صبيحة عاشوراء، وما كان أحدٌ من الحاجّ يشك في الرحيل ويعلّل نفسه عسى أن يحظى ولو بساعة من آخر النهار يُعزّي بها النّبي والزّهاء والأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وذلك لعزمهم على احتلاب الحُجّاج مرّة ثانية؛ بل ثالثة أو رابعة، برضخ^(١) مجيدي من كلّ نفر مضافاً إلى ما سبق، وبالضرورة لا بدّ أن يقيموا لا أقل من يوم؛ لاستيفاء ذلك ولو بالضرب والغصب، والحبس والكبس، ولا تسلّ عند ذلك عمّا دخلنا من الانزعاج والانقلاب والكدورة والاكتئاب، وكان الأمير وصاحبه قد جاؤوا بعد خروجنا إلى خيمة الحاجّ المتقدّم الذكر التي هي إلى جنب خيمتنا، وهم بحيث يسمعون كلامنا إذا جهرنا فرفعنا أصواتنا بالسبّ والشتّم والتهديد والوعيد، وأنّنا إذا أصبحنا ولم نجد لهم على السير عزماً؛ لنهجمنّ بكافة الحاج على حريرتهم الخضراء، وفقاتها السمراء، فتمزّق تلك ونحطّم هاتي، ونُعجّل بسوء عاقبة أعمالهم اللواتي، ونسري ولو أنّ الدماء تجري و:

(١) الرضخ: العطاء ليس بالكثير.

عند الصَّبَّاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ الشُّرَى وَتَنْجِي عَنْهُمْ غِيَابَاتُ الْكَرَى^(١)

وأُنذِرنا الحملدارية والحاجَّ أن يدفعوا لهم قرشاً ولو حملوا لهم نعشاً، كل ذلك وهم بحيث يسمعون في (مجلس الشورى) الذي اجتمعوا فيه للمذاكرة في ترتيب تلك العزيمة الظالمة، ثم لم نتمالك أن هجمنا عليهم إلى الخيمة ومعنا أمة من الناس وأعيان الحملدارية، فأغلظنا لهم في الكلام وأوجعناهم في خشونة القول بحماس وشدة، واندفاع وحدة اندفاع السيل الجارف على منحدر الوهاد، وهم مطأطؤا الرؤوس لا ينبسون^(٢) بينت شفة حتى تجاسر الحاضرون على مهانتهم وقذعهم.

إِذَا مَا أَهَانَ امْرُؤُ نَفْسَهُ فَلَا أَكْرَمَ اللَّهُ مَنْ يُكْرِمُهُ^(٣)

وكأنما كان بين الناس وبينهم سدّ فردمناه أو سور فهدمناه، وبعد شفاء الصدر وإدراك النصر منهم ومفاجأة ما لا قبل لهم به ومباغته ما لم يكونوا يحتسبون، لم يجدوا ملجأً إلاّ لإنكار تلك النية، وفسخ تلك العزيمة، وتؤدي في الحاج بالسير صباحاً، وخرجنا والناس معنا في فرح ومرح، وبشر وشكر، واحتسبوا يداً بيضاء وصنيعة غراء، يلهجون بها ويبتهجون فيها، وبعد خروجنا بعثوا على بقايا أهل الخاوات وفصلوهم على الرسم والعادة أو يزيدون، ومضى على هذا ومثله عامّة الليل، ولم نفرغ من كل هذه المواد والأعمال إلاّ قرب الثامنة من الليل.

(١) للشماخ بن ضرار الغطفاني.

ينظر: ديوانه شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي ص ١٠٨.

(٢) ما تَنَبَسُوا: ما تكلموا بكلمة.

(٣) البيت لدعبل بن علي الخزاعي.

ينظر: ديوانه القسم الثالث: الشعر الذي نسب إلى دعبل وإلى غيره، ص ٣٢٦.

ثم انصرف كلٌّ إلى مرقده واضطجعنا، وريثما مسّت مضمضة الكرى جفوننا، وأطبقتُ سنّة النعاس عيوننا، أيقظتنا نغمات الأجراس، وغوغاء الناس، ورغاء^(١) الآبال، وقعاقع الحمول والأثقال، وسرنا بعد أداء قرآن الفجر ووضوح الفلق، وقطعنا تلك الحرّات والعقبات، والشعاب والهضاب حتّى سهّل المولى علينا ومنّ بالتشرّف في الدخول إلى مدينة النبي ﷺ الطاهرة المنوّرة يوم العاشر من المحرمّ الحرام بعد الظهر بساعة، عشرين في كانون الأوّل سنة ١٣٣٠ هـ، وكان دخولنا إليها من جانبها الشرقيّ، وعبورنا على طرف (جبل أحد) من جبل وغيره، وريثما وضعنا الأثقال في المنزل، تهافتنا على حرّم النبوة، ومهبط الوحي والرسالة، وعزّيناه وبضعته الزهراء بريحانته وأطايب عترته ﷺ ولا تسلّ هناك عن الأحزان، وهيجان الأشجان، وفيض الدموع من العيون والأجفان، وحمدنا الله - سبحانه - على ما لم نكن أهلاً له من هذا التوفيق، وسألناه ونسأله - تعالى - كما منّ بنجّح المأمول، أن يمنّ بالقبول، ويستجيبُ لنا ما سألناه في إخواننا إنّه سميعٌ مجيبٌ وهو أهل ذلك كلّ بفضله.

في طيّبة

أمّا (طيّبة)^(٣) فوجدناها هذه الدفعة طيّبة الهواء في غاية اللطف والصفاء، كأنّ أيامها من أطايب أيام الربيع في العراق، ولياليها كمعتدل ليالي الخريف في صفاء

(١) الرغاء: صوت الإبل.

(٢) في الميلادي (١٩١٢ م).

(٣) طيّبة: وهو اسم لمدينة رسول الله ﷺ، يقال لها: طيبة وطابة من الطيب وهي الرائحة الحسنة لحسن رائحة تربتها...

ظ: (معجم البلدان ٤: ٥٣، ومعجم معالم الحجاز ٥: ١٠٧٤ - ١٠٧٦).

الجوّ وتلاؤُ الآفاق، والذي انسنا به واستطابت نفوسنا من أجله؛ حتّى وجدناه على العكس من الدفعة الأولى أمران:

الأوّل: تغيّر الفصل وإن كان يسيراً فإنّه كان في الأولى تشرين وفي هذه كانون.

والثاني: أنّنا أتيناها في الأولى من (الشام) وناهيك بها وبطيب هوائها وأرج أرجائها، وفي هذه جئناها من هواء مكّة الذي كان قد أخذ منا بالمخق وحزّ بشفار حدّه وحرّه كل مفصل وطبّق، فكان كل هواء سواه نجده نعيماً ونحسبه نسيماً.

وقد تقدّم بعض شؤون (المدينة) وشكوانا إلى الله وإليك أيها السامع والناظر من أهاليها، وسوء معاملاتهم وآدابهم مع خصوص الحاجّ، خاصّة العجم، وهم باصطلاح أولئك عامّة (الفرقة الجعفرية)، وإن جاملوهم أحسن المجاملة، أخصّ من أهل (المدينة) خدام ذلك المرقد الشريف، وحرّم النبوّة الذي بعث الله مُشرّفه رحمة للعالمين، فانقلب بهؤلاء على خصوص أمّته نقمة أخصّ وأعمّ، وأضحك وأبكى، وأشكو وأشكي من عامّة خدام الحرم، خصوص السُود المخاصي، إن كان كلّ واحد من المؤمنين هو المجبّب له والخاصي، فهم من الفظاظة والغلظة على أسوأ حال وأسود وجه، وعلى أيّ فلا شيء من اللوم عليهم عندي فإنّهم لأحقّ من (فَقَعَ بِقَاعٍ)^(١)، وأحقّ منهم مَنْ يَرتجى عندهم حسن المعاملة وكرم الطباع:

(١) قال الزمخشري في (مستقصى الأمثال) ١: ١٣٤: (أذل من فقع بقاع، هو الكمأة البيضاء، ومنه حمام فقيع أي أبيض، والأنثى فقيعة؛ وذلك أنّه لا يمتنع على من اجتناه، وقيل: إنه يداس دائما بالأرجل ...).

مَنْ عَلَّمَ الْأَسْوَدَ الْمَخْصِيَّ مَكْرُمَةً أَقْوَمُهُ الْبَيْضُ أَمْ أَبَاؤُهُ الصَّيْدُ
أَمْ أُذُنُهُ فِي يَدِ النَّخَّاسِ دَامِيَّةٌ أَمْ قَدْرُهُ وَهُوَ بِالْفَلَسِينِ مَزْدُودُ^(١)

وإنما اللوم على مَنْ وضعهم بهذا الموضع الرفيع، وسلطهم على الشريف والوضيع، أحقاً هذا الأسود الطمطماني^(٢)، الأبكم القرّنان، الأعجم اللسان، يدخل في قدرته داخل الحجرة النبوية والروضة المقدسة الروحية، والأعلام والأشراف، والمنيفون من بني (عبد مناف) يقفون وراء مشبكات الحديد، ويرمون السلام من بعيد، فإذا خرج أولئك العبيد واستداروا في الحرم لوظائف الخدمة، وتعظيم الحرمة، استبدلوا عن ذلك بتفريق الكلمة، وتشيتت جماع الأمة، وجعل المسلمين طرائق قديداً، ليعود بعضهم لبعض عدواناً، وقد جعلهم الله برحمته إخواناً، فيعاملون كلاً من الناس بما تأمرهم به أحلامهم، ويا حبذا لو كانت لهم أحلام، ولكن صور الرجال ولا رجال، وعقول ربات الحجال، وما البثّ والشكوى إلا إلى عالم السرّ والنّجوى، من هذه الرزايا، وسرّ نتائج هذه القضايا التي ستقضي علينا أو كادت وأساءت ديننا ودنيانا بل زادت، والأمل الأشجى أننا مع هذه الأحوال نأمل أن يعود إلينا مجدنا الأول، وعزنا الأمل، حتى نقف ولا أقل في صفّ الأمم الراقية بعد أن كنّا أمامهم، وهيهات مع هذه الأعمال والنيّات أسعف الله بنصره المسلم المسكين السالك في سبيل الله لحجّ بيته الحرام، ماذا يقاسي من الشدائد، والمهانات، والمحن، وهتك الحرمات،

(١) أنظر: (شرح ديوان المتنبي، للبرقوقي) ٢: ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) الطمطم، والطمطمي، والطمطماني: هو الأعجم الذي لا يفصح.

يتدافعه ظالم إلى ظالم، ويتهادى من غاشم إلى غاشم. (الحجاز) وما أدراك ما (الحجاز)، ما مرّ العدل والإنصاف بها ولا جاز، باديتها (بنو حرب) وما أدراك ما (بنو حرب) أحقّ ما تتمثل فيهم ما قاله الفاروقي^(١) في إخوانهم:

واحرِبْ أَيَا آلَ حَرْبٍ مِنْكُمْ يَا آلَ حَرْبٍ مِنْكُمْ وَاحرِبَا
فِيكُمْ وَعَنْكُمْ وَبَكُمْ وَمِنْكُمْ مَالُو شَرْخَنَاهُ فَضَحْنَا الْكُتُبَا^(٢)

وأما حاضرتها فلتعدياتهم بحرّ من الظلم مُظلم، وعندها (حدّث عن ذلك البحر ولا حرج)، ولولا الثّقة واليقين بما عند الله من الأجر وحسن الجزاء، وكرامة ما يصيبهم نَصَبٌ ولا مخمصة الا كتب له به عمل صالح^(٣)، وخشية الإثم والحرّج من تثبيط المسلمين عن هذا العمل الطائل الذي هو من أعظم شعائر الإسلام قلقت: إِنَّ الْحَجَّ قَدْ انْقَلَبَ بِهَذِهِ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْوَامِ مِنَ الْوَجُوبِ إِلَى الْحَرَمَةِ، قُلْ لِي: - هَذَاكَ اللَّهُ - أَيْنَ أُمْنِيَّةُ السَّرْبِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَهَمِّ شَرَائِطِ

(١) عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العمري الفاروقي الموصلّي، (١٢٠٤ - ١٢٧٩هـ = ١٧٩٠ - ١٨٦٢ م): شاعر، مؤرخ. ولد بالموصل وولي فيها ثم ببغداد أعمالا حكومية، وتوفي ببغداد. له (الترياق الفاروقي - ط) وهو ديوان شعره، و (نزهة الدهر في تراجم فضلاء العصر)، و (نزهة الدنيا - خ)، ترجم فيه بعض رجال الموصل من معاصريه، و (البقايات الصالحات) قصائد في مدح أهل البيت، و (أهلة الأفكار في مغاني الابتكار) من شعره. ظ: (الاعلام ٣: ٢٧١ - ٢٧٢).

(٢) ظ: (الترياق الفاروقي أو (ديوان عبد الباقي العُمري) ٩٥ - ٩٦).

(٣) أفاد من قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا خَمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ سورة التوبة: ١٢٠.

الاستطاعة؟، ولا سيّما على المستضعفين من الإيرانيين الذين [هُم] ولا سيّما اليوم كأغنام غاب عنها رعاتها فأصبحت الذئاب والكلاب تختطفها من كل جانب؛ بل أحد المفترسين لها [هُم] الموكلون برعايتها وسفارتها.

(والحديث شجون) وما هي إلا نفثات مصدور، وإلا فـ

كَسْتُ مِنْ قَيْسَ وَلَا قَيْسُ مِنِّي^(١)

ولكن الجور ذميم، والبغي مرتعه وخيم، وشفافي وحناني بما رزئت من بياني على أمتي وأبناء جنسي أكثر وأوفر منه على أولئك المستضعفين، أحسنوا أم أساءوا، والإحسان إلى المسيء أحسن في ردعه عن عمله السيء، لو صحت الأبواب، وسلمت الطباع، وأصاحت الآذان والأسماع، ولا تكوننّ مقالتي هذه موهنة لعزيمة أحد من المسلمين من أيّ العناصر كانوا عن المبادرة والنهوض لأداء هذا المفروض، ولو بالتوطين - عافاك الله - على اغتصاب نفسك، ورضخ بعض تلك الصخور السود من الحرّات على أمّ رأسك، وتمزيق لحمك، وإراقة دمك، وأخذ دراهمك من محزمك، فإنّ كلّ ذلك يلذّ لك ويهون عليك بتذكّر كريمة قوله (تعالى): ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٠٠] إن كنت موقناً بالله، واثقاً بما عنده، كما أحسبك كذلك، وقد تغرّبت من بيتك إلى بيته ملبياً نداء صوت نبيّه وصوته، وإنّي

(١) قال ابن هشام: في النفس من هذا البيت شيء؛ لأنّا لم نعرف له قائلاً ولا نظيراً:
أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنِّي كَسْتُ مِنْ قَيْسَ وَلَا قَيْسُ مِنِّي

لأهني وأرى الفوز والبشرى لمن وفقه الله لمقاساة هذه الأهوال، وسيئات تلك الأعمال، واحتسبها في جنب الله وفي سبيله؛ فعسى أن يتقبل الله بذلك عملهم وينجح أملمهم، والله - سبحانه - لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وهو للظالم بالمرصاد، فما أسرع ما تقوم للمرء بموته القيامة، والجزاء عند ذلك أمامه، والحساب بالعدل قدامه، فلينظر كل أمرء لنفسه، وليختر لها ما شاء أحسن أم أساء، ونحن لا نملك إلا الدعاء، في إصلاح كل فاسد من أمور المسلمين - إن شاء الله - إنه أرحم الراحمين.

زيارة حمزة بن عبد المطلب

ولنعد إلى القصد خرجنا يوم الجمعة ١٤ من المحرم إلى زيارة أسد الله وأسد رسوله، حمزة بن عبد المطلب (عليه السلام)، فركبنا العربية مع الرفاق حتى أتينا إلى مرقده الشريف، وقبته البيضاء، فحال بيننا وبين الدخول الزاعمون أنهم قوامه وخدامه، والحق أنهم ظلامه، وما فيهم من (أنسي) بل الحقيقة أنهم شركاء قاتله و(حشي)، وما سمحوا لنا بالرخصة حتى أخذوا الرسم من كل واحد قرشين صاع، وعدونا عدّ الأغنام، ومن العجمي يأخذون أربعة أو أزيد، وهناك الصدم والدم، والنزاع والدفاع، وبعد الفراغ من الزيارة والدعاء والصلاة والضراعة على أحسن الوجوه وأكملها من الرقة والخشوع، والابتهاال والخضوع، صرنا نستدير في روضته الشريفة التي هي في غاية الفراهة واللطافة، والحسن والنيقة، وكان قد عُلق على أطرافها وجوانبها وجُدرها وأرجائها ألواح وصفائح كثيرة، فيها مقاطيع وقصائد في مدح حمزة وأهل البيت (عليهم السلام)، ولكنه أكثره واهي النظم، محلول العرى إلا القليل منه، وفيها قطعٌ موشومةٌ بآية شريفة، أو حديث شريف، أو كلمة حكمة

محكمة، أو ما أشبه ذلك من بيت شعر أو فقرة ذكر، وكان ممّا أعجبنى منها قطعة كبيرة بخط في غاية الحسن والجمال، فيها البتان المشهوران، يحسن التفأل بهما لتفريج هذه الشدائد - إن شاء الله تعالى - وهما:

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تيسنّ إلّا خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها يبدّل الله من حالٍ إلى حالٍ^(١)

ومن الفقرات التي أعجبنى شريف مضمونها، وعلوّ قدر مرموزها، واشتماله على الجليل من الحكمة العالية، قطعة كانت بالخط الجيد الأنيق فيها (العقل آلة لأداء العبوديّة لا لإدراك الربويّة)^(٢)، نعم ما أصدقها، واسمقها، وأجلّها، وأجملها، وأعلاها، وأغلاها، وبالجملة فكل تلك الألواح والصفائح مرقومة بجيد الخطوط، مزينة من الذهب بأحسن الزينة كالتي في (قبر خديجة)، و(آمنة)^(٣) في الأبطح بمكة.

(١) ظ: (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٥: ٣٢٠).

(٢) ورد هذا النصّ الشريف في (مستدرک نهج البلاغة ص ٦١) ونصّه: (إنّ العقل لإقامة رسم العبوديّة لا لادراك الربويّة).

(٣) قبر آمنة: وهو مكان من بروت دفلدّ بطرف وادي الحُرَيْبة (الأبواء) من الشمال الغربي، فيه بناية بالحجر الجاف مسقفة بخشب الأشجار المحليّة والأذخر، ومتعارف في هذه الديار من مسافات بعيدة بأنّه قبر أمه (صلى الله عليه وسلم) وكان يزار؛ فلما استولت الحكومة السعودية عليه هدمته بحجّة، زيارته بدعة شركية، ثم اختلس من بناء بناء كالرضم وهي حالته اليوم، يبعد هذا البناء (٢٥) كم شرق مستورة، وثلاثة اكيال غرب سكن أهل الأبواء، وقفت عليه في ١٣٩٣/١/٢٩ هـ فإذا هو في خلاء مقفر من الرواد موحشة أرضه لا أنيس فيها....

ظ: (معجم معالم الحجاز ٧: ١٣٤٩).

مساجد وزيارة قبور (شهداء أحد)

ثم خرجنا لزيارة قبور (شهداء أحد)، وهم في بقعة إلى جنب صحنه الشريف، وليس لهم قبر مشيد، ولكن في تلك (البطحاء)^(١) من سفح أحد قبب كثيرة، ومشاهد متعددة، ومساجد مشيدة، منها: (مسجد الأحزاب)^(٢)، و(مسجد القبلتين)^(٣)، و(مسجد الثنايا)، و(مسجد الدرع)^(٤)، و(مصرع حمزة)، وهي كثيرة لا تحصى، ولا كان يسع الوقت للتشرف بجميعها.

خطيب الجمعة في المدينة المنورة

ثم عدنا إلى البلد قبل الظهر بساعة، فدخلتُ من (باب المجيدة)، وهي أقرب أبواب البلد إلى الحرم الشريف، فتشرفتُ بالدخول إلى (المسجد النبوي)

(١) تقدّم التعريف بـ(الأبطح، البطاح).

(٢) مسجد الأحزاب: ويُسمّى (مسجد الأعلى)، و(مسجد الفتح). صلى فيه رسول الله (ص) في أثناء محاصرة الأحزاب المدينة ثلاثة أيام، ودعا عليهم فاستجاب الله له، يرتفع على قطعة من جبل سلع في المغرب، غربية وادي بطحان.

ظ: (المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة ص ٤٠١).

(٣) مسجد القبلتين: وهو في الشمال الغربي للمدينة في رابية على شفير وادي العقيق الصغير. سمّي بالقبلتين لأن النبي (صلى الله عليه واله) صلّى فيه إلى بيت المقدس وأمر فيه بالتحويل إلى الكعبة المشرفة.

ظ: (مرآة الحرمين ١: ٤١٤ - ٤١٦).

(٤) مسجد الدرع: سمّي بالدرع؛ لأنّ النبي (صلى الله عليه واله) وضع درعه وهو لباس الحرب الخاص به، يقع هذا المسجد على يسار طريق سيد الشهداء وقبل المستراح بثلاثمائة متر، وبناءه عثماني، وقد جدد في الوقت الحاضر.

ظ: (المساجد والأماكن الأثرية في المدينة المنورة ص ٣٤).

لإدراك صلاة الجمعة والخطبة، فوجدتُ المسجد على عظيم سَعتهِ غاصّاً بالناس، ما بين واحد إلى الآخر (مفحص قطاة)^(١)، وهم أجناسٌ متشتتةٌ، وأنواعٌ وعناصرٌ مختلفةٌ من شرق الأرض وغربها، بين عربي وهم الأقل، وتركي، وهندي، وبخاري، ومغولي، وكاشغري وهم الأكثر، فتخطيتُ الصفوفَ بجهدٍ ومشقةٍ حتّى أتيتُ قبالة المنبر الشريف النبوي، وهناك الازدحام الشديد، فجلستُ بين الصفين بعد التماس من الجالسين، أنتظر الخطبة، فطال الانتظار ونحن في تطلّع واستشراق إلى طلوع الخطيب تطلع المستهلين إلى هلال العيد، ونحتسب أن سيطلع - على ذلك الجمع الكثير، والجم الغفير، المشتغل على جملة من أعيان الرجال، وأفاضل الأمم الشتى في ذلك المسجد المعظم - خطيبٌ تُمتّع بخطبته الأسماع والألباب، وتنشرح به الصدور والأذهان، ويملي علينا من المعقول والمنقول ما يبهر العقول؛ (إذ ما وراء عبادان قرية)، وهذا أعظم مَحْفَلٍ ومجتمع للمسلمين، فهل يحسن أن يقوم به فيهم إلا المصنّعُ البليغ، واللّسن الفصيح، والأغر الصبيح، الجهير الصوت، البعيد الفوت، ولكن على رغم الفضل وأهله بعد تقطّع الأعناق انتظاراً، وتلف أكثر الوقت خساراً، طلع علينا أسودٌ أحصّ، حسبته أحد أولئك المخاصي سوى أنّه معممٌ بعمامةٍ مطويةٍ غير طبقية، مُرتدٍ بعبائة خفيفة، مُتقلدٌ سيفاً قد توشح بحمائله، فلما رأيته رقى منبر النبي ﷺ الذي هو مصبُّ النور والرحمة، ومفاضة البركة والنعمة، استحققرته وأسفتُ على ذلك، ثم راجعتُ حلمي، وأثبتُ إلى حزمي، وقلتُ: إنّ الرجالَ مخابرٌ لا مناظر؛ ولعلّه قد امتاز بميزة أوجبت له التقدّم على المشاهير والأكابر، فالمرء كلّ لسانه وعقله

(١) مفحص قطاة: مجثم القطاة لأنّها تفحصه.

وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالْدَّمِ^(١)

ثم بقيتُ أنتظر بعد الأذان خطبته لعليّ أعرف ولو قليلاً منزلته، فلمّا شرع في الخطبة زادني كربة على كربة، ففاضتُ عبرتي، وتتابعَتُ حسرتي، على تولية هذه المقامات العالية غير أهلها، وتضييع الحقوق والحدود القاضي بتساوي الناس في علمها وجهلها، وبالجملة فقد كان عيي اللسان، ظاهر اللكنة، خفي الصوت، لا يظهر ولا يمتاز كلامه لأقرب الناس منه، لا سواد له إلا ما على بشرته أو سويداء قلبه، وأطال وما أتى بطائل، نعم أكثر من التسجيعات الباردة، والألفاظ الكاسدة، حتّى مللتُ برماً، ووددتُ لو أجد للفرار سُلماً، ثم بعد تمام الخطبتين والأذنين أقحمتُ نفسي في بعض الصفوف، وتقدّم الإمام ولم أسمع ماذا قرأ وكيف قرأ، ثم خرجتُ ولم أنتفع شيئاً سوى الكدر والأسف، وسكب الدموع واللهف، الذي أرجو أن يثيني الله عليه لاحتراقي على الإسلام، وضیعة أهله، وفقدان صاحبه، وقد صرفنا هنالك ساعتين من النهار أو أكثر، فكان دخولنا أوّل السادسة وخروجنا بعد الثامنة.

مسجد قُباء ومعاله أخرى

ثم توجّهتُ صباح السبت ١٨ المحرم الحرام إلى (مسجد قُباء)^(٢) وهو

(١) عجزُ بيتٍ، من معلّقة لزهير ابن ابي سُلمى وشطره:

لِسَانُ الْفَتَى نَصْفٌ وَنَصْفٌ فُؤَادُهُ

انظر: (ديوانه، من معلّقة بشرح الزوزني ٩٤).

(٢) قُبا: وأصله اسم بئر هناك عرفت القرية بها، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار، وهي قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكّة بها أثر بنيان كثير، كان المتقدّمون في الهجرة من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ومنّ نزلوا عليه من الأنصار بنوا بقُباء مسجداً يصلون فيه الصلاة سنة الى البيت المقدّس، فلما هاجر رسول
←

المسجد الذي ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة من آية ١٠٨]، وكان أصحابي قد تقاعدوا عن زيارته حذراً من عدم أمنيّة الطريق، وليس الأمر كذلك؛ فإنّي خرجتُ إليه مع بعض أهل (المدينة) من صلحائهم وأهل المعرفة فيهم، وكان الطريق جَادَّةً عريضة والبساتين متّصلة من الجانبين من (باب قُبَاء) التي هي أحد (أبواب المدينة)، وهي في جهة جنوبها، كما أنّ (الباب الشامي) الخارجة إلى (أحد) من جهة شمالها، و(العنبرية) في مغربها، و(المجيدية) في مشرقها، وكان الطريقُ مسلوّكاً كثير المارة، وعن يمين الطريق بفاصلة قليلة قلعة للحكومة حصينة في ارتفاع واحكامات موصدة، وبروج مشيدة ومدافع كثيرة، وعسكر مجر^(١)، حتّى أتينا المسجد الشريف، وهو مسجد كبير كنصف (مسجد سهيل)^(٢)، ولكنّه في غاية الإتقان وحسن العمارة، فصلّينا فيه وردنا، وقرأنا الموظف من الأدعية والأذكار، وذكر إخواننا المؤمنين، ثم خرجنا إلى ما حوله من المشاهد الشريفة، ك(بيت الخلوة) لأمير المؤمنين، و(الزهراء)، و(مشربة أم إبراهيم)^(٣)، و(بيت عزلة النّبي) (صلوات الله عليه وآله)، وهذه

→

الله ﷺ، وورد قُبَاء صلى بهم فيه، و أهل قباء يقولون: هو المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم، وقيل إنه مسجد رسول الله ﷺ، وقد وسع مسجد قباء وكبر بعد...
ظ: (معجم البلدان ٤: ٣٠١ - ٣٠٢).

(١) المجر: الجيش العظيم أو الكثير.

(٢) مسجد السهلة: أحد أكبر المساجد في الكوفة.

(٣) مشربة أم إبراهيم: (في المناسك ٤٠٢): بستان في عوالي المدينة، صلى الرسول ﷺ فيه . وفي (التعريف، للمطيري ص ٤٩): ان النبي ﷺ صلى في مشربة أم إبراهيم ﷺ، قلت: وهذا الموضع شمالي مسجد بني قريظة قريب من الحرة الشرقية في موضع يعرف بـ(الدشت) بين نخل يعرف بالأشراف القواسم... وفي (مجمع البحرين ٢: ٨٩): وإنما سميت بذلك لأنّ

←

البيوت مواضع تفرغهم للعبادة، وعليها تستدير بساتينهم ومزارعهم، وهناك ثلاثة ضياع تمتد من (المدينة) إلى أكثر من فرسخين، والضياع: (قُبا)^(١)، و(العوالي)^(٢)، و(قُربان)^(٣) وهي في الجنوب إلى المشرق، أما (فدك) فهي في الشمال في ناحية (أحد)، وتمتد إلى (خير)^(٤) مسافة أربعة أيام.

والسُفْح (الأبطح) الذي يشتمل على (المدينة) وبساتينها وضياعها واقع بين (عير) و(وعير)^(٥) غرباً وشرقاً، وهما جبلان عظيمان، وبين الحرّتين شمالاً

→

إبراهيم بن النبي ﷺ ولدته أمه فيها وتعلقت حين ضربها المخاض بخشبة من خشب تلك المشربة، وقد ذرعت من القبلة إلى الشمال أحد عشر ذراعاً.
(١) قُبا: حي جميل من أحياء المدينة المنورة، يقع جنوب المسجد النبوي على قرابة ستة أكيال، له شارع جميل رأسه الجنوبي (قبا) ورأسه الشمالي (مسجد العمامة).
ظ: (معجم معالم الحجاز ٧: ١٣٤٧).

(٢) العوالي: جمع عالية: أعلى المدينة حيث يبدأ وادي طحان الذي صار يسمّى اليوم (أبو جيدة). أرض زراعية عامر بالبساتين، فيها أنواع الأشجار والخضار، والنخيل الذي تشتهر به، سكانها خليط من حرب والنخولة، وهم شيعيو المذهب وأهل الديار من القبائل يتحاشون التزاوج معهم ...
(م. ن. ٦: ١٢١٣ - ١٢١٤).

(٣) قُربان: قرية عامرة بالمدينة المنورة في الجنوب الشرقي مجاورة لقرية قُبا من الشرق.
(م. ن. ٧: ١٣٦٦).

(٤) خَيْر: وهي ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام، يطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وقد فتحها النبي (صلى الله عليه وسلم)، كلّها في سنة ٧ للهجرة وقيل سنة ٨... (معجم البلدان ٢: ٤٠٩ - ٤١١). وفي (معجم معالم الحجاز ٣: ٥٨١): مدينة تاريخية شمال المدينة بـ (١٧١) كم على الجادة إلى تبوك، فيها اليوم محكمة شرعية وإمارة شرطة وعشر مدارس، وفيها من العيون (١٨٠) عين جارية، وقد بولغ في عدد نخيله فقيل: ثلاثة ملايين نخلة.

(٥) قال ياقوت في معجمه ٤: ١٧٢: (...) وذكر لي بعض أهل الحجاز أنّ بالمدينة جبلين يقال:

←

وجنوباً، وهذه هي حدود حرم (المدينة) ومسافته طولاً بين (عير) و(وعير) ثلاثة فراسخ وبين الحرّتين عرضاً ثلاثة أميال تقريباً، وإلى قرب (قُباء) آبار كثيرة يُستقى منها بالنواضح والسّواني^(١) لتلك البساتين والنخيل، منها (بئر الخاتم)^(٢) التي وقع فيها خاتم النّبي (صلوات الله عليه واله) فطابَ ماؤها وعذب، فهي حتّى الآن من أعذب المياه وأطيبها.

ومنها (بئر الزَّرَقَة)^(٣) التي هي مجمّع مياه عدّة آبار وعيون تنصبّ فيها ثم يجري منها في قناة تحت الأرض إلى البلد، ومنها مستقى عامّة البلد وأهلها والمترددين إليها، وتنفّث فيها على القناة فُوهات في الأزقة يستقي منه أهل ذلك الزقاق، وفي البلد أيضاً برك ومزملات كثيرة مسبلة لعامة الناس، وماء تلك البئر الملقق عذب طيب، ولكن هو دون ماء (الخاتم) الذي هو أحد ما ينصب فيها، وفي طرف (أحد)

→

لأحدهما عير الوارد، والآخر عير الصادر، وهما متقاربان... . وفي معجم معالم الحجاز ٦: ١٢٢١: (عَيْر: جبل أسود بحمرة مستطيل من الشرق إلى الغرب يشرف على المدينة المنورة من الجنوب تراه على بعد عشرة أكيال، وهو حد حرمها من الجنوب، يتصل بحرة النقيع في الشرق...).

(١) السّواني: جمع السانية: الناضحة، وهي الناقة التي يستقى عليها.

(٢) بئر أريس أو بئر الخاتم: لا تزال معروفة بجوار قُباء في ساحة تقف فيها السيارات، وقد طمت بأمر من السلطات هناك، ولكن فوهتها لا تزال معروفة، أشار إليها خادم بمنى في مقهى، فوقفت عليها فإذا هي آثار طيها ترى بصعوبة... .

ظ: (معجم معالم الحجاز ١: ١٥٢-١٥٣).

(٣) بئر الزَّرَقَة أو الزَّرَقاء: بلفظ مؤنث الأزرق من الألوان، هي العين التي تسقي أهل المدينة، أجريت إليها في ولاية مروان بن الحكم، في الآونة الأخيرة كثر السكان فأضيفت إليها آبار لسقي البلد، ولكن الزرقاء ظلت هي الأساس كعين زبيدة بالنسبة إلى مكّة المكرمة.

ظ (م. ن. ٤: ٧٥٨).

أيضاً آبار وقنوات وبرك كثيرة بعضها حارة، وفي طرفها عمارة شبه الحمام ولكن الجميع مجّ أجاج، ووبئ آسن، تستقي منه البساتين ولا يدخل شيء منه إلى البلد، وبعد الفراغ من السير وبعض السير رجعنا إلى محلّنا أزيّف الظهر.

خبر وفاة الشيخ الخراساني شهداء

وفي هذا اليوم عصرّاً وردتنا من النّجف مكاتب من بعض أعزّة إخواننا - حرس الله سعادتهم وأدام مودّتهم - وفيه أخبار موحشة، ووقائع مدهشة، أشدّها وأوجعها، وأمّصها وأفطعها، خبر تهاجم الدولتين الغاشمتين الظالمتين، والحوثين المحتالتين، الدّب الروسي، والدّب البريطاني، كبحت آمالهم ولا نجحت أعمالهم، وضلّ سعيهم في الحياة الدنيا كما ضلّ في الأخرى.

ومن المدهشات أيضاً خبر وفاة الأستاذ الشهير ^(١) الذي ملأ صيته الآفاق، وانعقدت الخناصر على أنّه الحائز في التحقيق قصب السباق، المجدّ في ترويج الدستور والحرية في دولة إيران، تلك الحرية التي حظلت نخلاتها، وساءت ثمراتها، ووخمت عاقبتها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق من آية ٩] وصار الأمر فيها على حدّ قوله:

مثل الحمار مضى يروم لرأسه قرناً فعاد وماله أذنان ^(٢)

ولا يختلجن في وهمك أنّي أريد الغضّ من الحرّية والغميزة فيها، لا وكلا؛

(١) هو الآخوند الملام محمد كاظم ابن الملام حسين الخراساني النجفي. (توفي سنة ١٣٢٩هـ - ١٩١١م). علامة إمام بل حجة الإسلام وآية الله في الأنام، بلغ عدد تلاميذه أكثر من ألف تلميذ. ظ: (النقاء ١٧: ٦٥ - ٦٨).

(٢) لم أعثر على قائله.

ولكن أين الحرية؟ وأين النفوس المستعدة لها؟، والطباع الصحيحة القابلة للتناول منها؟ وهل هو إلا كسقي الألبان للمزكوم، وإطعام الحوامض للمحموم، يريد به وهو يرديه، ويهواه وفيه مهاويه - فإننا لله وإننا إليه راجعون - والحديث شجون:

فمطاع المقال غير سديد وسديد المقال غير مطاع^(١)

والغرض أنني من حين الوقوف على تلك الوقائع والفجائع، ألجم آلكمد فمي بلجام عن الطعام والكلام، وبت - سلمك الله - بليلة السليم^(٢)، أراعي على ما يزعمون (بنات السديم)، تتدافعني الحسرات إلى أخواتها ولا تتمنى النفس سوى منيَّاتها، وكنت أقول لمن بحيالي، وللوسائل عن أحوالي: أما - وعزة الله - أنني لا أرى الآن شيئاً أشهى إلى نفسي من الموت؛ إذ لا أجد في الحياة إلا تجرع سموم الحيات، كيف لا - وأعزك الله - وأن أولئك الأفزام الطغام، لا تزال تنهش لحومنا وتعرقها عرق الكلاب للعظام، وقد تركتنا (لحماً على وضم)^(٣)

ونفضتنا من شرفنا نفص الودام، فكيف يَلدُّ العيش للغيور، أو يطيب له معهما المقام:

كيف الحياة مع الحيات في سفت^(٤)

(١) ظ: (شرح ديوان أبي فراس الحمداني ص ٢٩٠).

(٢) السليم: لملدوغ.

(٣) أفاد من قول أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قال: النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه.

ظ: (مستدرك الوسائل ١٤: ٢٥٣).

والوضم: الخشبة التي يوضع عليها اللحم، تقيه من الأرض. أراد أننا من الضعف مثل ذلك

اللحم الذي لا يدفع عن نفسه إلا من يذب أو يدفع عنه.

(٤) لعبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بـ (ابن العسال)، وصدره:

ونحن بين عدو لا يفارقنا

ظ: (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٤: ٣٥٢).

نعم.

وغاية الشيء تُدْرَى من مبادئه^(١)

ولقد كان ذو النظر النافذ، والرأي الثاقب، الذي يبصر عواقب الأمور من خلال الستور، لا يرتاب في نزول هذه الزلازل الفادحة التي تقضي على شرف الإستقلال بل تأتي على مهجة الإسلام وروحه، وتجعلها فريسة للذئاب العادية التي هي لها بالمرصاد، ولكن كُنَّا نسأل من لا يُغلب على أمره، أن ينسأ^(٢) ذلك عن آجالنا أو يقدم آجالنا عليها، كي لا نرى مثل هذا الرزء الفادح، والخطب الجلل، ولكن سبحان من لا تبدل حكمته الوسائل، وهو غالب على أمره، وإنَّا لنعوذ به من اليوم الذي هو شرُّ من هذا:

مَا أَنْ دُفِعْتُ إِلَى زَمَانٍ آخِرٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى الزَّمَانِ الْأَوَّلِ^(٣)

مكتبة عارف حكمت

والقصارى أنه لما تكاثفت عليّ غيوم الغموم، وتكتفتني هوام الهموم، وجزعت من الدنيا وصارت عليّ كحلقة خاتم، وجفلت حتى عن عمل البر من الدعاء والزيارة، طفقت أطلب لنفسي ما تتعلل به وتستريح إليه من أوجاع تلك العلل، فتنهت إلى الحضور في خزانات الكتب النبوية، وصرف شطر من الزمان

(١) لم أعر على قائله.

(٢) ينسأ: يؤخر.

(٣) البيت لأبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني.

في الديوان (وصلت) بدل (دفعت).

ظ: (ديوان الأرجاني ٣: ١٠٥٩).

فيها تسلية للنفس وترويحاً لها بأعزّ شيء عليها، وأحبّ النفائس إليها، ففزعتُ إلى أعظمها وأشهرها وهي مكتبة شيخ الإسلام في الاستانة (عارف حكمة)^(١) من أعيان أوائل القرن الثالث عشر، ومكتبته إلى جنب (الحرم النبوي) ممّا يلي (باب جبرئيل عليه السلام) و(مشهد عثمان بن عفان)، وهي عبارة عن إدارة كبيرة، ودار واسعة فيها محلات متعددة وفسحة منتزه، وموضع الكتب منها حجرة كبيرة مرتفعة مفروشة بأزین الأفرشة وأحسن الأقمشة، والكتب في صناديق من الأخشاب الصنيعة بأليق الصناعة، والأبواب من الجام المرمرى، وبرنامجها عبارة عن ثلاثة مجلدات كبيرة في عرض طبقة من المهارق في ترتيب فائق وتنسيق رائع، كل علم على حدّه مرتب ذلك العلم على الحروف الهجائية، وفي الصفحة جداول عدد النمرة، واسم الكتاب، واسم مصنّفه بترجمة مختصرة، وعدد صفحاته، وذكر جملة من أوّل دياجة الكتاب وآخره، وهي تشتمل على كافة العلوم، حتّى الرمل، والجفر، والحروف، والزايجة؛ فضلاً عن مثل الحساب، والهندسة، والتسطيح، والكرات، والأسطرلاب؛ بل وحتّى العلوم الطريفة على طرزها

(١) أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت بن إسماعيل رائف باشا [الشریف الحُسَيْنِي] (١٢٠٠ - ١٢٧٥ هـ = ١٧٨٥ - ١٨٥٨ م)، قاضٍ تركي المنشأ، اشتهر بخزانة كتب عظيمة له في المدينة المنورة، تعرف إلى اليوم بمكتبة (عارف حكمت). تقلّد قضاء القدس، ثم قضاء مصر، فقضاء المدينة المنورة، وانتهى به الصعود إلى أن وليّ مشيخة الإسلام في الآستانة سنة ١٢٦٢ هـ له نظم باللغات العربية والفارسية والتركية، وكتاب بالعربية سماه (الاحكام المرعية في الأراضي الأميرية)، و(مجموعة تراجم) لعلماء القرن الثالث عشر، وله (ديوان شعر - ط) بالعربية والتركية والفارسية. وللشهاب محمود الألوسي كتاب في ترجمته سماه (شهبي النغم في ترجمة عارف الحكم - خ).

الحديث، كالجغرافية، والتعليمات العسكرية، وأمثالها، وغير ذلك من نظائرها.

أما عددها فنفس العدة التي أوقفها ذلك الشهم الغيور العارف، وجاء بها من الآستانة إلى تلك البقعة المقدسة، فثلاثة عشر ألف كلّها من نفائس الكتب القلمية المجدولة بأنواع الذهب، وأحسن الزينة، وأجود الخطوط، وأكثر الكتب مخطوطة وهي حتى الآن غير مطبوعة ولا متداولة، وفيها ما لم نسمع به فضلاً عن عدم رؤيته، ثم أضيف لها عدة من بعده لم تدخل في البرنامج، وهم مشغولون في تجديد برنامج للجميع، وفيها عشرة من العملة الموظفين لمراعاتها والمحافظين عليها وخدمة الواردين إليها، ولكل واحد منهم راتب يُجرى له كل شهر من أوقاف في الاستانة من ميراث ذلك الشهم، يبلغ ما يجري عليها كل شهر للمحرّر، والمدير، والمجلّد، وغير ذلك ما يزيد على مائة ألف قرش (مائة ليرة)، ومكثتُ هنالك أكثر من خمس ساعات، صرفتُ ساعتين منها في مطالعة البرنامج، ثم طلبتُ من القائمين هناك بعض الكتب فأحضروها بلا مهلة حسب (النمرو) وكل كتاب منها رأيتُه عشقته، ووددتُ أنني فارقته كل شيء وما فارقته، فمما نظرتُ فيه كتاب (البرهان في إعجاز القرآن) للزملكاني^(١)، من خطوط القرن السابع، وتصانيف [أخرى]، وهو فضلاً عن حسنه الجوهريّ، وتفوّقه الذاتي مزين بالمُحَسَّنات العرضية من جودة الخط والزينة الذهبية،

(١) محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم الأنصاري كمال الدين أبو المعالي الدمشقي الشافعي المصري قاضي حلب المعروف بـ(ابن الزملكاني)، (ولد سنة ٦٦٧ هـ - وتوفي سنة ٧٢٧ هـ). له من التصانيف (البرهان في إعجاز القرآن).

ورشاقة الجداول، وقد نظرتُ في عدّة من فصوله، فأعجبني وأنسني، وكان موضع نظري منه كريمة قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجَنِّ﴾ [الانعام من آية ١٠٠]، وبيان نكتة التقديم في شركاء، وفوتها مع التأخير الذي هو على الأصل، ومن كتبها النَّفِيسَة (التحفة الشاهية)^(١) و(نهاية الإدراك في دراية الأفلاك) للقطب الشيرازي^(٢)، وأكثر كتب سلطان المحققين (نصير الدين الطوسي)^(٣)، - شكرتُ مساعيه الجميلة - والجميع على ذلك الطرز البديع الفائق في مجلدات رائعة، وتحسينات شائقة، وعلى أوائل أوراق كافة تلك الكتب طرة كبيرة فيها صورة وقفيتها على (الحضرة النبوية)، واشتراط عدم إخراجها من ذلك المحلّ الخاصّ،

(١) التحفة الشاهية: للسيد الأمير عبد الرحيم بن محمد الحسيني الجرجاني المعاصر للسلطان شاه طهماسب الصفوي، ألفه في مشهد عبد العظيم عليه السلام في سنة (٩٧٨ هـ)، ربّته على خمسة مقاصد وخاتمة (١) في الطهارة (٢) في الصلاة (٣) في أمان الكفار (٤) في أحكام الأسارى (٥) في اللقطة، والخاتمة أيضا في بعض مسائل اللقطة.
ظ: (الذريعة ٣: ٤٤٤).

(٢) (قطب الدين) محمّد بن مسعود بن مصلّح الشيرازي. حكيم، فلكي، طيب. ولد بشيراز سنة (٦٣٤ هـ)، ودخل بغداد، ودمشق، ومصر، واستوطن بالآخرة في تبريز إلى أن توفي سنة (٧١٠ هـ). من آثاره: (شرح مفتاح السكاكي)، (شرح حكمة الاشراق) للسهروردي، (نهاية الادراك في دراية الأفلاك)، رسالة في بيان الحاجة إلى الطب وآداب الأطباء ووصاياهم، (رسالة في البرص)، و(التحفة الشاهية في الهيئة).
ظ: (معجم المؤلفين ١٢: ٢٠ - ٢١).

(٣) محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي (٥٩٧ - ٦٧٢ هـ = ١٢٠١ - ١٢٧٤ م): فيلسوف، كان رأسا في العلوم العقلية، علامة بالارصاد، والمجسطي، والرياضيات، علّت منزلته عند (هولاكو) فكان يطيعه فيما يشير به عليه، صنّف كتباً جلييلة وكثيرة.
ظ: (الاعلام ٧: ٣٠).

وانتقاع العام بها والخاص، وفيها ذكر اسمه ولقبه ولواحق ذلك، ويظهر أن ذلك الشهم من ذوي الفضل والكمال، وله خطٌ حسن رائق وعدد من تلك الكتب بخطه، وفي حجرة التنفس الموضوعة للإستراحة، وشرب الدخان، قطعات كثيرة في خطوط مختلفة جملة منها بخطه العريض في واحدة منها هذا البيت يشير إلى لقبه وفضله:

توسّم والدي في المَزايا فحين وُلدتُ لِقَبّي بعارف

وبالجملة فهي من الكتابخانات الجليّة، والمطبوعات فيها قليلة، ولا أحسب أن لها مثني في هذه الصفحات من العراق، والشام، والحجاز، وإن لم تكن في صف الكتابخانات الشهيرة: ك(الخدوية)^(١)، وكتب خانات (الاستانة) نفسها؛ فضلاً عن مثل (باريس) واخواتها على التسامع، سهّل الله سبل العلم ونشر ألويته، وكثر المتعلّمين بها والمتأدّبين - إن شاء الله تعالى -.

من المدينة إلى الشام

وفي يوم الأربعاء ٢٠ في المحرم عزم الرفاق على الرحيل، ومجموع أقامتنا هذه الدفعة في المدينة عشرة أيام، وكنتُ أودُّ البقاء إلى الجمعة، ولم أزلُ أطارحهم الحديث في ذلك وأراجعهم فيه فلم يتفقوا ولم يتوفقوا، ولم نجدُ بداً

(١) المكتبة الخديوية أو دار الكتب المصرية: أسست سنة (١٢٨٧ هـ - ١٨٧٠م)، وذلك حينما عرض الوزير علي باشا - كان من علماء عصره - على إسماعيل باشا، أن يجمع الكتب من المساجد في مكان خاص يقيها من عبث العابثين وشرّ الجهلة الطامعين، فاعدّ علي باشا لها مكان خاصاً في سراي درب الجمايز، وجعل بجانبها مدرسة خاصة سماها (دار العلوم).
ظ: (خزائن الكتب العربية في الخافقين، لطرازي ١: ١٩١ - ١٩٧).

من موافقتهم فمضينا لزيارة الوداع، وبعد صلاة الظهرين في الحرم النبوي فرغنا إلى البقعة الطاهرة في (البقيع)، فودّعنا وسألنا الله تعالى بحقهم التوفيق للعود، ثم العود إليهم، ثم خرجنا والعيون عبرى، والقلوب حرّى أسفاً على فراق تلك البقاع المقدّسة، والعتبات العالية، وكانت الأثقال قد خرجت إلى المحطة أمامنا فأتيناهما، وبعد الدخول في الحجر ومشبكات الحديد، ودفع الرسوم وأخذ البطاقات الرسميّة، وتحملّ سوء معاملات المأمورين وغلظتهم وخشونتهم مع عامّة الحُجّاج، ووزن أثقالهم وأخذ الكرى عليه من أكثرهم، وما فرغنا من تلك المصاعب والمتاعب الباهظة إلّا وقد تولّى شطر من أوائل الليل ونحن تحت السماء، والأثقال مُتفرّقة في تلك الفسحة، وموعد السير صباحاً، وبعد الصلاة وتناول ما تيسّر من العشاء، نقلنا أثقالنا إلى الفرقون وبتنا ليلة الخميس ٢١ المحرم فيه بأشدّ الضيق، وغاية الازدحام، ثم أصبحنا ولم يتحرّك إلّا وقد ارتفع النهار وبلغت الساعة الرابعة ونصف، وعندها اندفع بنا البخار وأخذ ينساب بين الشعاب ويتخلّل الهضاب، ويطوي بساط الأرض طيّ السجلّ، ويرينا علم طيّ الأرض، وكُنّا نحسبه من قبيل الفرض على أنّه لم تكن حركته في هذه الدفعة نهائية، وكان معدّل حركته في الساعة طيّ مسافة ثلاث ساعات ونصف إلى أربع، حسب الكيلوات المرقومة على أعمدة الطريق طول المسافة، وبين كل محطة إلى أخرى يختلف المقدار في الزمان، وإن اتفق في المسافة؛ وذلك لاختلاف الحركة سرعة وبطوء؛ حسب اختلاف الأرض صلابة ورخاوة، كما أنّ وقوفه في المحطّات يختلف مقداره حسب حاجياته فقد يتوقف بما لا يزيد على خمس دقائق، وقد يزيد على الساعتين بل الأربع كما في النقاط المُهمّة كـ(مدائن

صالح) ونحوها، ومضى علينا نهار الخميس وليلة الجمعة ونهارها وإلى الساعة الثالثة ونصف من ليلة السبت ٢٢ المحرم بلغنا (تبوك) وهي نصف الطريق تحقيقاً، وكان المجموع عبارة عن ثلاثين محطة في نهارين وليلة.

وهاك تفاصيل أسمائها وذكر أوقات وصولنا إليها حسب إحصائنا، وإن كنت لا أدعي تمام الإحاطة إلا حسب الجهد وهي:

عددها	أسماء المحطات	أوقاتها بحسب الساعة
١	المحيط.	بعد ساعة من الحركة - ٥
٢	حُقَيْرَة ^(١) .	بعد نصف - ٦
٣	ليبد.	بعد - ٦
٤	آبار نصيف: وفيها قلعة قديمة.	بعد - ٧
٥	بؤيرة	بعد ساعة ونصف ٩
	محطة ^(٢) : حولها جبال شاهقة	
	عليها قلعتان وبرج مشيد من	
٦	العمارات القديمة يزعمون أنه من	بعد تعطيل في المحطة فلم نصل إلا في
	بناء (عنترة العبسي) ويسمونه	الحادية عشرة ١١
	(اصطبل عنترة).	
٧	أبو النعيم.	١١

(١) الحُقَيْرَة: تصغير حفرة، جبل وواد غرب جبل عَمْرَة بينهما الطريق من المدينة إلى الشام.

ظ: (معجم معالم الحجاز ٣: ٤٨٥ - ٤٨٦).

(٢) عَنَتْر: محطة لسكة حديد الحجاز على (١١٣) كم شمالي غربي المدينة المنورة، ويسمونها

(اصطبل عنتر)، واقعة في ديار ولد محمد من حرب.

ظ: (م. ن. ٦: ١٢١١).

٨	هَدْيَة ^(١) .	١٢ الغروب
٩	ذهب عَنَى اسمه	٢ من ليلة الجمعة ٢١ محرم.
١٠	المُدْرَج ^(٢) .	٤
١١	طُورَة ^(٣) .	٥
١٢	البئر الجديد.	٦
١٣	المشهد ^(٤) .	٧
١٤	سهل مطر ^(٥) .	٨
١٥	البدائع ^(٦) .	٩

(١) هَدْيَة: كانت محطة للجمال ثم صارت محطة لسكة الحديد في وادي الطَّبَق، وتقع المحطة على (١٦٩) كم شمال المدينة بينها وبين العلا. وقد نسب بعض الرحالين الوادي إليها فسماه وادي هدية وهو خطأ.

ظ: (م. ن. ٩: ١٨٢٨).

(٢) المَدْرَج: محطة لسكة حديد الحجاز على (١٨٦) كم شمال المدينة إلى الغرب.
ظ: (م. ن. ٨: ١٥٢٨).

(٣) الطُّورَة: محطة لسكة حديد الحجاز، شمال المدينة على (٢١٢) كم.
ظ: (م. ن. ٥: ١٠٧٣).

(٤) مَشْهَد: محطة لسكة حديد الحجاز جنوب العُلا، على (٢٩٠) كم شمال المدينة.
ظ: (م. ن. ٨: ١٦٠٦).

(٥) وتسمى (سَهْلُ المِطْرَان): أرض بها محطة لسكة حديد الحجاز على (٢٦٨) كم شمال المدينة.
ظ: (م. ن. ٤: ٨٥٨).

(٦) البدائع: وهي قرية لبلي في وادي الجزل على ضفته الغربية قرب المروة. محطة لسكة الحديد قرب العُلا على (٣٠٣) كم شمال المدينة، منها يفترق الطريق إلى الوجه على الساحل.
ظ: (م. ن. ١: ١٧٦).

العلی ^(١) : ذاك المنزل الأنیق	
١٦	والبساتین الرائعة وبساط البقاع الأخضر، واللیمون والفواكه التي لم یساعد الوقت لتناول شيء منها
١٧	مدائن صالح، وخلفه مبركة الناقة. ٢ بعد الشمس ساعة من نهار الجمعة
١٨	جبل أبو طاقة ^(٢) . ٣
١٩	مطالع ^(٣) . ٧ أول الظهر
٢٠	دار الحمراء ^(٤) . ٨
٢١	خشم صنعاء ^(٥) . ٩

(١) العَلَا: وهو اسم لموضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام، نزله رسول الله ﷺ في طريقه إلى تبوك وبني مكان مصلاه مسجد...
ظ: (معجم البلدان ٤: ١٤٤ - ١٤٥).

وقال البلادي في معجمه ٦: ١١٩١ - ١١٩٢: كان بلدًا زراعيًا فتطور اليوم فصار مدينة فيها كل مرافق الدولة مثل: الإمارة، والمحكمة، ومستشفى حديث، ومدارس للبنين والبنات، وشرطة، ومركز زراعي. يمر فيها طريق سكة حديد الحجاز... وهي مشهورة بكثرة نخيلها وجودة ثمرها...
(٢) أبوطاقة: محطة لسكة حديد الحجاز شمال مدائن صالح على (٣٧) كم، والأصل جبل واقع في ديار عنزة.

ظ: (م. ن. ٥: ١٠٥٢).
(٣) وتسمى (المُطَّلَع): محطة لسكة حديد الحجاز من مدائن صالح على (١٥) كم، واقعة في الشمال الغربي من ديار عنزة.
ظ: (م. ن. ٨: ١٦١٤).

(٤) دار الحمراء: محطة لسكة حديد الحجاز جنوب تبوك على (١٨٨) كيلاً...
ظ: (م. ن. ٣: ٥٩٩).

(٥) صنعاء: محطة لسكة حديد الحجاز، جنوب تبوك على (١٦١) كيلاً، وصنعاء: هو جبل يقع على المحطة يعرف بـ(خشم صنعاء).
ظ: (م. ن. ٥: ١٠٠٦).

٢٢	بركة المعظم ^(١) : نسبة إلى (إمام الحنفية) ^(٢) ، وكانت تنزله القوافل قبل السيكة وفيه بركة ماء كبيرة تملؤها الأمطار طول السنة وهي الآن ناحية عن السيكة.	١٠
	(تسعد): ويكتبونه (ديسعد) وأظنه تصحيف (دير سعد)، ذو الماء	١
٢٣	العذب الذي ليس في طول الطريق كحسن مائه.	
٢٤	(الخميس).	
٢٥	(الأخضر).	١١
٢٦	(محطة البغاز).	١٢ بعد المغرب من ليلة السبت ٢٢ محرم
٢٧	(دار الحج) ^(٣) .	١ من الليل

(١) المُعْظَم: من التعظيم . سهل واسع جنوب تبوك على قرابة (١٣٠) كم، تسيل فيه أودية كبا من حرة العويرض جنوباً، ومن حرة الرهاة من الغرب، ومن جبال الفرو والرضيم والرحل والزبد، ثم يتكوّن منه قاع كبير يعرف بقاع المعظم، وفيه بركة ضخمة باسمه أيضاً، ومحطة للسكة الحديد مشهورة في هذه الديار، عليها قلعة تعرف بقلعة المعظم، والمحطة: محطة المعظم.
ظ: (م. ن. ٨: ١٦٢٣).

(٢) والبركة منسوبة إلى الملك المعظم عيسى بن العادل.
ظ: (م. ن. ٨: ١٦٢٣).

(٣) دار الحج: محطة لسكة الحديد جنوب تبوك على (٥٢) كم بين الأخضر والأنيلي، وجميع المحطات بين المدورة ودار الحج هي في ديار بني عطية.
ظ: (م. ن. ٣: ٥٩٩).

٢٨	(قُرَيْن الغزال) ^(١) .	٣
٢٩	(وادي الأثيل) ^(٢) .	٣
٣٠	(تبوك) ^(٣) .	٤

وحين وقف القطار، وسكن البخار، في (محطة دار الحج) سمعنا صوت رجل مصريّ ينشد وينادي بصوت حرّان، ولوعة ولهان، كناشد أعزّ ضالة له، صارخاً يا بنت عمّي يا (حاجيّة نفيسة)، وطفق يأتي سائلاً من كلّ الفراقين، فأنحدرتُ إليه وسألته ما الخبر؟ فقال: نزلتُ مع زوجتي وابنة عمّي في محطة (الأخضر)؛ لنستقي الماء فجاء إلينا أحد العساكر وأرجعها بزعمه إلى الفرقون، فلما حملتُ الماء وجئتُ إلى موضعي لم أجد عرسي، ثم تحرّك الوابور ولم يمهلني، فقلت: لعلّه وضعها في أحد الفراقين اشتباهاً من ظلمة الليل وأنا أطلبها الآن في الفراقين فلا أجدّها، وصار يذكر جمالها، وولوعه بها، وأنّه تزوجها هذه السنة وجاء بها إلى الحجّ، ولا أدري ما الذي جرى وأجرى دموعي عليها، فرجعتُ وأنا أرثي له متوجعاً، وأتظلم متفجعاً، فقال بعض الرفاق وقد أندفع بنا البخار: ألا نُورّحها؟ وجرى على لسانه شطر لم يطابق، ثم أنشأ حضرة الأخ الشريف - دامت حراسته - قائلاً:

أَتَيْنَا مَنْزَلاً فِي جُنْحِ لَيْلٍ بِهِ الْمِصْرِيُّ قَدْ سَرَقُوا عَرُوسَهُ

فأخذتُ القلمَ وأتممتُ نظمَ القِصّةِ والتاريخِ على الفور قائلاً:

(١) ظ: (م. ن. ٢: ٢٥٧).

(٢) (واد الأثيلي): وادٍ تقطعه سكة حديد الحجاز جنوب تبوك على (١٥) كم، كثير الأثيل، عليه جسر عظيم للسكة الحديد، رأسه من حرة الضيّقة فيسمّى بها أو تُسمّى به....

(٣) ظ: (معجم معالم الحجاز ٦: ١٢٥٨ - ١٢٥٩).

فظل مناشداً عنها بصوتٍ يصدع كل مستمع حسيه
 ينادي من أحسّ بينت عمي فلسْتُ أرى سواها لي أنيسه
 مهألم تبلغ العشرين سنأً نفى بنعيمها الجنديّ بؤسه
 تقول هي الغزالة في أناس سنأً أو دمية هي في كنيسه
 تناهبها العساكر باختلاس فياليت المنيّة لي خليسه
 عليّ احتال مختلساً فولّى بها عنّي لشهوته الخسيسه
 بنيت بها بهذا العام لكن لبيت الله جئتُ بها حبسه
 وبعد ذهاب ذاك العرض منه غدى وقناته طولاً كبسه
 شنائع ليس تفعلها يهود بمسلمة ولا الأمم المجوسه
 وناح مؤرخاً تاريخ صب بدار الحجّ قد سرقوا نفيسه

١٣٣٠هـ

وبقي المصريُّ ينتظرها عسى أن تأتي بها القطارات اللاحقة، ولمّا وردنا
 (تبوك) بعد الثلث الأول من الليل، انخلعتْ المكيّة من قطارات الفراقين وهي
 ثلاثة عشر، في كل واحد ما يقرب من أربعين نفراً، طول كل واحد عشرة أمتار
 في عرض اثنين تقريباً، وكان في الفرقون الذي نحن فيه ما يقرب من خمسة
 وثلاثين، كلّنا - بحمد الله - من وطن واحد، ونحلة واحدة، ما فينا خارجي، أمّا
 المكيّة فاندفعتْ إلى المحطّة في مركزها وهي إلى قبالة بلد (تبوك) وبساتينها،
 وألقتْ تلك الفراقن التي تنساب خلفها انسياب الثعابين بل كهضب الحديد
 مشحونة بالعدّة من الأمم والعديد، ألقتها إلى جنب الحجر الصحي (قردون) وهو

عن البلد والمحطة قدر ميلين، فبتنا تلك الليلة ليلة السبت في مواضعنا المتضايقة، وانحجزنا فيها انحجاز الوحش في جُحره، حتّى أصبحنا ننتظر عمليات الصحيّة فينا بل بليّاتهم علينا، عافاك من خلع ثيابنا وتبخيرها وإلباسنا تلك الخرق الخَلِقة المصبوغة بالأفذار والأوساخ، والشريف والوضيع سواء فيما يمحصّون به الناس من البلاء، فبقينا تلك الليلة وصبح ذلك النهار حتّى الزوال مصبّرين لا ندرى ماذا يُراد بنا، وبعد الزوال أخرجونا من الفراقين ولم يبقَ فيها من ذى حجم سوى الأثقال، وجرى علينا ما سمعته آنفاً، ولكن في هذه الدفعة كظّنا البرد الشديد، وكانت الريح شماليّة عاصفة فيها صرّ ناهس^(١)، وقرّ قارس^(٢)، وقد لوحتُ بجسومنا السبرات^(٣)، وكلحتُ بوجوهنا الزعازع التي هي أحدّ من الشفرات، وكنا إذ ذاك في أهون ثيابنا وأخفها حتّى مضى علينا أكثر من ثلاث ساعات، حتّى فرغوا من العمليات وأدخلونا مشبكات الحديد (القردون)، ثم بعد حين أتونا بأسبابنا المتخلفة في الفراقين، فنقلناها إلى مواضعنا، وبقينا نحتسب الساعات والدقائق لتمام المُدّة وهي ثلاثة أيّام، فبتنا ليلة الأحد وليلة الإثنين والثلاثاء وفي صباحه جمعنا الأسباب وقوَّضنا الخيام، وبقينا حتّى الآن ننتظر قدوم الفرقونات لتحملنا إلى الشام بقية النصف الآخر، وكان في الخيمة التي إلى جنبنا رجل تركيّ جاء في أحد فراقين قطارنا ونزل إلى جنبنا، وهو ذو شيبة بهية وشارة حسنة، فكان كل صباح يأتي إلى مخيّمنا ويطيل الحديث والجلوس أنساً بنا، وكان محترماً بين المأمورين الموظفين، فذكر أنّ أصله من (ديار بكر)، وأنّه منذ

(١) النّهس: ضرب من الصرّد.

(٢) القرس: البرد الشديد.

(٣) السبرات: جمع سبرة، وهي شدّة البرد.

ثمانية عشر [عاماً] في الاستانة أحد أعضاء الرسومات هناك، معاشه خمسٌ وأربعون ليرة، وآسمه (محمّد رفعت أفندي)، ولكن لم يكن يحسن من العربية شيئاً، ويعرف قليلاً من الفارسيّة، وذكر أنّ (السلطان سليم) كان مُصِراً على أن يجعل اللسان الرسمي ومحاورة كافة المأمورين والمستخدمين، وكتابة كل القيود والدفاتر كل ذلك عربياً، فلم يُوفّق لذلك بعد أن أجهّد نفسه فيه، وذكر أنّه ورد (مكّة الشريفة) أوائل شوال وأنزله الشريف - لصداقة له معه في الاستانة أكيدة - في أحد الرواشن المتّصلة المطلة على (المسجد الأعظم)، وذكر أنّ إحصائيات الوفيات كل يوم في الموسم بـ(مكّة) كانت ثلاثمائة أكثر من النصف بالقوليرة [الكوليرا] - عافانا الله - والباقي بأمراض مختلفة.

وبالجملة كان يحدثنا عن جملة من شؤون الاستانة وسياسات المملكة وأحوال الدول مع الدّولة العثمانية إلى غير ذلك من تفاريق المواضيع، ومن غريب ما حدّث به من أحوال السيّكة الحجازيّة، أنّ الدّولة تدفع إلى الأعراب التي في نواحيه من حروب وغيرها أربعين ألف ليرة ذهب موظفاً في كل شهر، وأنّ السيّكة بين الحرمين قد عيّنت مصاريقها وأحضرت آلاتها وأسبابها في (جُدّة)^(١)، حتّى المهندس منذ سنة مقيم في (جُدّة) ويجري له المعاش،

(١) جُدّة: تبعد ٧٣ كم غرب مكّة، و ٤٢٠ كم جنوب المدينة، ولها مع كل منهما طرق معبدة،

وعلى نظام القوافل القديم تبعد عن مكّة مرحلتين، وعن المدينة عشر مراحل.

وهي مدينة رائعة العمران والتنسيق، وهي الميناء الرئيسي اليوم في الحجاز، يؤتى لها من ثلاث وسائل: البر، البحر، والجو، ومطارها عالمي تحط فيه جميع الطائرات، وتجاريتها تسيطر على معظم الجزيرة العربية، وتعتبر العاصمة الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية، حيث فيها مقر وزارة الخارجية وجميع السفارات الأجنبية ...

ظ: (معجم معالم الحجاز ٢: ٣٤٤ - ٣٤٨).

والشريف يماهل في ذلك لما في ذلك من الضروريات الطائلة ولا يتمكنون من إعمالها بدون مساعدته.

وفي ضحوة اليوم الثاني من دخولنا الحجر الصحي سمعنا ونحن في الخيمة قائلاً يقول: ها قد جاءت المِصْرِيَّةُ وهي تنشد زَوْجَهَا الْحَاجَّ (أحمد المِصْرِيَّ)، فخرجنا فوجدناها وراء الشبكة وحولها جماعة من الناس ينظرون إليها، ويستبرؤون خبرها، وَمَنْ وقع النظر عليها أبصرناها جارية سمراء مليحة في إحدى عينيها خوص، والسماع عنها كان فوق العيان، وبعض الرفاق استكرهها وأوغل في تهجينها وأسف على ما تقدّم من الأبيات فيها، واستدعي ملتماً نقضها فقلتُ عن لسانه:

وجارية ظننتُ لها جمالاً	وقد خابتُ بها منّي الظنونُ
نُعْمَنُ بذكرها الأسماع حتّى	بدت فشقتُ برؤيتها العيونُ
نظمنّا رائق الأشعار فيها	وبعض الشعر إفكٌ أو جنونُ
تسمّت بالنفيس كما يُسمّى	بكافور لك العبد الهجينُ
ورب اسم يروقك منه لفظٌ	على معنى يروعك لويينُ

ثم اختلفتُ الانتقال عن شأنها، وكثرتُ الأقاويل، ورجمتُ الظنون، والله وليّ أمرها وإليه المفرع في أن يمنّ بسترنا وسترها، إنّه جميلُ الستر عليمٌ بما في السرّ وهو أرحم الراحمين.

الساعة العاشرة من نهار الثلاثاء ٢٥ المحرم فتحو لنا باب القردون وأطلقوا لنا الأذن في الخروج، فأخرجنا الأثقال وطرحناها على حاشية السيّكة، وبعد قليل

أتونا بالفراقين فاحتملنا إلى المحطة في قبالة البلد والبساتين، وبعد نصف ساعة اندفع بنا من أرض (تبوك)، وكان مدة تعطيلنا فيها أربعة أيام في أربع ليالي، ولولا هذه العقبة السيئة لكانت هذه السكة حسنة مشكورة وبدلاً مبرورة، وهي الآن على ذلك كله فيها من التسهيل والاستراحة، وتهوين الشديد وتقريب البعيد ما يستوجب لله الحمد والشكر، ولهذه الدولة الدعاء إليه تعالى أن يوفقها لأمثال هذه الحسنات الجالبة راحة العموم والمنافع الطائلة للملة والدولة.

المحطات من تبوك إلى الشام

أما المحطات من (تبوك) إلى (الشام) فإليك ذكر أسمائها على نهج ما سبق حسبما تيسر لنا الوقوف عليه، ولئن فاتنا شيء فلا يتجاوز الاثنين أو الثلاث، ولعل في بعضها تقديماً وتأخيراً، أخطأه التحري، وفاته الضبط، ثم إن معدل المحطات من واحدة إلى أخرى مع توقفها في المحل لا يزيد عن ساعة، فنحن نذكرها درجاً والأوقات تُعلم على ذلك القياس.

اندفع البخار بالقطار العاشرة ونصف من عصر الثلاثاء ٢٥ المحرم من (تبوك) إلى ١. (المحطب). ٢. ثم إلى (الخرم)^(١). ٣. إلى (بئر هرمس)^(٢). ٤. إلى (ذات الحج)^(٣). ٥. إلى (المدورة). ٦. إلى (رملة). ٧. إلى (تل الشحم). ٨. إلى (بطن

(١) أنظر: (خرم) في معجم معالم الحجاز ٣: ٥٤١ - ٥٤٤.

(٢) كذا والصحيح (بئر بن هرماس).

(٣) كذا والصحيح (ذات الحاج): وهي قرية تقع شمال المنطقة على مسافة (٨٥) كم على مقربة من الحدود السعودية، وكانت هذه القرية عامرة في العصور السابقة من أشهر المعالم التاريخية في منطقة (تبوك)، حيث تمر بها قوافل الحجاج للاستراحة والتزود بالمياه، وزادت ←

الغول). ٩. إلى محطة لم أعرف اسمها. ١٠. إلى (العقبة). ١١. إلى (كور مقص). ١٢. إلى (بئر شديد). ١٣. إلى (غدير الحج).

وكان انتهاءه إلى هذه المحطة التاسعة من ليلة الأربعاء، وعند الدخول في مختلفات خطوط الحديد (مقص) قبل الوقوف على المحطة نفسها، أفلتت (الجروخ)^(١) من رباني المكيئة، ولم يكن مَكِيناً بها فزلت عن السِكَّةِ، وتعرقلت في الرمل والصخور حتّى غاص وتعرقل أكثر من نصف قطر (الجروخ)، فمكثوا هنالك حتّى الصباح، واستبرقوا البرقية إلى المحطّات التي أمامهم فجاءت إليهم المكيئة الصحيحة فوراً، ولكن أنّى له بتناول القطار ليسحبه وراءه؟! وقد حال بينهما ذلك الجبل من الحديد الذي تَمَكَّن في الأرض ولا يمكن اقتلاعه الألوف من الناس.

وبالجملة مكثوا طول ذلك النهار يجهدون، وهم عدّة كثيرة من العمّلة بأيديهم الآلات الحديدية القوية الفتاكة، وما أمكنهم إخراجها من هاتيك الحفرة، وإقالته من تلك العُترة إلّا بعد تفصيل أكثر أجزائه، وتحليل أغلب عقده، وما رفعوا غايته عن السِكَّةِ إلّا بعد الغروب، وكانت مسامحة ذلك الرباني وغفلته أو تغافله من نعاس أو سكر دقيقة واحدة، قضى بتعطيل ألوف من النفوس في الطريق ثماني عشرة ساعة، مع خسارات على السِكَّةِ طائلة، وفي الواحدة ونصف من ليلة الخميس ٢٧ المحرم اندفع بنا، حتّى أتى الثانية ونصف إلى بلد ١٤.

→

أهميتها بوصول سكة حديد الحجاز لها ...

ظ: (صحيفة الرياض اليومية الصادرة عن مؤسسة اليمامة) (العدد ١٦١٨٨).

(١) أي العجلات.

(معان): وهي البلد العامرة الكثيرة الفواكه، وأطال الوقفة هناك إلى السادسة من الليل، والباعة من الرجال والأطفال من أهل البلد تحمل إلينا الرمان المجمّد الجيّد، فنشتره بالسعر الواطئ جميعاً، ويأكل منه كل واحد منّا أكلاً ذريعاً؛ ولكن كانت النفوس مُكّمة، والخواطر كظيماً؛ حيث إنّ أخانا الشريف وهو شمع جمعنا أمسى - وعافاه الله - ذلك اليوم محموماً سقيماً، ثم اندفع نصف الليل إلى المحطّات التالية الذكر:

١٥. (وادي الجرذون). ١٦. إلى (عنترة). ١٧. إلى (جرف الدراويش)^(١). ١٨. إلى (الحسا). ١٩. إلى (فريفة). ٢٠. إلى (المنزل). ٢١. إلى (القطران). ٢٢. إلى (السواعة). ٢٣. إلى (خان الزبيد). ٢٤. إلى (ضيعة). ٢٥. إلى (زيزة). ٢٦. إلى (اللبن). ٢٧. إلى (عمّان).

وبين هاتين المحطّتين إلى التالية بعدهما وهي ٢٨. (الزرقة)، عمليات لتمهيد خطوط الحديد، وتسوية الطريق، وتعديل الأرض، كلّها شاهدة بعظيم العناء، وجليل الهمة، وبذل الأموال الطائلة، والنفوس الكثيرة في هذا المشروع، حيث إنّ كلّ تلك المسافة التي هي عبارة عن مسيرة أيام ليس فيها إلّا الجبال الشاهقة الصمّ، والأودية السحيقة، التي هي بمياه العيون ومجاري السيول فعم، فترى تلتوي على أطراف الجبل تارة، وتشقه من جزره أخرى، وقد يضطرّها الحال إلى نقبه والدخول في مغارته كما قد تضطر كثيراً إلى عقد قنطرة عظيمة أو مدّ جسر مستطيل من الصخور الصماء الرصينة بمحكم البناء، وقد دخل القطار اليوم قبل

(١) كذا والصحيح (حروف الدراويش).

الظهر قبل وصولنا لـ (عمّان) في نَقَب جبل قد عُقد طرفاه وسقفه بالصخر والبناء الهندسي الصناعي، وبقي يسير فيه عدّة دقائق، وصرنا في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج الرائي يده لم يكذِّ يراها.

وبالجملة لم نزل في تلك المرحلتين نشهدُ مشهداً رائعاً، وعناءً بارعاً، ولباقةً صنعة، ومظاهر عزٍّ ومنعة، من قلع جبل أو نقب أطواد أو إحداثها ونصبه في منخفض وهاد، أو عقد جسور وقناطر، قد تبلغ العشرين أسطوانة فأقل، وبعضها ذات مرتبتين في العلوّ وأكثر، والجميع في غاية الإتقان والقوة، ومع هذا فقد كانت تلك الهضاب والشعاب والوهاد والأطواد تسيّرنا وتنزّه أبصارنا بين رياض خضراء أو أرض معشبة نضراء، تتخلّل بينها أنهار من عيون جارية وسواقي على الرضراض مطّردة، والجوّ أرج النسيم، وبالسحب مطرّز الأديم، وكان ذلك اليوم أشرح نهار، وأفصح وقتٍ مرّ علينا، ثم اندفع بنا إلى المحطّات التالية:

٢٩. (خربة السمرة). ٣٠. (الفدين). ٣١. (المفرق). ٣٢. (نصيب).

٣٣. (الدرعة): وهي محطة كبيرة وفيها عمليات ومحلات للوابور عظيمة، وفيها تخرج شعبة من الخط الحديدي إلى (حيفا) خمس أو ست ساعات، وهي أحدى السواحل والاسكالات كـ (بيروت)، ولم نستقص أثرها؛ لأننا أتيناهما في أوائل العتمة، وكانت السماء بعد الظهر من يوم الخميس ٢٧ المحرم قد أرسلت السماء عزاليها^(١) واتصل سح^(٢) السحاب من الساعة الثامنة من ذلك النهار إلى ضحوة يوم الجمعة، قدر تسع عشرة ساعة، ثم اندفع من (الدرعة) إلى ٣٤. (تربة

(١) أرسلت السماء عزاليها: إذا جاءت بمطر منهمر.

(٢) سح: شدة انصبابه.

الغزاة). ٣٥. إلى (أزرع). ٣٦. إلى (المحجة). ٣٧. إلى (جب). ٣٨. إلى (جباب). ٣٩. إلى (مسمية). ٤٠. إلى (در علي). ٤١. إلى (كسوة).

وهذه الثمانية كلّها من ضياع (دمشق)؛ ولكن مررنا بها ليلاً والسماء تسحّ هطلاً، والأرض قد فاضت سيلاً، حتّى دخلنا محطة (الشام) الساعة الثامنة ونصف من ليلة الجمعة ٢٨ المحرم فركبنا العربية، ودخلنا (الشام) سحراً تلك الليلة، وجيء بالأثقال بعدنا.

فهذه اثنتان وسبعون محطة مع محطة (الشام)، والمراكز المهمّة منها المشتملة على عمليات كثيرة، ومحلات كبيرة، ومحطّات معدودة منها: (مدائن صالح)، و(تبوك)، و(معان)، و(عمان)، و(الدرعة)، وقد بلغت مُدّة سفرنا من (المدينة) إلى (الشام) تسعة أيّام كلّها من الإلحاقات والتبعات وإلاّ فالأصل ثلاثة أيّام بلياليها والله الحمد على تيسيره وتسهيله ونسأله - تعالى - أن يتم فضله ونعماءه علينا بتسهيل ما بقي كما مضى، إنّه وليّ الفضل والنعماء.

ثم لا يرحنّ عن الناظر في هذه المهارق^(١) والطروس؛ أنّه قد عنّ لنا في أوّل هذه المرحلة والجزوات أن نفرد المسائل العلميّة، والمذاكرات البحثيّة، عن أثناء ذكر مدارج الأسفار، ومناهج السير والسيار؛ حتّى ينتفع بكلّ أهله ولا يختلط بعض ببعض، ويشبه على بعض بعض، وبمعونة الله وإمداده سنفرد ما مرّ علينا في هذه المُدّة من المذاكرات التي يحسن إثباتها، ويليق ذكر طُرف منها - إن شاء الله تعالى - والله الحمد أولاً وآخراً، وعليه التكلان وبه المستعان وهو أرحم الراحمين.

(١) المهرق: الصحيفة البيضاء يكتب فيها.

..^(١) وبقدر ابتهاجنا وانسراحنا في زيارته أغاضنا وأكمدنا سوء معاملة الأكلب التي على بابهِ التي يسودُّ منها وَجْهُ الغَيْرَةِ اسوداد وجوههم.

والله سبحانه هو المنتقم والحاكم وإليه المشتكى من كل حال سيئة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) سَقَطَتْ بعض ملازم (المخطوطة) ولم أَعثر عليها في خزانة المخطوطات؛ وذلك لأنَّ أوراقها مُتَفَرِّقَةٌ وغير مثبتة من سنة كتابتها سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م، إلى سنة ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

الحاقات تتعلق بالجزء الثالث من النهضة^(١)

مذاكرات علمية

مما جرت المذاكرة به بيننا وبين صاحبنا الطبرسي - دام فضله - مسألة الأسماء الإلهية والصفات الربوبية، وخلاصة ما تلخص من الخوض فيها: أنَّ فلسفة معنى الاسم، وتام حقيقته أنَّه هو الدال على المُسمَّى الحاكي عن نفس الذات، إمَّا بإطلاقها كما في أسماء الأعيان، والمعاني، والأجناس من الممكنات، أو هي باعتبار تعيّن من تعيّناتها الخاصّة، ونعني بالتعيّنات شؤون الذات، وهذه هي الأسماء للواجب - تعالى - فالاسم عند الحكماء والعرفاء غيره عند الغير، وعليه فالقادر والعالم ونحوها اسم عند هؤلاء، وإن كان وصفاً عند غيرهم، والصفة حينئذ عندهم هي نفس القدرة والعلم وإن لم تكن صفة باصطلاح غيرهم، وحيث إنّ تمام حقيقة الاسم وملاكه هو الدلالة على المُسمَّى فجميع الموجودات عند العارف أسماء الله تعالى؛ لدلالاتها عليه - جلّ شأنه - شاهدة على وجوده ووحدانيته ﴿سُنُرِهِمْ آيَاتِنَا﴾ [فصلت من آية ٥٣]

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ^(٢)

وهذه الأسماء هي الأسماء الحادثة بالحدوث الذاتي، وهي غير القديمة الدالة

(١) العنوان منه رحمه الله.

(٢) صدر بيت، لابي العتاهية عجزه:

تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

ظ: (الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية ص ٦٩ - ٧٠).

على الذات باعتبار تعيّناتها الذاتية لا الإضاقية، كالعالم، والقادر، والحيّ، ونحوها الحادثة بالحدوث الأسمي، وتلك الأسماء هي المخلوقة، ولها اسمٌ جامعٌ، ونعني بالاسم - مهما استعملناه - نفس الموجودات والمسمّيات لا الألفاظ والأصوات، والحروف والحركات، وذلك الاسم الجامع هو الوجود المنبسط على هياكل الموجودات، وقوابل الممكنات، وهو النفس الرحماني، والفيض المنبسط، والحقّ المخلوق به، كلٌّ على اصطلاح قوم عن حقيقة واحدة، وفي لسان الأخبار (خلق الله الأشياء بالمشيئة)^(١)، وحيث إنّ هذا الوجود أياً ما كان في صقعهِ هو أقوى الدوال على ذاته المقدّسة، ووجوده الحقّ، فهو اسمٌ دالٌّ على مُسمّاه، كاشف عن مقوّم ومحقّق معناه، والاسم الذي هو من مقولة الألفاظ، والحروف، والأصوات، هو الدالّ على هذا الاسم، وهو اسم الاسم.

والخلاصة: أنّ الاسم هو الذات مع تعيّن خاصٍّ من التعيّنات الإلهية أو الكونية، وأوّل التعيّنات الكونية هو فيضه الأطلاقي في ذراري الممكنات، المترفع عن أفق الزمان والمكان، والأبعاد والجهات، وهو في بعض الملاحظات نفس الحقيقة المصطفوية، والنفس المرتضوية، وهو أعظم الأسماء الكونية الإلهية، ومن هذا الاسم خُلقت الأسماء الأخر الكونية، التي هي من مراتب تعيّنات هذا الاسم الإطلاقي، ونسبتها إليه كنسبته إلى ما فوقه، لا فرق بين هذا الاسم وبين مُسمّاه، إلّا أنّه عبده وهو ربّه، ولا ينقص عن الذات في الكمالات إلا بالنقص الإمكاناني والتأخّر المعلولي اللازم لذات التعيّن بالله إلى المتعيّن، وإلى هذه الحقائق بل الرفائق الإشارة في حديث (الكافي) الذي تقدّم آنفاً ذكره عن

(١) ظ: (الكافي ١: ١١٠ ح ٤).

أبي عبد الله صادق آل محمد عليه السلام حيث يقول: (... خلق الله اسماً بالحروف غير مصوّت وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسّد...) ^(١) الحديث لآخره.

وأوضح من ذلك في الدلالة على ما ذكرنا ما منّ وأفاده الحُجّة (صلوات الله عليه وعلى آبائه الحبيب) في دعائه الرجبى الذي رواه شيخنا الطوسي قده في (المصباح) ^(٢) وغيره بسند معتبر حيث يقول عليه السلام: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاةُ أَمْرِكَ، الْبَاقُونَ عَلَى سِرِّكَ، الْمُسْتَبْشِرُونَ بِأَمْرِكَ، الْوَاصِفُونَ لِقُدْرَتِكَ الْمُعْلِنُونَ لِعَظَمَتِكَ، أَسْأَلُكَ بِمَا نَطَقَ فِيهِمْ مِنْ مَشِيَّتِكَ، فَجَعَلَتْهُمْ مَعَادِنَ لِكَلِمَاتِكَ، وَأَرْكَاناً لِتَوْحِيدِكَ، وَآيَاتِكَ وَمَقَاماتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلُ لَهَا فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَعْرِفُكَ بِهَا مَنْ عَرَفَكَ، لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ، فَتَقْهَرُهَا وَتَرْتَقِيهَا بِيَدِكَ، بَدْوُهَا مِنْكَ وَعَوْدُهَا إِلَيْكَ أَعْضَادٌ وَأَشْهَادٌ وَمُنَاةٌ وَأَذْوَادٌ وَحَفَظَةٌ وَرَوَادٌ، فِيهِمْ مَبْلَاتٌ سَمَائِكَ وَأَرْضُكَ حَتَّى ظَهَرَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ...) ^(٣).

أنتهى موضع الحاجة من هذا الدعاء الشريف.

ولو ذهبنا في شرح هذه الفقرات النيرات، وما اشتملت عليه من النكات

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اسْمًا بِالْحُرُوفِ غَيْرَ مَتَصُوتٍ، وَبِالْفَرْقِ غَيْرَ مَنْطِقٍ، وَبِالشَّخْصِ غَيْرَ مَجْسُودٍ، وَبِالتَّشْبِيهِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ وَبِالْوَلَوْنِ غَيْرَ مَصْبُوغٍ، مَنْفِي عَنْهُ الْأَقْطَارُ
ظ: (الكافي ١: ١١٢ ح ٦).

(٢) مصباح المتعبد: لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (شيخ الطائفة)، (٣٨٥ هـ = ٩٩٥ م - ٤٦٠ هـ = ١٠٦٨ م)، من أجل الكتب في الأعمال والأدعية، وقدوتها في أعمال السنة، وفي أقسام العبادات، وما يتوقف منها على شرط وما لا يتوقف، وفي آخره أحكام الزكاة والأمر بالمعروف

ظ: (الذريعة ٢١: ١١٨ - ١١٩).

(٣) ظ: (مصباح المتعبد، للشيخ الطوسي ص ٨٠٣ - ٨٠٤).

والدقائق، لطال الكلام، وخرجنا عن الخطّة، ولكن لا يبرحَنَّ عنك أنَّ هذا الاسم المخلوق الذي أشارت إليه أمناء الله في مرتبة الربوبية وسردنا فيه بعض القول ليس هو من الأسماء الإلهية الثابتة كما تَبْهِنَاك عليه أوّل الخوض؛ بل تلك الأسماء لها السلطنة والربوبية المطلقة على ذلك الاسم المخلوق؛ وإن كان هذا الاسم المخلوق حق مخلوق به الأسماء الخلقية الآخر، فالاسم الإلهيُّ سواء كان في مرتبة الخلق أو في مرتبة الربوبية المطلقة ليس ما هو في الأوهام العامّة من الحروف والأصوات والألفاظ؛ بل هذه الحروف أسماء الأسماء المخلوقة وإن كانت تلك الحروف أسماء أيضاً بملاحظة كونها موجودات كونية كسائر المخلوقات الكونية، ومن هنا ظهر أنَّ الأسماء الإلهية: التي هي عبارة عن الذات المتعيّنة بتعيّنات كونية خلقية حادثة بالحدوث الاسمي بمعنى تأخر التعيّن عن نفس المتعيّن ضرورة، أعنى عن الذات المطلقة حتّى عن جهة التعيّن والأطلاق (يَا هُوَ يَا مَنْ لَا يَعْلَمُ مَا هُوَ إِلَّا هُوَ).^(١)

فتدبر نور الله قلوبنا وإياك بالعرفان واليقين، إن شاء الله تعالى.

(وسأل) بعض أفاضل رفاقنا في مسيرنا بين الحرمين عن الحديث القدسي المعروف وهو: (كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِئاً فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرَفَ)^(٢).

(١) وردت هذه الفقرة الشريفة في أدعية كثيرة منها: دعاء الجوشن، ودعاء المشلول، ودعاء المجير، ودعاء الإمام الحسين (عليه السلام) يوم عرفة.

(٢) رُوي أنَّ داود النبي (عليه السلام)، قال: ياربِّ لم خلقتَ العالم والخلق فقال: يا داود كنت كنزاً مخفياً اردت ان اعرف.

ظ: (معارج نهج البلاغة، للبيهقي ص ٥٧)، و(بحار الأنوار ٨٤: ١٩٩).

وموضع السؤال أنَّ خفاه - جلُّ شأنه - عمَّن ذا كان مع أنَّه لم يكن شيء سوى ذاته المقدَّسة، وهو عالم بها في أزل الآزال، والخفاء لا يتطرق إليها في حال من الأحوال، ثمَّ ما هذه المحبَّة؟! وما المقصد من المعرفة؟! التي وقعت غاية لخلق الخلق.

(وتقرير الجواب له) بادراً؛ أننا لو افترضنا أنَّ هناك كائناً في منتهى ما يقع في ظرف الواقع وإمكان من الحسن والجمال الذي لا يفرض ولا يمكن ما هو أعلى منه، بحيث لو رآه عارف لصار من مشاهدة حسنه وجماله في منتهى الابتهاج والحظوة، وأقصى مراتب اللذة والغبطة، فمن الواضح والمستبين لدى كلِّ عاقل ناقد، أنَّ نفسَ ذلك الكائن المتناهي في حسن الصورة، وجمال الخلقة، وملاحة الشمائل، لو شاهد هو صورته البديعة الحسناء ولو بمعاونة الآلات الحاكية من مرآتٍ وغيرها؛ لابتهج وانبسط مرتاحاً أشدَّ الارتياح والابتهاج، بمشاهدة حسنه وجماله، وتَلَأَّوْ صورته وبديع خلقتة، ولا محالة يكون ابتهاجه بنفسه أشدَّ من ابتهاج كلِّ أحد به إذ هو الواجد لذلك الجمال، والغير فاقد له مشاهد له عند غيره، والواجد أشدَّ فرحاً بما وجد من الفاقد، وأعلى من ذلك، إنَّ ضعف الابتهاج وقوَّته ليس إلاَّ من قوة الإدراك والشعور وضعفهما، وقد قالوا: (إنَّ

→

قال الشيخ كاشف الغطاء في كتابه (الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية) في ج ٢ هامش ص ٢٩: (قد ذكرنا في رحلتنا الموسومة بـ (نهضة السفر ونزهة السمر) قدراً يسيراً؛ ولكنَّه مقتنع من شرح هذا الحديث، ولم نذكرْ هنا شيئاً ممَّا ذكرناه، نظراً لبعض الملاحظات. والله - سبحانه - هو المسدّد).

وأنظر شرح هذا الحديث (جواب الاعتراضات العشرة أو شرح حديث حُب من دنياكم ثلاث).

الحقّ - جلّ شأنه - أجلّ مدرك بأجلّ إدراك لأجلّ مدرك، فهو إذاً أجلّ عاشق لذاته، ومبتهج بذاته، وقصاراك أنّ الحقّ - سبحانه - كان عليمًا بذاته قبل إيجاد العلم والعلة، فهو مبتهج بذاته قبل إيجاد الخلق، ولا يخفى عليه شيء لم يكن.

حق زايجاد جهان أفزون نشد آن جه از اوّل نبود اكنون نشد^(١)

قلنا: نعم، ولكن علمه بذاته قبل الخلق والإيجاد، وكان في مرتبة ذاته المقدّسة على نحو البساطة والإجمال، وإن كان في عين الكشف التفصيلي، ولكن علمه التفصيلي بذاته في مرتبة الكثرة في المرآة التامة إنما هو بعد الإيجاد والخلق، فهو - سبحانه - أراد رؤية نفسه ومشاهدة جماله في المرئي التام والمجلى الأتم؛ ليشاهد ذاته الباهرة فيها كمشاهدته لها في مرتبة ذاته البسيطة، فكانت رؤيته لذاته في مرآة الكثرة الإمكانية مخفياً؛ بل وحتى عنه - تعالى شأنه - (ولانقص)، وتذكر ذلك الوجه الجميل الذي تمثّلناه ومثّلنا به ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل من آية ٦٠]؛ فإنّه وإن كان يُشاهد صورته في مرآة خياله، وهو عالمٌ بها قبل النظر إلى المرآة المجسّمة، ولا يصحّ أن يُقال ضرورةً أنّه جاهلٌ بنفسه؛ ولكنّه شغفاً بجماله، وحباً لنفسه يحب لو يشاهدها في كل شيء؛ إذ لا يرى شيئاً أجمل منها، وكلّما عاينها ونظر إليها ابتهج بها ووّلّه عليها على كمال علمه بها، والحقّ بهر جماله وجلاله على كمال علمه بذاته، أحبّ أن يعرف ويرى ذاته في مراتب الكثرة الإمكانية، وعلى صفحة مرآة العين والخارج «فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ أُعْرِفَ»، وإليه الإشارة في الحديث القدسي الآخر خطاباً

لِلْمَجْلَى الْأَتَمِّ، مظهر ذلك الاسم المقدم «خلقتك لأجلي وخلقت الأشياء لأجلك»^(١)؛ خلقه ليتهج بذاته في النظر إليه، نظراً إلى جامعته وتمام حكايته، (والحاكي من كل وجه عين المحكى بوجه وغيره من وجه). فتدبر.

أما السؤال عن سبب هذه المحبة وعن غايتها فهو ساقط بته؛ إذ هذه المحبة من شؤون حب الشيء لذاته، وهو ذاتي لا يُعَلَّل، كحب الشيء لوجوده وكماله دون عدمه ونقصه، وكذلك معرفته بنفسه ومعرفة غيره به، وهذا الذي لمحناه وشرحنه من هذا الحديث الشريف يُساق إليك، ويُلقى عليك، إن كنت تطلب وترتاح إلى غوامض الأسرار، ودقائق المعارف، ومخبات الحكم، وإن كنت من أهل القناعة بالسطوح والظواهر، المتأبّي عن تلك التدقيقات والتعمّقات، فشرح الحديث واضح، ووجهه مكشوف ظاهر فإنّه - جلّ شأنه - كان كنزاً مخفياً عن الموجودات الشاعرة، المخبأة في خزانة علمه، وكنوز كرمه وجوده، فأراد أن يُعرف ذلك الكنز المُخْفَى الذي ضمّ ذلك الجود الإلهي، والكرم الغير المتناهي، فخلق الخلق لكي يُعرف بما له من صفات الجمال، وتقديسات الجلال، فخفائه إنّما هو عمّا في خزانة علمه وقدرته من الممكنات والكائنات، وسبب حبه؛ لأن يُعرف عندهم، هو ما ذكرناه من حبه لذاته الموجب حبه لأن تُعرف، وتُحمد، وتُقدّس، ولعلّك ترى أن هذا هو الوجه الجميل، وتستظهر ببناء فعل المعرفة مجهولاً، ولكن الأمر فيه سهل، والله وأوليائه أعلم بمراده وهو - جلّ شأنه - أجلّ

(١) إنّ الله - تعالى - يقول: عبيد خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي، وهبتك الدنيا بالإحسان والآخرة بالإيمان.

ظ: (الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، للشيخ الحر العاملي ص ٣٦١).

وأعلى، ونحن بالجهل من كل الجهات أولى، ومنه الاستمداد وعليه الاعتماد وهو أكرم الأكرمين.

(جرت المذاكرة) أيضاً، في الحديث المشهور المروي في (الكافي) المتضمن لقوله ﷺ: (إن جميع جسد ابن آدم يَبْلَى في القبر إلا طينته الأصلية التي خلق منها فإنها تبقى مستديرة في القبر كهيته يوم خُلِقَ)^(١)، الحديث بتمامه، وقد شرحناه في (الدعوة الإسلامية)^(٢) شرحاً كاملاً، وسنوفي تمام القول والتدقيق فيه هناك - إن شاء الله - بمعونته تعالى وتيسيره.

(١) ورد هذا الحديث الشريف في (الكافي ٣: ٢٥١) ونصّه: عن عمار بن موسى، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سئل عن الميت يبلى في جسده، قال: نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة. (٢) الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية، (ج ١) طبع بمطبعة دار السلام في بغداد (سنة ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م) ويقع في ٢٢٤ صفحة، والنسخة نادرة توجد في خزانة حجريات مكتبته العامة. قال عنه في كتاب (عقود حياتي) ٨٩ - ٩١: (وكنْتُ على اثر إعلان الحرية في الممالك العثمانية، وإنتشار الكتب المشحونة بالطعن على الأديان عامة، مثل كتاب (فلسفة النشوء والارتقاء) تعريب شبلي شميل، وعلى الإسلام خاصّة مثل كتاب (الهداية) لجمعية البرتستان في مصر، على أثر إنتشار هذه الكتب المضلة، ألُفْتُ كتاباً لدفع تلك الضلالات ولكن كان عنوان الكتاب موحشاً وهو (الدعوة الإسلامية إلى مذهب الإمامية)... فلما أنتشر الجزء الأول منه أستاذ رجال الدين من السنة في بغداد، وفي طليعتهم المفتي محمد سعيد الزهاوي فأوعز إلى السلطة وكان الوالي يومئذ (ناظم باشا) الشهير فكبست الشرطة المطبعة وحملوا جميع النسخ من الجزء الأول والمطبوع من ملازم الجزء الثاني، ومنعوا المطبعة من إكمال طبعه...).

ثم طبعه في بيروت في جزأين باسم (الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية) في سنة ١٣٣٠هـ - ١٩١٢م، وحقّقه - بإشراف سماحة الشيخ محمد مهدي الاصفى - أخيراً الشيخ محمد جاسم الساعدي في مجلدين سنة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م، وطبعه المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ.

شرح حديث (حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ...)

(جرى) الكلام أيضاً في الحديث المشهور عن سيّد الأكوان (صلوات الله عليه واله) (حُبَّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)^(١).

والكلام أولاً عن إعرابه أعني عن المحبّب الثالث؛ حيث إنّ الجملة الأخيرة ظاهرة في الاستقلال والانفصال، ثمّ ما وجه حبّه للنساء مع ما هو (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) من المقام المترفع عن الانهماك في الشهوات الحيوانيّة واللذات الفانيّة البهيميّة.

وكان الذي حضرني من القول وأبديته من الرأي في ذلك المتمدّد بما يتعلق بهذا الحديث، أنّ الذي في ذكره من مراجعتي لبعض الكتب طرداً لا قصداً، أنّ هذا الحديث في موثوق كتب الأخبار خالٍ من لفظ الثلاث^(٢)، وعليه فلا إشكال من هذه الجهة، وأمّا بناء على ثبوتها فمن الممكن أن يكون الثالث هو مدلول هذه الجملة (وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ)، ويكون الغرض من سوقها في جملة مستقلة بياناً لمزيد الاهتمام بها، وأنّها ليست في الحبّ والميزة عنده ﷺ كأخواتها، ولعلّ هذا الأسلوب غير خالٍ من النظير في كتاب الله الكريم، وأمّا السؤال عن وجه حبّه للنساء الذي لا يناسب مقامه الشامخ فهو ساقط أيضاً، بأدنى تأمل، حيث أنّه (سلام الله عليه) ما أفاد أنّه هو يحبّ النساء، والطيب؛ بل قال: (حُبَّ إِلَيَّ...) بالبناء للمجهول، مشيراً بذلك إلى أنّ الله حبّب إليه ورعّبته في النساء لما هو أعلم به من المصالح والحكم - جلّت حكمته - أو لتقتدي به أمته فيتوفّر عددها

(١) ظ: (الخصال، للشيخ الصدوق ص ١٦٥).

(٢) أنظر (الوسائل ٢: ١٤٤، الباب ٨٩ من ابواب الحمام، ح ١٢).

وتقوى عدتها، وتمحق بدعة الرهبانية التي ابتدعتها بعض الأمم، فهو مسوق لمزيد التأكيد والتشدد على رفض تلك الشرعة التي تضاد حكمة الله - سبحانه - في خليقته، وتبطل ما أودع فيهم من ذراري ملكه وملكوته.

(والقصارى) أن هذا الحكيم الرباني (صلوات الله عليه) كأنه يرمز إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يحبب ويرغب إلي شيئاً من دنياكم هذه لا من طعامها، ولا شرابها، ولا لبسها، ولا شيئاً من لذاتها، إلا النساء والطيب؛ فإنهما قد حببا إلي من الله؛ ولكن الذي أحبه ذاتاً، وأميل إليه طبعاً، وفيه قرة عيني هو الصلاة، فلولا أمر الله - سبحانه - وحته لي على التحبب من النساء والطيب؛ لجعلت الوقت كله وقفاً عليها، ولم أدع منه حصّة لغيرها، ويشهد لذلك ما ورد وتأكد وظهر واشتهر من أنه (صلوات الله عليه) كان يصلي الليل كله، ويحيي عامته قائماً بالعبادة حتى نزلت كريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة المزمل ١، ٢] وما يتلوها ويشبهها من الآيات الكريمة وأنه - شرف الله قدره - قام في الصلاة والقرآن حتى ورمت قدماه ونزلت ﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [سورة طه ١] إلى غير ذلك من الشواهد التي تشهد ولا تجحد، وتدفع الحجة ولا تدفع، ويشهد لذلك من نفس الخبر بناء الفعل للمجهول وإلا لخلي عن الفائدة. فتدبر.

(وجرى الكلام يوماً بين جماعة من رفقتنا الكرام ونحن بين الحرمين أيضاً)، في مثل ما ورد في كثير من الأذكار، والأدعية الشريفة، كما في دعاء الأيام العشر من ذي الحجة (لا إله إلا الله عدد الليالي والدُّهور، لا إله إلا الله عدد أمواج البُحُور...) ^(١) إلى آخر الدعاء.

(١) ظ: (إقبال الأعمال، للسيد ابن طاووس ٢: ٤٧ - ٤٨).

ومثل (سبحان الله ألفاً ألفاً)^(١)، ومثل ما في (دعاء العشرات) من التحميدات (عدد ما في علم الله وعدد ما خلق الله)، إلى غير ذلك من الأشباه والنظائر الكثيرة الوفيرة، وموضع السؤال منه أن هذه هل هي لصرف المبالغات اللفظية؟، والتأكيدات الحرفية؟، أم وراءها معنى متحصّل؟، وأمر بهذا القول مُتَحَقِّقٌ؛ بحيث يكون للقائل: (سبحان الله ألفاً ألفاً) من الأثر والخاصّة نفس ما للمسبّح ألفين، أو ألف ألف، أو ليس له إلا خاصّة المسبّح تسبيحة واحدة مؤكّدة.

ثمّ أنّ كلّ واحد من الرفقة الفضلاء أبدى فيه ما عنده، وسلك طريقاً، وأبدى وجهاً، أبعدها ما أبداه الفاضل المتقدّم من أنّ المراد الدعاء إلى الله والسؤال منه - تعالى - أن يجعل هذا الذكر الواحد له ما لذلك العدد من الخاصّة والأجر، ولا يخفى ما فيه من البعد. والذي أبديته في ذلك المحضر أنّ ملاك الذكر وعصارتة ليس إلا المدح والثناء بالجميل، وتعداد المزايا والمآثر، وهو قسمٌ من مقولة الإنشاء، والإنشاء كما قيل خفيف المؤونة، وحيث إنّ أقوى حامد وذاكر لله سبحانه ومُثَنٍّ عليه بالجميل هو نفس صنائعه ومخلوقاته في أرضه وسمواته، ضرورة أنّها كلماته وآياته الدالّة على باهر حكمته وقاهر قدرته ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الاسراء من آية ٤٤] فهي بوجوداتها الصامته ناطقة بتوحيده، وحمده، وتقديسه، ومجده، وحيث إنّ هذه الموجودات هي كلماته التي لا نفاد لها ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف ١٠٩] فهي غير متناهية بعدم تناهي قدرته، ولازم عدم تناهي تلك الكلمات عدم تناهي محامده، ولمّا كان الإنسان أقرب الكائنات إلى

(١) ظ: (مهج الدعوات ومنهج العبادات، للسيد ابن طاووس ص ٢٠٤).

الفناء والتناهي، وأراد أن يحمده - تعالى - بمحامده الغير المتناهية، لم يجد بداً من تطفيل حمده لمحامد غيره، تلك المحامد الأبدية الغير المتناهية نوعاً، أو شخصاً، أو ذاتاً، وماهيته، فالذاكر حيث يقول: (لا إله إلا الله عدد الليالي والدهور...) يريد إن كان عارفاً ملتفتاً مترفعاً عن صرف لقلقة اللسان إن كل واحدة من الليالي وكل واحد من الدهور يشهد بوجوده وحدوثه لله بالوحدانية، فإن أنشأ الله الشهادة بها مع كل واحدة من تلك الشواهد الأوابد، فهو من قبيل الإيجاد الواحد لموجودات كثيرة، وإنشاء فارد لمنشآت وفيرة، فالذاكر بهذه الجملة الواحدة قد ذكر الله سبحانه ذكراً بعدد تلك الوجودات المتسلسلة في الوجود، المجتمع في اللفظ، فهو والذاكر الذي يفرض بقائه ذاكراً مع طول تلك السلسلة سيان، وهكذا في كل ما هو من هذا الباب، وما يدخل في هذه النظائر وهي على الغاية من السعة والكثرة، ومنه يظهر الوجه في أمثال (سبحان الله ألفاً ألفاً) مما جعل الذكر فيه متطفلاً على العدد نفسه لا على المعدود، وعليك بتطبيق كل مورد على ما يناسبه ويليق به من هذا الأصل الثابت، والقاعدة الممهدة، والله أعلى ذكراً وأعلم بالحقائق سراً.

مناظرة مع إسماعيلي

(غريبة) أسندت ظهري يوماً إلى جدار (بئر زمزم) في المطاف بين الطلوعين، وأنا مشغول بالذكر والتعقيب، فجاء رجل أسمر اللون، حسن البزّة، ظاهر الصلاح، عليه شملة عربيّة، فجلس إلى جنبي وجعل يقرأ القرآن بلهجة حسنة، فأمهله حتى فرغ فسلمت عليه ولاطفته في الكلام، وقلت له: من أيّ بلاد، فقال: يمانيّ، فقلت له: ومن أيّ فرق الإسلام، فقال: إسماعيلي، فقلت: الحمد لله الذي

من بك علي؛ فإنني كنت أتمنى أن اجتمع برجل عربي منهم حتى أذاكره وأسأله عن بعض شؤون هذا المذهب النادر، وكنا نجتمع في العراق بكثير منهم ولكن لا يحسنون العربية ولا أعرف شيئاً من لغتهم الهندية، فقال - بعد أن عرفته تربتي ونحلتني - : وعن أي شيء سأالك، وكنت قد ألفت في نفسي مسلكاً للحجاج معه، فقلت: ألسنا نتفق معكم في المبادئ والأصول حتى ننتهي إلى كذا، ثم نختلف ونتشعب، فما سبب هذا الاختلاف وما حججكم على ما ذهبتم إليه، فقال لي: قل لي أولاً: ما الشجرة التي نهي آدم عن الأكل منها؟، فقلت: قد اختلف المفسرون والمؤرخون فيها، فقل: أنها شجرة الحنطة، وقال: المؤولون هي شجرة العلم والمعرفة، إلى غير ذلك من الأقوال المختلفة، فقال: من هذا الاختلاف جاء بيننا الخلاف، ثم قال: وما الجنة التي أهبط آدم منها؟، وهل هي في السماء أو في الأرض؟، ثم في أي سماء كانت؟، فقلت: وأيضاً هي محلّ خلاف، فقل: هي الجنة المعدة لصلحاء البشر، وقيل: غيرها، فقال: وأيضاً من هذا الخلاف جاء الاختلاف، ثم أخذ يسرد ويسأل عن أمثال هذه المتشابهات حتى أكثر، فقلت: يا شيخ قد أكثرت فيما لا دخل له؛ وكأنك تريد الطفرة، فقال: الأمر كما قلت لك، ونعم أنا أريد الطفرة، ثم نهض وتركني ومضى، فبقيت مبهوراً من أمره، وكلما طلبته بعد ذلك في المظان لم أجده.

(عجبية) مررنا في الذهاب إلى (مكة الشريفة) والعود منها على أرض واسعة بين الضريبة (ذات عرق) والغمرة وسط العقيق، وكان فيها كثير من شجر الغيلان، فوجدنا فيها كثيراً من الجماجم، وعظام الموتى من سواعد، وأسواق، وضلوع، وفقار الظهر، وهي منثورة متقاربة في تلك الأرض، ولا سيما الهامات

فإنَّها كانت بين أرجل الإبل وربَّما كانت تدوسها بأخفافها ونحن ننظر إليها من المحامل، وكان على شجر الغيلان وأشواكه كثيرٌ من الثياب والملابس قد تخرقتُ بذلك القتاد الذي هو كاشفار المَدَى، فعجبنا أشدَّ العجب، وسألنا عن السبب، فقال - بعض ذوي الخبرة من المتردِّدين - : إنَّ جماعة من السودان (التكارنة) خرجوا بعد الحجِّ مع الحمل الجبلي، وهم رجَّالة لا رحل ولا راحلة، فاحتملوا من هذا المنزل بعد الفجر؛ وهبَّتْ عليهم ريح فيها صرٌّ، فجمدوا في مواضعهم، وصاروا مَأْدَبَةً للوحوش، وقيل: إنَّ هناك قد وقعتْ معركة بين الأعراب؛ وعادتهم ترك القتلى على وجه البسيطة خوفاً من الدبرة عليهم، والله أعلم بالحقائق.

وممَّا جرى على خاطر في محرم جرياً على روضتنا الناهجة على المعجم، البالغة حتَّى الآن لحرف الخاء^(١) في رثاء سيِّدنا أبي الفضل (سلام الله عليه وعلى أبيه وأخوانه عليهم السلام جميعاً) فمن تلك البويات ما يلي:

(١) (الحسن من شعر الحسين أو الحسن في شعر الحسين أو الأحسن من شعر الحسين): مجموع شعره الذي نظمته قبل عصر الشبَّية، في المديح، والتهاني، والرثاء، وربَّته على حروف المعجم.

و(العصريات والمصريات): وهي جملة نتف ومقاطع، وقصائد شعرية، سنحتْ له القريحة في أسفاره إلى الحجِّ، وسوريا، ولبنان، ومصر، اندفعتْ الفكرة فيها حسب مقتضيات الخاصَّة، والاتفاقات المهيَّجة.

و(خماسيات روضة الحزين): رتبها على تمام الحروف الهجائية، في كل مقطوعة خمسة أبيات، تناهز السبعين مقطوعة، تضمَّنَتْ بعض الشؤون الفلسفيَّة، والتوجع من فجائع الدهر، ووقائع الصروف، وحال العشائر، ورثاء أولاده، والروضة في الاصطلاح ما اشتمل النظم فيه على جميع حروف الهجاء.

أبا الفضل ارتقى ركب المعالي سُرى وبغير ربعك ما أناخا
وقفتَ موافقاً لو مسَّ رَضوى هنالك بعض بلوها لساخا
وواسيتَ الحسين فيا أخاهُ فدى لك كل مَنْ وصى وأخى
لقد عجب الوفا بوفاك يوماً لَوَ أَنَّ الطفل أبصره لساخا
أهاجك بأسٌ حيدر فاستردتُ لديك قشاعم الهيجافراخا
صرختَ على العدى بالموت لَمَّا سمعتَ لصيبة السبط الصراخا
أبدر بنى لوى مَنْ لحمل اللواء إذا الزعيم به تراخى

ولقد جرى كثير من المنظوم على أفكارنا المنشورة، وقراءتنا المتشعبة القريحة، ولئن أسعف الوقت بفرصته تمهلنا لإبراز سوادها على البياض، وإخراجها من حقيبة الخاطر إلى دبيعة الدفاتر، ذكرنا شيئاً منها - إن شاء الله تعالى - تحلية لهذه الأوراق، وتفنناً في هذا المجموع، وعلى الله المعول في كل أمل وهو أرحم الراحمين.

(سألنا في الشام) حضرة الفاضل ملاذ الفرقة الإمامية في دمشق (السيد محسن العاملي) - دام تأييده - عن المتعاقدين المختلفين في التقليد، كما لو كان البائع مثلاً مقلداً للذاهب إلى جواز العقد بالفارسية وصحته شرعاً، والمشتري مقلداً لمن يرى بها فساداً وعدم تأثيره، ثم جرى بينهما عقد البيع بالفارسية، فما حكم هذا العقد من النفوذ وعدمه في حق كل واحد منهما أو حقهما معاً؟ فقلتُ بعد أدنى تأمل: إنني لا أستحضر الساعة فتاوى المشاهير فيها، ولكن مقتضى الأصول والقواعد الأولية صحته ولزومه في حق من يرى مجتهداً الصحة؛ لأنه بحسب

الحكم الظاهر عقد جامع لشروطه فاقد لموانعه، فيجب الوفاء به بعموم أوفوا بالعقود. فاستصوب السائل الفاضل ذلك، وقال: هذا هو الرأي الذي يبيده كل مَنْ سألناه من أهل الفضل وهو الذي يترجح في النظر، ولا نرى وجهاً غيره، ولكن العجب ممّا في العروة الوثقى^(١) لسيدنا^(٢) حجة الإسلام - أدام الله ظله - حيث اختار فساده في حقّهما معاً؛ معللاً ذلك بأنّ العقد متقومٌ بطرفين، فاللازم أن يكون صحيحاً من الطرفين، قال: - أدام الله ظله - (وكذا في كل عقد كان مذهب أحد الطرفين بطلانه ومذهب الآخر صحّته)^(٣).

قال السيّد الفاضل: إنّ تقوّمه بالطرفين لا يقدر في صحّته واقعاً في حقّهما، والذهاب إلى الصّحة يراه كذلك، وإنّ الذهاب إلى الفساد مشتبه مخطئ عن حكمه الواقعي، والعقد أيضاً لازم في حقّه، وإلاّ للزم عدم جواز التمتع بالكتابيّة ولا بالمُخالفة، كيف والمخالفون لا يرتابون في فساد المنقطع، والحال أنّه لا إشكال في صحّة ذلك العقد عليها عند أحد بته، فراجعتُ النظر ثانياً، فقلتُ له: لعلّ نظر سيّدنا الأستاذ حجة الإسلام إلى أنّ العقد حيث كان متقوماً بالطرفين وهو شيء واحد لا يتبعّض، وحيث إنّ القائل بالصّحة يعلم بفساده عند الآخر، وإنّ الأمر بوجوب الوفاء غير متوجّه إليه فهو أيضاً غير ثابت في حقّه ولا متوجّه

(١) العروة الوثقى: للسيد محمّد كاظم ابن السيد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي (١٢٥٣هـ = ١٨٣٧م - ١٣٣٧هـ = ١٩١٨م)، فقه حافل للمسائل الفرعيّة، وقد طبعت من أوّل الطهارة إلى باب الحجّ في حياته، ثم طبع بعد وفاته بعض الأبواب الأخر بعنوان (الملحقات).
ظ: (الذريعة ٦: ١٤٩).

(٢) ظ: (نقباء البشر في القرن الرابع عشر ١٧: ٧١ - ٧٢).

(٣) ظ: (العروة الوثقى مسألة (٥٥) ١: ٤٦).

إليه في الواقع؛ لأنّ الأمر بوجوب الوفاء لا يتوجه لأحد المتعاقدين إلّا في العقد الذي يعلم بتوجهه إلى الآخر ولزومه في حقّ الآخر وإلّا فلو علم أنّ الطرف الآخر لا يرى لزومه فما هو العقد ليندرج في قوله (تعالى) ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة من آية ١]؛ لعدم الالتزام به حقيقة من ذلك الطرف، لا يقولُ الناقد أنّ الالتزام غير منوط بالصحة، فقد يقع الالتزام حقيقة مع العلم بالفساد شرعاً، وإذا تحقق الالتزام بين الطرفين صار من العقود عرفاً، فوجب الوفاء به بناء على إطلاق العقود في كل التزام عرفي؛ لأنّا نقول ليس المانع المدعي عدم تحقق الالتزام لعدم الصحة وشمول الأمر؛ بل المدعي عدم شمول الأمر بالوفاء إلّا للعقد الذي هو أمر واحد كشيء بسيط، فحيث يثبت يثبت عليهما، وحيث ينتفي ينتفي عنهما، وهما متلازمان ظاهراً كتلازمهما واقعاً، فحيث لا يتوجه الأمر بالوفاء على المشتري الذي يرى فساد العقد ولو التزم به واقعاً، لإنقضاء بعض شرائطه أو حصول شيء من موانعه، فهو غير متوجه أيضاً؛ حتّى في حقّ البائع الذاهب إلى الصحة للتلازم بينهما في كلّ مرتبة، ولا أقل من الشك، والأصل في المعاملات الفساد وعدم الانتقال.

هذا ما خطر لدي أوّل الفكرة وبادي النظر، ولا يخلو من لزوم إعادة في فكر ومراجعة في النظر، وتعويل على المصادر الوثيقة والمبادئ الصحيحة - إن شاء الله تعالى -.

(ومما سأل عنه) دام فضله، النون في قوله تعالى ﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ﴾ [البقرة من آية ٤٤] ومقتضى الأوليات حذفها لعدم ما يقتضي وقاية الفعل بها من الكسر بعد انفصال ضمير التكلم. فقلت: لعلّه تلميحاً إلى الأصل؛ فدلالة على أنّ الإبدال في

حكم الثابت في محلّه كما تبقى في صورة حذف الياء بتأ وهو كثير مثل قوله (تعالى) ﴿وَيَايَا فَازْهَبُونِي﴾ [البقرة، من آية ٤٠] ونظائرها، حيث ثبتت دلالة على أنّها مقدرة كموجوده، أما السيّد الفاضل فلم يقتنع بهذا الرأي، واختار الحذف، أمّا بجعل الضمير المنفصل مفعولاً لمقدّر تقديره (اتّقوني، فاتّقوني) فحذف الفعل الأوّل وانفصل الضمير، ثم حذف الياء من الثاني، وفيه ما لا يخفى من سقوط فائدة الفاء وفوت الحصر بتقديم المفعول وفصله على سابق نظائره مثل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة، ٥] ثم احتمل الإغراء والتحذير نحو إِيَّاكَ والأسد، ثم حذف الفعل وانفصل الضمير وهو عندي كسابقه.

(وسألته عن آية الوضوء) حيث إنّها ظاهرة في وجوب الغسل من أطراف الأصابع إلى المرافق، كال مسح منها إلى الكعبين على سياق واحد، فإنّ ظهور قوله (تعالى) ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة، من آية ٦] قوي مؤكّد في ذلك، وأمّا ما ورد في الروايات من أنّه تحديدٌ للمغسول لا للغسل، فهو مع كونه خلاف الظاهر، حيث إنّ ظاهر القيود كونها قيوداً للحكم لا للموضوع، لا يجدي في إثبات المفروض؛ إذ لو فرضنا أنّ العبارة هكذا اغسلوا الأيدي التي هي من أطراف الأصابع إلى المرافق، فإنّ هذا الكلام نصّ في كون الظرف قيداً للموضوع، وتحديداً للمغسول؛ ولكنّه أقصاه أن يبقى مهماً من حيث وجوب الابتداء بالبداية والنهاية، فيثبت التخيير ولا يجب الابتداء بالمرافق، كما عليه الفتوى والعمل، كيف ووحدّة السياق، ومناسبة الحكم والموضوع والترتيب الذكري، كلّ ذلك يقضي ترجيح الابتداء بالكفين والانتفاء بالمرافق على حسب الذكر، وليس الغرض - معاذ الله - دفع

الرواية أو المناقشة فيها بعد وضوح دلالتها، ولكن أنّ الرواية ظاهرة في تطبيق مضمونها على القاعدة، وأنّ مدلول الآية حسب الصناعة والأصول ذلك، فنحن نسأل عن وجهه، حيث إنّ ما نعرفه من التفاهم العرفي وقواعد العربية تقضي بغيره. ولم يحصل لنا منه - دام فضله - ولا من غيره وجه مقنع.

زيارة مرقد عقيلة بني هاشم الكبرى

(ختم جميل) زرنا عشية يوم الجمعة ليلة ٧ صفر مرقد سيّدتنا الحوراء زينب الكبرى كريمة أمير المؤمنين - صلوات الله عليها وعليه - وكانت موافقة ليلة وفاة أخيها السبط الحسن الزكيّ - سلام الله عليه - فوهب الله لنا ولجميع إخواننا وساداتنا الذين كنّا بخدمتهم أو صحبتهم من الرقة والشجى، والانكسار والرقة، وصبّ الدموع، والتهاب الأحزان بين الضلوع، ما لم نكن نحسب، وذكّرنا كلّ واحد من أحبّتنا النائين، واعزّتنا الذين شملنا برّهم ولطفهم؛ حتّى عند غيبتنا عنهم حيث وجدناهم في القلوب حضوراً، وما فارقونا على بعدهم، ولم تكن زيارتهم لنا حلماً وزوراً، فبدأنّا بهم قبل النفوس إذ كانوا علينا أعزّ منها، واستلبنا أرواحنا في الزيارة عنهم والدعاء لهم برقة حال ما برحت للساعة عنها، وبعد وافي قدر من الزمان، خرجت من روضتها الزاهرة، وبقعتها الطاهرة، المملوءة نوراً وروحاً، التي يحسبها الرائي قد اقتطعت من صحيفة السماء أو العرش لوحاً، ثم صرت أستدير في رواقها المباهي أروقة السماء، والزاهي في الحقيقة على مجاز منطقة الجوزاء، ثم دخلت إلى المسجد الذي هو مقتطع في جهة الجنوب من رواقها الشريف لصلاة جمعة أهل السنّة والجماعة، بعد أن فتح لنا المتولّي بابَه فوجدنا مسجداً أنيقاً، فائقاً، مُزَيّن بأنواع الزينة، وأجناس المعلّقات والمحسّنات في طول وعرض وافيّين، وقد علّقت

على تمام جدرانه كثير من القطع والألواح والصحائف الموشومة، كُلُّها بمدائح أهل البيت عليهم السلام من بين حديث، أو آية، أو مقاطيع غراء في مديحهم، أو موعظة، أو حكمة، و كُلُّها بأنفس الخطوط، وأجود الزخارف الذهبية، فمن عطاها البالغة: (عزّ الدنيا بالملك وعزّ الآخرة بالأعمال) ومن منظوماتها الحكيمية:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً أقصر عناك فإن الرزق مقسوم
الرزق يأتي إلى من ليس يطلبه وطالب الرزق يسعى وهو محروم^(١)

ومن مدائح ذات تلك الحضرة الطاهرة ما هو مرقوم بالزخرفة على الباب الجنوبية التي تفتح على ذلك المسجد الرواقي منظوماً:

يا داخلاً حضرة القدس التي رُفِعَتْ عزّاً على هامة الجوزا قواعدها
لك البشارة فيما نلت من نعم عظيمة لا ينال الخير جاحدها^(٢)

ومن المدائح لسادة أهل البيت وإمامهم (صلوات الله عليه وعليهم) الأبيات الشهيرة للوزير الشهير (الصّاحب بن عباد)^(٣) - تغمّده الله تعالى برضوانه - وهي

(١) البيتان لأبي الفوارس سعد بن محمّد بن سعد بن الصفي التميمي البغدادي المعروف بـ(حيص ييص ت ٥٧٤هـ - ١١٧٨م). ولم يردا في ديوانه المطبوع ببغداد سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
ظ: (حياة الحيوان الكبرى، للدميري (ت ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م) ص ١٦٦).

(٢) لم أعثر على قائله.

(٣) إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني. (٣٢٦هـ = ٩٣٨م - ٣٨٥هـ = ٩٩٥م). وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتديراً وجودة رأي، أستوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بـ(الصّاحب) لصحبته مؤيد الدولة من صباه، له تصانيف عديدة منها: المحيط، وكتاب الوزراء، والكشف عن مساويء شعر المتنبّي، وغيرها.

ظ: (الاعلام ١: ٣١٦).

مرقومة بأجود الأقلام، وأنفس الخطوط، وأبهى الزينة، وقد أنستُ بها على
حفظي لها ولكن:

ذُكِّرْتَنِي وَمَا نَسِيتُ عَهْدًا لَوْ سَلَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ مَا سَلَاهَا^(١)

ويحسن أن نختم المقام بها ضارعين إلى الله - سبحانه - أن يرزقنا وكافة
المؤمنين من إخواننا حسن الخاتمة، إن شاء الله تعالى.

وهي

بأسمائِكَ الحسنَى أروِّحْ خاطري	إذا هبَّ من قدسِ الجلالِ نسيْمُها
إذا مرضتُ نفسي فأنتِ شفاؤُها	وان شقيتُ يوماً فأنتِ نعيمُها
أبا حسن لو كان جَبَّكَ مُدْخِلي	جهنم كان الفوزَ عندي جحيْمُها
وكيف يخاف النار من كان موقناً	بأنَّكَ مولاه وأنتِ قسيْمُها
رضيتُ بأن ألقى القيامةَ خائضاً	دماءَ نفوس حاربتك جسومُها
فوا عجباً من أمة كيف ترتجي	من الله غفراناً وأنتِ خصيْمُها
وواعجبا إذا أخرتَكَ وقَدِّمتُ	سواك بلا فضل وأنتِ زعيْمُها ^(٢)

رزقنا الله وإيَّاه شفاعة هذا الزعيم على هذا الولاء والخلوص، والشعر الفائق

(١) ظ: (ديوان الأزرعي الكبير ص ٣٤).

(٢) الأبيات الواردة للشيخ الحافظ رضي الدين محمد بن رجب البرسي الحلبي (من أعلام القرن
الثامن والتاسع الهجري) انظر: ديوانه: ص ١٦٣ - ١٦٤.

ظ: (مشارك أنوار اليقين ص ٢٧٠) و(مناقب آل أبي طالب ٢: ١٠، بدون نسبة البيت الثالث
والرابع)، وكذا في ديوان (الصاحب بن عباد ص ٢٧٥، منسوبة إليه).

الراقي، والذكر الجميل الباقي ونسأله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت.

إنَّه أرحم الراحمين.

تمت بيد جامعها الأحقر محمد حسين آل كاشف الغطاء (٩ صفر سنة

١٣٣٠هـ)^(١).

(١) في الميلادي (١٩١٢م).

الفهارسُ الفنيّة

فهرسُ الآيات

فهرسُ الأحاديث

فهرسُ الأشعار

فهرسُ الأعلام

فهرسُ الأعلامِ المترجمين في الها مش

فهرسُ البيوتات والفرق والقبائل

فهرسُ الأماكن والبلدان والأنهار

فهرسُ المصا در

فهرسُ المحتويات

فهرس آيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	الفاتحة	٥	٢٦٣
﴿وَإِيَّايَ فَازْهَبُونِي﴾	البقرة	٤٠	٢٦٣
﴿وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِي﴾	البقرة	٤٤	٢٦٢
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ...﴾	آل عمران	٩٧	٧١
﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾	النساء	٢٤	١٠٥
﴿كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	النساء	٧٨	١٧٣
﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ...﴾	النساء	١٠٠	٢١٤
﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا...﴾	النساء	١٥٣	١٠٥
﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾	المائدة	١	٢٦٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾	المائدة	٦	٢٦٣، ١٠٤
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ...﴾	المائدة	١٨	٧٢
﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾	الانعام	١٠٠	٢٢٨
﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ...﴾	الأعراف	١٤٣	١٠٥
﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾	التوبة	١٠٨	٢٢٠
﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنْ...﴾	التوبة	١٢٠	٢١٣
﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾	يونس	٢٢	٥٣، ٤٣
﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾	يوسف	٧٦	١٠٧
﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾	النحل	٦٠	٢٥١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ ...﴾	الإسراء	١	٢٥
﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾	الإسراء	٤٤	٢٥٦
﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَّكَلَمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ ...﴾	الكهف	١٠٩	٢٥٦
﴿طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾	طه	١	٢٥٥
﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾	طه	١٠٧	٩٣
﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى ...﴾	الحج	٢٧	٥٣
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ ...﴾	الحج	٤٦	١٣٩، ٩١
﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاهِجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ ...﴾	المؤمنون	٦	١٠٥
﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾	النور	٤٠	٨٨
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ...﴾	الأحزاب	٣٣	١٠٦
﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾	فصلت	٥٣	٢٤٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ ...﴾	الفتح	١٠	١٠٥
﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾	النجم	٣٩	١٧٣
﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	الواقعة	٧٩	٧٥
﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾	الطلاق	٩	٢٢٣
﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ ...﴾	الملك	٤	٨٨
﴿يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ لِمَ تُؤَلِّلُ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	المزمل	١، ٢	٢٥٥
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾	القيامة	٢٢	١٠٥
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾	المرسلات	٢٥	٩٠
﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾	النبأ	٦، ٧	٩٠

فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ

الصفحة	القائل	الحديث
١٧٣	النبي الأكرم ﷺ	«...اعملوا فكلُّ ميسرٍّ لما خلق له...»
١٢١	الإمام الصادق عليه السلام	إنَّ الله خلق أسماء بالحروف غير مصوَّت وباللفظ غير منطوق...
١١٥	الإمام الصادق عليه السلام	إنَّ لله علمين: علم مكنون مخزون، لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلم علَّمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه.
١٨٥	الإمام السجاد عليه السلام	«إنَّ هذا يومٌ مباركٌ ميمونٌ والمسلمون فيه مجتمعون...»
١٠٦	الإمام الصادق عليه السلام	جاء خبرٌ إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟ قال: فقال: ويلك ما كنتُ أعبد ربا لم أره، قال: وكيف رأيته؟ قال: ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان.
٢٥٤، ٣٧	النبي الأكرم ﷺ	حُبِّ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثُ: النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَقُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ
٢٤٨	الإمام الصادق عليه السلام	(... خلق الله اسماً بالحروف غير مصوَّت وباللفظ غير منطوق...)
٢٤٧	الإمام الصادق عليه السلام	خلق الله الأشياء بالمشيئة
١٧٩	الإمام الصادق عليه السلام	رأيتُ فلاناً بعد نزوله من منى يطوف في ثيابه قال عليه السلام: بثس ما صنع .
٢٥٣	الإمام الصادق عليه السلام	سئل عن الميت يلى في جسده، قال: نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خلق منها فإنها لا تبلى، تبقى في القبر مستديرة حتى يخلق منها كما خلق أول مرة

- سألته عن الحجر فقال: إِنَّكُمْ تَسْمُونَهُ الْحَاطِمِ، وَإِنَّمَا كَانَ
لِغَنِمِ إِسْمَاعِيلَ، وَإِنَّمَا دَفِنَ فِيهِ أُمُّهُ وَكَرِهَ أَنْ يُوطَأَ قَبْرُهَا
فَحَجَرَ عَلَيْهِ ...
- ١٨٦ الإمام الصادق عليه السلام
- عبيدي خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي، وهبتك الدنيا
بالإحسان و الآخرة بالإيمان
- ٢٥٢ حديث قدسي
- كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئاً فجعل ينكت به الأرض،
فقال: ما منكم من أحد الا وقد كُتِبَ مقعده من النار، ومقعده
من الجنة...
- ١٧٣ الإمام علي عليه السلام
- كُنْتُ كُنْزاً مَخْفِيًّا فَاحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِكَيْ
أُعْرَفَ.
- ٢٥١ حديث قدسي
- «... اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَخَلْفَانِكَ وَأَصْفِيَانِكَ وَمَوَاضِعُ أَمْنَائِكَ
فِي الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ الَّتِي اخْتَصَصْتَهُمْ بِهَا قَدْ أَبْتَرَوْهَا مِنْهُمْ وَأَنْتَ
الْمُقَدَّرُ...»
- ١٨٥ الإمام السجاد عليه السلام
- اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلاَةٌ أَمْرِكَ،
الْمَأْمُونُونَ عَلَى سِرِّكَ ...
- ٢٤٨ الإمام الحجة عليه السلام
- النساء لحم على وضم إلا ما ذب عنه
والذي بعث جدي (صلوات الله عليه وآله) بالحق نبياً إن الله
(عز وجل) ليرزق العبد على قدر المروءة وإن المعونة ...
- ٢٢٤ أمير المؤمنين عليه السلام
- ٩٤ الإمام الصادق عليه السلام
- ٩١ دعاء / النبي
الأكرم ﷺ

فهرسُ الأشعار

البيت الشعري	آخر البيت	الشاعر	الصفحة
الهمزة			
أأله مركب ما سمعنا	أجزاء		٢٢
الألف			
عند الصبّاح يحمّد القومُ الشّري	الكري	الشمّاح بن ضرار الغطفاني	٢٠٩
الباء			
فوقفتُ حتّى ضجّ منْ لَغَبٍ	الركب	الشرّيف الرضي	١٩٥
في ليلة من جمادى ذات أنديّة	الطنبا	مُرّة بن محكان السّعديّ	١٦٢
لو سمعت بقعة الإعظام أخرى	الجديب	أبو تمام	١٣٢
مرّت بنا بَيْنَ تَرْيِيْهَا فقلْتُ لها	العربا	المتنبّي	٧٥
واحرِباً يا آلَ حَرْبٍ مننْكمُ	واحربا	عبد الباقي العمري	٢١٣
وتأخذه عند المكارم هزّة	الرطب	الأقرع بن معاذ القشيري	١٧٢
التاء			
روشن از بر تو رُويت نظري نیست که نیست	نیست	الحافظ الشيرازي	١١٤
مرا به كعبه جه حاجت که جار دیوار	راست		١٠١

الحاء

٧٥	المضرب عقبه بن كعب بن زهير	الأباطح	أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
١٠١		نشرح	إذا ضاقت بك الدنيا
١١١	ذو الرمة	أسجح	هأأذن حشر وذفرى أسيلة

الخاء

٢٦٠	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	أناخا	أبا الفضل ارتقى ركب المعالي
-----	-------------------------------	-------	-----------------------------

الدال

٦٧	النابعة الديباني	لبد	أمست خلاء وأمسى أهلها احتملوا
٢٥١		نشد	حق زايجاد جهان أفزون نشد
٧٤	سراج الوراق	البادي	فلو بدت لحسان الحضرة قمن لها
١٤٢	أبو البحر الخطي	تقاعد	فيا كربلا طلت السماء وربما
٢١٢	المتنبى	الصيد	من علم الأسود المخصي مكرمة
٢٤٦	أبو العتاهية	الواحد	وفي كليل شيء لئه آية
٢٦٥		قواعد	يا داخلا حضرة القدس التي رفعت
٩٩		سكنوا	يا دار لا دار فيك الهم والحزن

الراء

١٩٢	أمير المؤمنين علي عليه السلام	تقدير	اصبر قليلاً فبعد العسر تيسير
١٣٤	أمير المؤمنين علي عليه السلام	الفجر	تزود من التقوى فإنك لا تدري

١٣١	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	الإدكار	عَبَّرْ لُو وِراءَهْنِ اعْتَبَار
١٣٠		تحار	كَمْ عَلَى هَذِهِ الْبَسِيطَةِ مِنْ حَرٍّ
١١٣	ميمون بن قيس	الماطر	مَا يَجْعَلُ الْجَدُّ الظَّنُّونُ الَّذِي
١٧١	أبو صخر الهذلي	القطر	وَإِنِّي لَتَعْرِوْنِي لِذِكْرِكَ فِتْرَةٌ
٣١	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	صخره	يَدْهَشُ اللَّبَّ مِنْ كَرْنَدِ جِبَالِ

السين

٢٣٥	الأخ الشريف (السيد علي العلاق)	عروسه	أَتَيْنَا مَنْزِلًا فِي جُنْحِ لَيْلٍ
٢٣٦	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	حسيسه	فَظَلَّ مَنَاشِدًا عَنْهَا بِصَوْتٍ
٢٠٤	أبو صَعْتَرَةَ الْبَوْلَانِي	دامس	فَمَا تُطْفِئُهُ مِنْ مَاءٍ مُزْنٍ تَقَاذَفَتْ

الضاد

١٢٢	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	نهوض	خَلِيلِي هَلْ أَنْتَ لِي مَسْعُدٌ
-----	-------------------------------	------	-----------------------------------

الطاء

٢٢٤	عبد الله بنُ فَرَجِ الْيَحْصَبِي	سقط	وَنَحْنُ بَيْنَ عَدُوٍّ لَا يَفَارِقُنَا
-----	----------------------------------	-----	--

العين

٢٠٣	ذو الرمة	الوقائع	وَنَلْتَا سِقَاطًا مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ
-----	----------	---------	---

الفاء

٢٢٩		بعارف	تَوَسَّسَ وَالِدِي فِي الْمَزَايَا
-----	--	-------	------------------------------------

اللام

٥٣	أبو الأسود الدؤلي	مثل	إذا كنتَ معنيًّا بأمرٍ تُريدُهُ
٢١٦		البال	دع المقادير تجري في أعنتها
٤٠	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	ووائل	فيا قريش الحمس يالغالب
١٠٨	الشافعي	له	لو أن المصطفى أبدى محلَّه
٢٢٥	أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني	الأول	ما أن دُفعت إلى زمانٍ آخرٍ
٥٤	لم يعرف قائله	مالي	وتلك سُؤُونَ شَتَّت اللَّبَّ جَمْعُهَا
١٩٢		الجميل	وخديجة وتطلعت منها أشعة آله
٨٨	علي بن الجهنم	تتحمل	وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ

الميم

٢٠٩	دعبل بن علي الخزاعي	يكرمه	إذا ما أهانَ امرؤُ نفسَهُ
٢٦٦	محمد بن رجب البرسي الحلبي	نسيمها	بأسمائك الحسنَى أروح خاطري
٢٧	الشيخ محمد رضا الشيباني	اتتمي	تقدم إماما في العلوم مصليا
١٢	الشيخ محمد طه نجف	العظيم	تمام الحج ان تقف المطايا
٢٧	الشيخ محمد علي اليعقوبي	إمام	قد قدموك أمامهم بصلاتهم
٢١٩	زهير بن أبي سلمى	الدم	لسانُ الفتى نصفٌ ونصفُ فؤاده
٢٦٥	أبو فراس (الحيص بيص)	مقسوم	يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً

النون

٧٠	المتنبى	الخشن	قد هَوَّنَ الصَّبْرَ مَنَّا كُلَّ مُصْعَبَةٍ
٢٢٣		أُذْنَانِ	مِثْلَ الْحَمَارِ مَضَى يَرُومَ لِرَأْسِهِ
٣٢	الشيخ علي البازي	بيانه	هَتَفَ النِّعَى بِفَقْدِ مَنْ كَشَفَ الْغَطَاءَ
٢٣٩	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	الظنون	وَجَارِيَةٌ ظَنَنْتُ لَهَا جَمَالاً
٦٤	المتنبى	أَمْنَا	وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى

الهاء

٢٦٦	الصاحب بن عباد	سلاها	ذَكَرْتُ نِيَّ وَمَا نَسِيتُ عَهْدَا
-----	----------------	-------	--------------------------------------

الياء

٢١٤		مَنِّي	أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْهُمْ وَعَنِّي
١٠٨	الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء	نائبتي	رُوحِي عَلَى الْبَعْدِ مِنْكُمْ كُنْتُ
٧٩	المتنبى	أَبَالِي	وَهَانَ فَمَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا

فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ

- (أ)
- النبى الأكرم مُحَمَّد ﷺ: ٨، ١١، ٢١، ٢٢، ٣٥، ٣٦، ٧٧، ٨٥، ٩١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٥٤.
- آدم ﷺ: ٨، ٢٢، ٢٥٨.
- آمنة ﷺ: ١٨٤، ١٩٢.
- إبراهيم ﷺ، النبى: ٥٣، ١٨١.
- إبراهيم القيسي: ١٨١.
- إبراهيم بن النبى ﷺ: ٢٢٠.
- إبراهيم الوائلي، الأستاذ: ١٧.
- ابن إدريس: ٨١.
- ابن بويه الديلمي، مؤيد الدولة: ٢٦٥.
- ابن الرشيد، أحد أمراء نجد: ١٦٥.
- ابن الهروي: ١٠٠.
- ابن هشام: ٢١٤.
- أبو تمام: ١٣٢.
- أبو زيد: ٨٥.
- أبو صخر الهذلي: ١٧١.
- أبو صَعْتَرَة البَوَّلَانِي: ٢٠٤.
- أبو طالب سلام الله عليه: ١٨٤، ١٩٢.
- النبى الأكرم مُحَمَّد ﷺ: ٨، ١١، ٢١، ٢٢، ٣٥، ٣٦، ٧٧، ٨٥، ٩١، ١٤٥، ١٤٨، ١٥٤، ١٥٦، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٦، ١٩٧، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣٣، ٢٥٤.
- الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: ٧، ٨، ٩، ٢٨، ٣٦، ٦٢، ٧٦، ٨٠، ٨٥، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٦٥، ١٧٣، ١٨٥، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٦٤.
- السيدة فاطمة الزهراء ﷺ: ٣٥، ٣٦، ٧٥، ١٠٦.
- ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٠، ٢٢٠.
- الإمام الحسن السبط ﷺ: ٢٦٤.
- الإمام الحسين ﷺ = سَيِّد الشهداء ﷺ: ٢٠، ٣٥، ٧٥، ١٠٠، ٢٠٦.
- الإمام الصادق ﷺ = أبو عبد الله ﷺ: ٩٤، ١٠٦، ١١٥، ١٧٩، ١٨٦، ٢٤٨، ٢٥٣.
- الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ: ٢٩.
- الإمام الحجة ﷺ: ٢٤٨.

- أبو العتاهية: ٢٤٦.
- إسحاق بن إبراهيم الموصلي: ٤٣.
- أبو الفضل العباس (عليه السلام): ٢٠، ٢٥٩.
- إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام): ١٨٦.
- أبو مدلاج التميمي: ٧٠.
- إسماعيل باشا: ٢٢٩.
- أبو اليقظان: ٧٤.
- إسماعيل بن عباد بن العباس، المعروف
- بالصاحب بن عباد: ٢٦٥.
- أحمد بك الأسعد، الزعيم: ٢٩.
- إسماعيل اليزدي، السيد: ٢٣.
- أحمد تيمور باشا: ٤٠.
- الأعشى: ١١٢.
- أحمد حبيب زوين الحسيني، السيد: ١٢.
- أقرع بن معاذ القشيري: ١٧٢.
- أحمد الرفاعي: ١٠٨.
- أم إبراهيم (عليه السلام): ٢٢٠.
- أحمد الصافي النجفي، الشاعر الكبير السيد:
- أمير احتشامي، الزعيم: ٢٩.
- ١٧.
- أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت
- أمين الصرة: ١٥٩.
- أحمد عارف الزين، الشيخ: ٢٠.
- أيوب، النبي: ٦٣.
- أحمد علي مجيد الحلبي: المحقق: ٤٤.
- (ب)
- أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
- باترماولي، صاحب (جريدة المراقب): ٣٩.
- البيابانكي = الشيخ ركن الدين علاء الدولة
- بارون كارا دي فو: ١٠.
- السمناني: ٥٨، ٥٩.
- البلادي: ٢٣٣.
- أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني: ٢٢٥.
- بلال بن رباح: ١٨١.
- أحمد محمود شاكر: ٢١.
- البهائي، الشيخ: ٦، ٥٩.
- أحمد المصري: ٢٣٩.
- (ج)
- أحمد بن يحيى بن جابر: ٧٠.
- جاك بيرك: ١٠.

- جان باتيست تافرنيه وف: ١٠.
- الحلي، العلامة: ٦.
- جان ديولافوي: ١٠.
- حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، أسد الله: ١٥٨،
- ١٥٩، ٢١٥.
- جعفر بن أبي طالب عليه السلام: ٨٥.
- جيدر الجدر، الاستاد: ٤٤.
- جعفر كاشف الغطاء، الشيخ الكبير: ١٢، ١٥،
- ١٤٧.
- جيدر الحلي، السيد: ٥٥.
- جعفر كبة، الوجيه: ٥٥.
- (خ)
- جمال السفاح: ٤٠.
- خديجة عليها السلام: ١٨٤، ١٩٢.
- جمال بن محمد باقر الأصفهاني، الشيخ آغا:
- خليل باشا: ٢٣.
- ١٤٧.
- (د)
- داود، النبي: ٢٤٩.
- الجيوبوليتيكي الفرنسي فرانسوا تيال: ١٠.
- الداودي: ١٧٨.
- (ح)
- الحبوبي، السيد: ١٦.
- (ر)
- حبیب العبيدي، السيد: ٢٤.
- الرشيد: ١٠٠، ٢٠٥.
- حبیب الله الرشدي، الميرزا الشيخ: ١٤٧.
- رشيد رضا (صاحب مجلة المنار)، السيد: ٢٤.
- حبیب التجار: ٧٦.
- رضا الهندي، السيد: ١٣.
- الحجّاج بن يوسف: ٧٤.
- ربطة ابنة أبي العباس السّفّاح: ١٥٤.
- حسن رضا، الواعظ: ٢٤.
- (ز)
- حسن صاحب (أنوار الفقاهة)، الشيخ: ١٤٧.
- زبيدة بنت جعفر بن المنصور، أم محمّد
- الأمين: ١٦٦، ٢٠٥.
- حسن صاحب (جواهر الكلام)، الشيخ: ١٤٧.
- الزمخشري: ٢١١.
- حسين بن علي بن محمد الحسنی، الملك =
- الشريف حسين باشا، سيّد الجميع: ١٠٧، ١٨٩.
- زهير بن أبي سلمی: ٢١٩.

- زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام: ٢٦٤.
- (ط)
- طالب، الحاج الوجيه: ٢٨.
- (س)
- سالم الطريحي، الشيخ: ١٢.
- طاهر الجزائري: الشيخ: ٤٠، ٤١.
- سعد من بني عذرة: ٨٥.
- طهراني، الشيخ: ٤٢.
- سليم البشري، الشيخ = شيخ الأزهر: ٢٠، ٢١.
- طهماسب الصفوي، السلطان: ٢٢٨.
- سليم خان، السلطان: ١٨٧، ٢٣٨.
- (ظ)
- ظالم بن عمرو، أبو الأسود الدؤلي: ٥٣.
- سليمان بن داود عليه السلام: ٩٧، ١٢٤.
- (ع)
- الشابشتي: ٧٨.
- عاتكة ابنة عبد الله بن زيد بن حارثة، عمّة
- شلي شميل: ٢٥٣.
- رسول الله ﷺ: ١٥٤.
- الشهيد الأول: ٦.
- عاد: ١٣٠.
- الشهيد الثاني: ٦.
- العارف المشهور: ٦٣.
- عباس، الحاج: ١٤١.
- شوكت علي الهندي: ٢٤.
- عباس الصفوي الثاني، السلطان شاه: ٦٠.
- شيخ الشريعة الأصفهاني: ١٦، ٢٣.
- عباس هاني الجراخ، الدكتور: ٤٤.
- شريف كاشف الغطاء، الشيخ: ٤٤.
- عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العمري
- (ص)
- الفاروقي الموصلي: ٢١٣.
- صالح عليه السلام، النبي: ٨، ١٣٠، ١٤٩، ١٥١.
- عبد الحميد خان الثاني نجل عبد المجيد
- صالح الشهرستاني، السيد: ٢٩.
- الأول: ١٠٩.
- (ض)
- عبد الرحيم بن محمد الحسيني الجرجاني:
- ضياء الدين الطباطبائي، رئيس وزراء إيران:
- ٢٢٨.
- ٢٤.

- عبد الرزاق محي الدين، الدكتور: ١٧. عبد المحسن الكاظمي: ٦.
- عبد الستار الحسني، العلامة السيّد: ٤٤، ٦٣، ٩٦. عبد المطلب سلام الله عليه: ١٨٤، ١٩١.
- عبد العزيز العال، المحقق: ٤٤. عبد مناف سلام الله عليه: ١٩١.
- عبد العزيز خان بن محمود خان الثاني، السلطان: ١٩٦. عبد المهدي المظفر، الشيخ: ٢٨.
- عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن جنكي، الشيخ = الشيخ عبد القادر: ٩٦. عبيد العلي الرشيد: ١٩١.
- عبد الكريم الحائري اليزدي، الشيخ: ٢٨. عزيز بك أفندي: ١٠٧.
- عبد الكريم الزنجاني، الشيخ: ١٥. عطية دوش، الحاج الحملدار: ٥٤.
- عبد الكريم اللاهيجي، السيّد: ٥٧. عقيل بن عُلقَة: ١٥١.
- عبد الله، السيّد = (ابن أخو السيّد مهدي الزكرتي): ١٤٧. علي باشا، الوزير: ٢٢٩.
- عبد الله العلي الرشيد: ١٩١. علي الداماد، السيّد: ٢٣.
- عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور بـ(ابن العسال): ٢٢٤. علي بن موسى بن طاوس، السيّد رضي الدين.
- عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن المروزي: ٦٣. أبي القاسم: ٢٠٦.
- عبد المجيد بن محمود الثاني، السلطان العثماني: ١٥٤. علي بن ياسين بن مطر الحسني العلاق.
- عبد المحسن شلاش، الحاج: ٢٠٧. النجفي، السيّد = السيّد الشريف: ١٧٤، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٦.
- علي الحسيني السيستاني، آية الله العظمى السيّد: ٤٤.

- علي محمد العلوي الكوفي، الحمانى: ٤٣.
- علي أصغر الهزارجربى المازندراني = الشيخ المازندراني: ٣٤، ٥٧، ٨٧، ٢٤٦.
- علي أكبر المازندراني، الشيخ: ٥٧.
- عمار بن موسى: ٢٥٣.
- عمار بن ياسر: ٧٠.
- عمر بن الخطاب: ٧٠، ٩٩، ١٠٦.
- عمر بن عبد العزيز: ١٥٥.
- عمرو بن عوف: ٢١٩.
- عمرو بن ود العامري: ١٦٥.
- عنترة العبسي: ٢٣١.
- عيسى بن العادل، الملك المعظم: ٢٣٤.
- عيسى كمال الدين، السيد: ١٦.
- (ف)
- فخر الدولة البويهى: ٢٦٥.
- فخر الدين الطريحي، الشيخ: ١٥.
- فكتور بيراز: ١٠.
- فونتانييه وادريان دوبريه: ١٠.
- (ق)
- قيس الغزاوي، الدكتور: ١٠.
- (ل)
- لويس ماسينيون: ١٠.
- (م)
- مبارك بن صباح بن جابر ابن صباح، أمير الكويت: ١٦٣.
- المتنبى: ٦٤، ٧٠، ٧٥، ٧٩.
- محب الدين الخطيب، الشيخ: ٤٠.
- محسن الأمين العاملي: السيد: ١٣، ٣٧، ١٤١، ١٤٢، ٢٦٠.
- محسن الحكيم، السيد: ١٣.
- المحقق الداماد: الميرزا: ٥٩.
- محمد الآلوسى، الشيخ: ٧٦.
- محمد بن إبراهيم بن يحيى الشهير بملا صدرا الشيرازي، صدر المتألهين: ٥٩.
- محمد بن إدريس الشافعى = الشافعى: ٣٦، ١٠١، ١٠٤، ١٠٨.
- محمد الأمين العباسي: ١٦٦، ٢٠٥.
- محمد بخيت المطيعي، الشيخ: ٢١، ٢٢.
- محمد بهجت الاثرى: ٢٤.
- محمد تفاحة، المفتي: ٢٥.
- محمد جاسم الساعدي، الشيخ: ٢٥٣.
- محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر = الشيخ الطوسي: ٦، ٨، ٢٤٨.
- محمد رفعت أفندي: ٢٣٨.

- محمد زيارة، السيد: ٢٤.
- محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني
- محمد شاكر: ١٠٩.
- السبزواري، المحقق: ٦٠.
- محمد شكري أفندي حفطي: ١٥٧.
- محمد جمال الهاشمي، السيد: ١٣.
- محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد
- محمد جواد الطريحي، الدكتور: ٥، ٣٨، ٤٤.
- الكريم الأنصاري المعروف بـ(ابن
- محمد حسن بن محمود الحسيني المعروف
- بـ(المجدد الشيرازي)، السيد: ١٦٧.
- الزملكاني): ٢٢٧.
- محمد بن علي بن محمد ابن العربي
- الأندلسي = محي الدين بن عربي: ٥٨.
- محمد بن محمد بن الحسن الطوسي: ٢٢٨.
- محمد بن محمد شمس الدين بن كمال
- الدين، الحافظ الشيرازي: ١١٤.
- محمد بن محمد كاظم اليزدي، السيد: ٢٣.
- محمد بن مسعود بن مصلح الشيرازي، قطب
- الدين: ٢٢٨.
- محمد بن مكّي العاملي، الشهيد الأول: ٨٠.
- محمد بن موسى الكاظم عليه السلام، السيد = الشيخ
- الحديد: ٧١.
- محمد إبراهيم الكلباسي، الشيخ: ١٤٧.
- محمد إقبال لاهور الهندي: ٢٤.
- محمد أمين الحسيني، المفتي: ٢٤، ٢٥.
- محمد باقر بن محمد تقّي الأصفهاني
- النجفي، صاحب (هداية المسترشدين): ١٤٧.
- محمد الحسين آل كاشف الغطاء = كاشف
- الغطاء، الشيخ: ٨، ١٣، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٣،
- ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤٢،
- ٤٣، ٥٧، ٩٦، ١٣٩، ٢٠١، ٢٥٠، ٢٦٧.
- محمد حسين بن هادي الصدر، السيد: ٩٧.
- محمد رشاد (أخو عبد الحميد خان الثاني): ١٠٩.
- محمد رضا الشيباني، الشيخ: ١٧، ٢٧.
- محمد رضا القاموسي، الأستاذ الفاضل: ٤٤.
- محمد رضا المظفر، الشيخ: ١٨.
- محمد سعيد الزهاوي: ٢٥٣.
- محمد طه نجف، الشيخ: ١٢، ١٦٧.
- محمد علي بحر العلوم، السيد: ١٦، ٢٧.
- محمد علي رضا إخوان، الحاج: ١٤٠.
- محمد علي يعقوبي، الشيخ: ٢٧.
- محمد كاظم الخراساني النجفي، الشيخ
- الآخوند: ٥٧، ٢٢٣.

- (ن) محمد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي
اليزدي، السيد: ٢٣، ٥٧، ٢٦١.
الناطقة الديباني: ٦٧.
ناظم باشا: ٢٥٣.
نعمان الأعظمي، الشيخ: ٢٤.
نفيصة (زوجة رجل مصري): ٢٣٥، ٢٣٦.
النهري، ملا: ١٠١، ١٠٤، ١١٢.
نوح عليه السلام: ٨.
(هـ) هارون عليه السلام: ١٢.
هاشم المدرس، الميرزا: ٥٧.
هشام بن ضياء الخطيب الهيتي، السيد: ٦٢.
هود عليه السلام: ٨.
هولاكو: ٢٢٨.
هيت بن السبندى: ٦٢.
(و) مهدي بن داود الحلبي، السيد: ٥٥.
مهدي بن سلمان العوادي الموسوي
الزكري، السيد: ١٤٧.
مهدي العباسي: ٢٠٥.
مهدي المخزومي، الدكتور: ١٧.
النبي موسى عليه السلام: ٧٧.
ميمون بن قيس: ١١٣.
(ي) يعقوب البخاري، الشيخ: ٢٤.

فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ الْمُرْجَمِينَ فِي الْهَامِشِ

(أ)

الفاروقي الموصلي: ٢١٣.

أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت
بن إسماعيل رائف باشا: ٢٢٦.

عبد الحميد خان الثاني نجل عبد المجيد
الأول: ١٠٩.

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد
البيبانكي = الشيخ ركن الدين علاء الدولة
السمناني: ٥٨.

عبد العزيز خان نجل محمود خان الثاني،
السلطان: ١٩٦.

إسماعيل بن عباد بن العباس، المعروف
بالصاحب بن عباد: ٢٦٥.

عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله بن
جنكي، الشيخ = الشيخ عبد القادر: ٩٦.
عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن
المروزي: ٦٣.

(ج)

جمال بن محمد باقر الأصفهاني، الشيخ آغا:
١٤٧.

عبد المجيد بن محمود الثاني، السلطان
العثماني: ١٥٤.

(ح)

حسين بن علي بن محمد الحسني الهاشمي،
الملك = الشريف حسين باشا: ١٨٩.

عبد المحسن شلاش، الحاج: ٢٠٧.
عزيز بك أفندي: ١٠٧.
علي بن ياسين بن مطر الحسني العلاق
النجفي، السيد: ١٧٤.

(ز)

زبيدة بنت جعفر بن المنصور، أم محمد
الأمين: ٢٠٥.

علي أصغر الهزارجري المازندراني، الشيخ: ٥٧.
(م)

(ع)

عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العمري

مبارك بن صباح بن جابر بن عبد الله ابن
صباح، أمير الكويت: ١٦٣.

- محسن بن عبد الكريم ابن السيد علي الأمين الحسيني العاملي، السيد: ١٤١.
- محمد بن إبراهيم بن يحيى الشهير بملا صدرا الشيرازي، صدر المتألهين: ٥٩.
- محمد بن إدريس الشافعي: ١٠٨.
- محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري المعروف بـ (ابن الزملكاني): ٢٢٧.
- محمد بن علي بن محمد ابن العربي الأندلسي = محي الدين بن عربي: ٥٨.
- محمد بن محمد بن الحسن الطوسي: ٢٢٨.
- محمد بن محمد شمس الدين بن كمال الدين، الحافظ الشيرازي: ١١٤.
- محمد بن مسعود بن مصلح الشيرازي، قطب الدين: ٢٢٨.
- محمد باقر بن محمد تقى الأصفهاني النجفي، صاحب (هداية المسترشدين): ١٤٧.
- محمد باقر بن محمد مؤمن الخراساني السبزوارى، المحقق: ٦٠.
- محمد حسن بن محمود الحسيني المعروف بـ (المجدد الشيرازي)، السيد: ١٦٧.
- محمد حسين بن هادي الصدر، السيد: ٩٧.
- محمد طه نجف، الشيخ: ١٦٧.
- مهدي بن سلمان العوادي الموسوي الزكرتي، السيد: ١٤٧.

فهرسُ البُوتات وَالْفِرَق وَالْقَبَائِل

أهل الخاوات: ٢٠٩.	(أ)
أهل الدير: ٩٧، ١٢٠.	آل البيت (عليه السلام) = أهل البيت
أهل السنة: ٤١، ٥٩، ٦١، ٢٥٣، ٢٦٤.	النبي (صلى الله عليه وآله): ٩، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ١٠٦، ١٠٧، ١٢١،
أهل الطائف: ٧٤.	١٩٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٦٥.
أهل العراق: ٣٤، ٥٤، ٦٦، ٧٧، ١٦٩.	آل رشيد = إمارة جبل شمر = أمراء حائل:
أهل قباء: ٢٢٠.	١٨٣، ١٩١، ١٩٨.
أهل الكاظمية: ٥٤، ٥٥.	آل الصباح: ١٦٣.
أهل المدينة: ١٥٧، ١٥٨، ١٨٩، ٢١١، ٢٢٠،	آل كبة: ٥٥.
٢٢٢.	الأحزاب: ٢١٧.
أهل مكة: ١٥٤، ١٨٣، ١٨٧، ١٨٨.	الإسماعيلية: ٣٧، ٢٥٧.
أهل اليمن: ١٧٨.	الأشاعرة: ١٠٥.
أهالي كرمشاه: ٢٩.	الإفرنج: ٨٥.
أهالي مدينة الكوفة: ٢٧.	أنصار: ٢١٩.
الإيرانيون: ٩٣، ١٧٤، ١٧٨، ٢١٤.	الإنكليز: ٢٣.
(ب)	أهل الأبواء: ٢١٦.
البجاة: ١٧٧، ١٨٣، ١٨٨.	أهل بغداد = البغداديون: ٥٥، ٨٩، ١٤٢.
بخارى: ٢١٨.	أهل الحجاز: ١٦٠، ٢٢١.
البخاريون: ١٧٨.	أهل حلب: ٨٩.

- البرنو: ١٧٨. (ث)
- البريطانيون: ٢٣. ثمود = قوم صالح: ١٤٩، ١٥١.
- بنو آدم: ٢٢. (ح)
- بنو بركة: ١٦٣. الحيش: ١٨٨.
- بنو حنظلة: ٦٣. الحنفي: ١٠٧.
- بنو سليم: ١٦٢. (د)
- بنو شبة: ١٨٤، ١٨٧. الديلم = الديلميون: ٦١.
- بنو عامر بن لؤي القرشيين: ١٧٤. (ر)
- بنو عبد الدار بن قُصي بن كلاب بن مُرّة: ربيعة: ٥٥.
١٨٤. الرفاعي: ١٠٧.
- بنو عبد شمس بن عبد مناف: ١٥٤. الروس: ١١٢.
- بنو عبد الله: ١٦٣، ٢٠٢. الروم: ٨٥، ١٠٠.
- بنو عبد مناف: ٢١٢. (س)
- بنو عذرة: ١٤٥. السعوديون: ١٧٨.
- بنو علوي: ١٦٣. سودان التكارنة: ١٧٨، ١٨٠، ١٨٨، ٢٥٩.
- بنو علي: ٢٠٢. (ش)
- بنو عمرو بن عوف: ٢١٩. الشافعية: ٧٧، ٩٦، ١٠٧، ١٠٨.
- بنو هاشم: ١٨٤، ١٩١. الشاميون: ١٧٨.
- البهرة: ٣٧. الشيعة = الإمامية = الجعفرية: ٦، ١٠، ٢٦.
- ٣١، ٤٠، ٤١، ٥٩، ٩٦، ١٠٤، ١٠٥، ١٤١. (ت)
- الترك: ٤٠. ١٦٧، ٢٠٢، ٢١١، ٢٦٠.

(ط)

الطائفة الآلوسية: ٧٦.

(ن)

النجفيون: ١١، ١٦، ١٧، ١٧٤.

(ع)

العثمانيون: ٥٦.

النخاول: ٢٢١.

العجم: ٢١١.

النصارى: ٢١، ٢٢، ٥٩، ٦١، ١٠٤.

العراقيون: ١٧٤، ١٧٨.

نقشبندية: ١٠١، ١٠٩.

عشائر حرب = قبائل حرب = الحربيون =

النوبة: ١٨٨.

بنو حرب: ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٥، ٢٠٣،

(هـ)

٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٢١، ٢٣١.

هراقلة الشام: ٨٠، ٨٥.

(ف)

هوازن: ١٦٥.

الفرس: ٧٧، ١١٤.

الهوسا: ١٧٨.

الفلاتة: ١٧٨.

(ي)

(ق)

اليمنيون: ١٨٨.

قبيلة عتية: ١٦٥، ١٦٦.

اليهود: ٥٩، ٦١، ٧٧، ١٠٤.

قبيلة مطير: ١٦٣، ٢٠٠.

القياصرة: ٨٠.

(ك)

كاشغري: ٢١٨.

(م)

الممالك عثمانية: ٢٥٣.

فَهْرَسُ الْأَمَاكِنِ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَنْهَارِ

الأنبار: ٦٠، ٦٢، ٧٠، ٧٦.	(أ)
الأندلس: ٥٨.	آلوس = آلوسة: ٣٥، ٧٦.
أنقرة = أنكورية: ١٠٠.	الأبطح = وادي مكة = وادي إبراهيم: ١٨٤،
الأهواز: ١٥.	١٩٢، ٢١٥، ٢٢١.
إيران: ٦، ١٥، ١٧، ١٨، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣١،	أبو قبيس: ١٧٥، ١٨١، ١٩٨.
١٤٧، ٢٢٣.	أبو كمال: ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٩٧، ٩٨، ١٠١.
إيطاليا: ١٠١.	أبيار علي: ١٦٠.
(ب)	الأخضر = الوادي الأخضر: ١٤٨.
بئر برود: ١٧١، ١٩٨.	الأردن: ٢٤.
البئر الجديدة: ١١٢، ١١٧، ١١٩.	الأرك: ١٢٣.
بئر الخاتم = بئر أريس: ٢٢٢.	استانبول: ١٠٧.
بئر الزرقعة: ٢٢٢.	الاستانة: ١٠٩، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٨.
بئر زمزم: ١٨٧.	اسلامبول: ١٠٩.
بئر شديد: ٢٤١.	أشراف القواسم: ٢٢٠.
بئر هرمس: ٢٤٠.	اصطبل عنترة: ٢٣١.
باب بني شيبه = الباب الكبير: ١٨٧.	إصفهان: ١٥، ٢٨، ٦٠، ١٤٧.
باب جبرئيل = باب النبي = باب آل عثمان:	أفريقيا: ١٧٨.
١٥٤، ١٥٥، ٢٢٦.	إمارة مهد الذهب: ١٦٦، ٢٠٢.
باب الجمعة: ١٥٨.	الأملح: ١٦٠.

- باب الرحمة = باب عاتكة: ١٥٤. يوشهر: ٢٨.
- باب السلام: ١٨٧، ١٥٤. بيت أمير المؤمنين (عليه السلام): ٣٦.
- الباب الشامى: ٢٢٠. بيت الخلوة لأمر المؤمنين، والزهرء سلام
- باب العنبرية: ١٥٤. الله عليهما: ٢٢٠.
- باب قباء: ٢٢٠. بيت عزلة النبي صلوات الله عليه وآله: ٢٢٠.
- باب المجيدية = المجيدية: ١٥٥، ٢١٧، ٢٢٠. بيت الله الحرام: ١١، ٤٢، ٩٧، ١٤٦، ٢١٢.
- باب النساء = باب ريمة: ١٥٤، ١٥٦. بيت المقدس: ٢١٧، ٢١٩.
- باريس: ٢٢٩. بيت النبي (عليه السلام): ٣٦، ١٥٦.
- باكستان: ٣٠. بيروت: ٢٠، ٢٦، ٣٩، ١٩٠، ٢٤٣، ٢٥٣.
- بالس: ٩٢. بيشاور: ٣٠.
- بركة أبناء سعد من بني عذرة: ١٤٥. (ت)
- بركة زبيدة = البركة: ١٦٦، ١٩٩، ٢٠٤. تبالة: ٧٤.
- برود: ١٧١. تبريز: ١٥، ٢٢٨.
- البصرة: ٢٣، ٢٨، ٣٠. تبوك: ٨٥، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩.
- بطن الغول: ٢٤٠. ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٤٠.
- بغداد: ٦، ١٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٣٠، ٣١. تدمر: ٩٧، ١٢٤، ١٣٤، ١٤٤.
- ٣٢، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٧٦، ٩٧، ١٠٧. تربة الغزالة: ٢٤٣.
- ١٤٦، ١٨٢، ٢٠٤، ٢١٣، ٢٢٨، ٢٥٣. الترك: ١٨٩.
- البيقع: ١٥٨، ٢٣٠. تركيا: ١٨.
- البلقاء: ١٤٤، ٨٥. تكية البخارية: ٢٤.
- البوست = البريد: ١٠٣. تل الشحم: ٢٤٠.

- تلَّ عَقْرُ قُوف: ٥٦. جلدّة: ٢٣٨.
- (ث) جراء: ١٨٣.
- ثبير غيناء: ١٨٣. الجزيرة العربية: ٦١، ١٥٣، ١٦٣، ١٦٥، ١٩١، ٢٣٨.
- (ج) جامع الأزهر: ٢٠، ٢١. جمرة العقبة: ١٧٨.
- جامع الإمام: ٢٨. جمعية الاتحاد والترقي: ١٠٧.
- جامع رأس سيّدنا الحسين (عليه السلام): ٢١. جنين: ٢٦.
- جامع الشارع العام: ١٠٠. جوف الكعبة: ١٨٤.
- جامع الصراي: ١٠٠. حادثة: ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٩٩، ٢٠٠.
- جامع الفاروق: ٦٢. حاذة: ١٦٠.
- جبال الأثلث: ١٥١. الحجاز: ١٢، ١٨، ٢٤، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٥، ١٧٠، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٢.
- جبال الشام: ١١٢. جبال الفرو: ٢٣٤.
- جبل أحد = جنّ = أحد: ١٥٨، ١٦٥، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢.
- جبل عَمْرَة: ٢٣١. حجر إسماعيل (عليه السلام) = الركن الشامي: ١٨٦، ١٨٧.
- جبل كرا: ١٨٣. الحجر الأسود: ١٨٦، ١٨٧.
- جبل منى: ١٧٥. الحجر الصحي = القردون: ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩.
- جبل النور: ١٩٣. الحجرة النبوية = قبر الرسول الأكرم = الحرم النبوي = مرقد سيد الأنبياء (عليه السلام) = الحضرة النبوية: ٣٥، ٣٦، ١٠٨، ١٥٥، ١٥٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٣٠.
- جدار بئر زمزم: ٢٥٧.

- الحجرية: ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥. الحمراء: ١٥٢.
- حديثه: ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٦. حنين: ١٨٣.
- حديثه الفرات: ٧٠. حي الشهداء: ١٥٨.
- حديثه الموصل: ٧٠. حيفا: ٢٦، ٢٤٣.
- جرا: ١٩٣. (خ)
- الحرار: ١٦٦. خانات الأستانة: ٢٢٩.
- حران: ١٠٣. الخر: ٥٦.
- الحره: ١٦٠، ١٦٥. خراسان: ٦، ١٥، ٢٨.
- حره الرهاة: ٢٣٤. الخرم: ٢٤٠.
- حره الروقة: ١٦٥. خزانه المخطوطات: ٢٤٥.
- الحره الشرقيه: ٢٢٠. خير: ٢٢١.
- حره العويرض: ٢٣٤. (د)
- حره النقيع: ٢٢٢. دار الحاج محمد علي رضا إخوان: ١٤٠، ١٤٤.
- حره مطير: ٢٠٢. دار السادة آل الشهرستاني: ٢٦.
- الحرم الجديد: ١٧٥. دار السيد الجليل الرضوي: ٢٨.
- الحساء: ١٦٠. درب الجماميز: ٢٢٩.
- الحسينية الكبرى في الكرخ: ٢٤، ٢٦. الدشت: ٢٢٠.
- حلب: ٨٩، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٧. الدليميات في نجد: ٦١.
- ١٤٤، ٢٢٧. دمشق: ١٧، ٢٠، ٢٦، ٣٧، ٥٨، ٩٩، ٢٢٨.
- الحلة: ٢٩. ٢٤٤.

- دور كوريكالوز: ٥٦. الرِّحْلُ: ٢٣٤.
- الدولة العثمانية: ٢٣٨. الرضيم: ٢٣٤.
- دولة العلية = الدولة العثمانية: ١٠١. رقة: ٩٢.
- ديار بكر: ١٠٣، ٢٣٧. الركن العراقي: ١٨٦.
- ديار بني عبدالله: ٢٠٢. الركن اليماني: ١٨٥.
- ديار بني عطية: ٢٣٤. الرمادي: ٢٦، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٥.
- ديار الروقة: ١٦٥. رملة: ٢٤٠.
- ديار مطير: ١٦٣، ٢٠٢. الروضة: ١٦٠.
- ديار ولد محمد من حرب: ٢٣١. روضة سيد الشهداء (عليه السلام): ٢٠٨.
- السدير: ٩٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٧. (ز)
- ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١٣٤، ١٤٦. الزبد: ٢٣٤.
- دير الزور: ١١١. زقاق الخطاب: ٩٩.
- دير سعد: ٢٣٤. (س)
- دير ماسرجيس: ٧٨. السبختين: ١٦٤.
- الديوانية: ٢٩. سيزوار: ٦٠.
- (ذ) السخني: ١١٧، ١٢٠، ١٢٣.
- ذات الحاج: ٢٤٠. السعودية = المملكة العربية السعودية: ١٧٥.
- ذات عرق: ١٦٩، ١٩٩، ٢٥٨. ١٧٨، ٢١٦، ٢٣٨، ٢٤٠.
- ذو الحليفة: ١٦٠. سلانيك: ١٠٩.
- (ر) سلسلة جبال قدس: ١٦٦.
- راول بندي: ٣٠. سهْلُ المطران: ٢٣٢.

- السوارجية = السوارقية: ٢٠٢. الصغبيّة: ٢٠٢.
- سوريا = سورية: ٦، ١٧، ٢٠، ٣٦، ٤٠، ٨١. الصفا: ١٧٥، ١٨٤.
- ٨٣، ١١٧، ٢٥٩. صفين: ٦٢، ٩٢.
- سوق باب السريجة: ٩٩. صُفينة: ١٦١، ١٦٣، ٢٠٠، ٢٠٢.
- سوق المسعى: ١٨٤. الصقلاوية: ٥٦.
- السيل الصغير: ١٨٣. صور: ٢٦.
- السيل الكبير: ١٨٣. الصويرة: ١٦٠.
- (ش) صيدا: ٢٠، ٢٢.
- شارع الشيخ حجاز: ٩٩. (ض)
- شارع العباس (عليه السلام): ٩٥. ضريبة = الضريبة: ١٦٩، ١٩٩.
- شارع عبد العزيز: ٤٠. (ط)
- الشام: ١٥، ١٧، ٢٠، ٢٤، ٣٥، ٤٣، ٦٩، ٨٠. الطائف: ١٦٦، ١٧٦، ١٨٣.
- ٨٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٩، ١١٠. طرابلس: ١٠٩.
- ١١٢، ١٢٤، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥. طرف الشامية: ٦١.
- ١٤٦، ١٥٣، ١٥٨، ١٩٠، ٢١١، ٢٢١، ٢٢٩. الطريق السلطاني: ١٦٥.
- ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٤، ٢٦٠. طهران: ١٥، ٢٨، ١٤٧.
- شُعَب علي: ١٧٤. طور سيناء: ١٩٠.
- شيراز: ١٥، ٢٨، ٢٢٨. (ع)
- (ص) عانة: ٣٣، ٦٥، ٧٦، ٧٨، ٨٠، ٨١، ١٠٣.
- الصالحية: ٨٤، ٨٥، ٨٦. عبادان: ٢٨، ٢١٨.
- الصحن الشريف للسيدة معصومة (عليها السلام): ٢٨. العباسية شرقية: ٩٥.

- العباسية غربية: ٩٥.
- الفرع: ١٦٤، ١٦٥.
- العتبة العلوية المقدسة = مرقد أمير المؤمنين
- فلسطين: ١٥، ٢٤، ٢٥.
- علي بن أبي طالب عليه السلام: ٧، ٨، ٣٨.
- الفلوجة: ٢٦، ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦١، ١٢٠.
- العراق: ٦، ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٩، ٣٣، ٣٤، ٦٩.
- (ق)
- القائم: ٦١، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٩٧.
- ٧١، ٧٧، ٩٥، ٩٨، ١٠٣، ١٠٧، ١١٠، ١٣٩.
- قاع النّجيل: ١٦٥.
- ١٤٤، ١٤٥، ١٨١، ١٩٩، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٢٩.
- ٢٥٨.
- القاهرة: ١٥، ١٨، ٢٠، ٢٢، ٤٠، ١٨٠.
- عرفات = جبل عرفات = وادي عرفات: ١٢.
- قباء: ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢.
- ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٣.
- قبايق: ١١١، ١١٢، ١١٩.
- العقبة: ٢٤١.
- قبة (ذي الكفل): ٧١.
- الغلا: ٢٣٢، ٢٣٣.
- قبر آمنة سلام الله عليها: ٢١٦.
- العنبرية: ٢٢٠.
- قبر أبي بكر الصديق: ١٥٥.
- العوالي: ٢٢١.
- قبر أفلاطون: ١٠٠.
- غير: ٢٢١، ٢٢٢.
- قبر أيوب النبي ﷺ في هيت: ٦٣.
- (غ)
- قبر جعفر بن أبي طالب عليه السلام: ٨٥.
- غدير الحج: ٢٤١.
- قبر حمزة بن عبد المطلب عليه السلام: ١٥٩، ٢١٥.
- الغراب: ٢٠٣.
- قبر خديجة سلام الله عليها: ١٩٢، ٢١٦.
- (ف)
- قبر السيّد محمّد، من أولاد الإمام موسى
- الفاو: ٢٣.
- الكاظم عليه السلام: ٧١.
- الفحيمي: ٧٣، ٧٦.
- قبر السيّدة الحوراء زينب عليها السلام: ٢٦٤، ١٧.
- فدك: ٢٢١.
- قبر الصديقة الزهراء عليها السلام: ٣٥، ٣٦، ١٥٥، ١٥٦.

- قبر عبد الله المبارك: ٦٣. ٨٣، ٨٩، ٩٦، ١٠٩، ١١٠.
- قبر عمر بن الخطاب: ١٥٥. كراجي: ٣٠.
- قبر نجم الدين: ٦٣. كربلاء: ٢٠، ٢٦، ٣٢، ٥٣، ٩٥، ١٥٨.
- قبر أو مقام حبيب النجار: ٧٦. الكرخ: ٢٤.
- قبر أو مقام الشيخ محمد الألوسي في قرية كرمانشاه: ٢٨، ٢٩.
- تسمى بـ(الزاوية): ٧٦. الكرند: ٢٩، ٣١.
- قبور شهداء أحد: ٢١٧. كشمير: ٣٠.
- القدس: ٢٤، ٢٦، ٢٢٦. كنائس الأمريكان: ٢١.
- قربان: ٢٢١. الكوت: ٢٣.
- قرية الزاوية: ٧٦. كور مقص: ٢٤١.
- قرية المعاضيد: ٧٦. الكوفة المقدسة: ٩، ٢٧، ٢٢٠.
- قرية ليلي: ٢٣٢. الكويت: ١٦٣، ٢٠٠.
- قصر الجيش: ١٠٩. كيلان: ٩٦.
- قصر أم جعفر: ٢٠٤. (ل)
- قصر شيرين: ٢٩. لاهور: ٣٠.
- القصيم: ١٦٩. لبنان: ١٧، ٢٠، ٢٤، ٢٩، ٢٥٩.
- قم: ٢٨. لواء الدليم: ٧٦.
- قوتية: ١٠٠. (م)
- (ك) مؤته: ٨٥.
- كازرون: ٢٨. ميركة الناقة: ١٤٩، ٢٣٣.
- الكاظمية المقدسة: ٢٠، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٨٠. المجمع العالمي لأهل البيت: ٢٥٣.

- | | |
|----------------------------------|---------------------------|
| مجمع اللغة العربية بالقاهرة: ١٨. | محطة الحُقَيْرَة: ٢٣١. |
| المحاني: ١٦٠. | محطة خان الزبيد: ٢٤٢. |
| المحرم: ١٦٠. | محطة خربة السمرة: ٢٤٣. |
| محطّب: ٢٤٠. | محطة خشم صنعا: ٢٣٣. |
| محطة آبار نصيف: ٢٣١. | محطة الخميس: ٢٣٤. |
| محطة أبو النعيم: ٢٣١. | محطة دار الحج: ٢٣٤، ٢٣٥. |
| محطة الأخضر: ٢٣٤، ٢٣٥. | محطة دار الحمراء: ٢٣٣. |
| محطة أزرع: ٢٤٤. | محطة در علي: ٢٤٤. |
| محطة البئر الجديد: ٢٣٢. | محطة الدرعة: ٢٤٣، ٢٤٤. |
| محطة بؤيرة: ٢٣١. | محطة الزرقعة: ٢٤٢. |
| محطة البدائع: ٢٣٢. | محطة زيرة: ٢٤٢. |
| محطة بركة المعظم: ٢٣٤. | محطة سهل مطر: ٢٣٢. |
| محطة بغاز: ٢٣٤. | محطة السواعة: ٢٤٢. |
| محطة تبوك: ٢٣٥، ٢٤٤. | محطة الشام: ١٤٥، ٢٤٤. |
| محطة تسعد: ٢٣٤. | محطة ضبعة: ٢٤٢. |
| محطة جباب: ٢٤٤. | محطة طُويرة: ٢٣٢. |
| محطة جيب: ٢٤٤. | محطة الغلى: ٢٣٣. |
| محطة جبل أبو طاقة: ٢٣٣. | محطة عمان: ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤. |
| محطة جرف الدراويش: ٢٤٢. | محطة عنتر: ٢٣١، ٢٤٢. |
| محطة الحسا: ٢٤٢. | محطة الفدين: ٢٤٣. |

- محطة فريفة: ٢٤٢.
- محطة قرين الغزال: ٢٣٥.
- محطة القطران: ٢٤٢.
- محطة كسوة: ٢٤٤.
- محطة اللبن: ٢٤٢.
- محطة لبيد: ٢٣١.
- محطة المحجة: ٢٤٤.
- محطة المحيط: ٢٣١.
- محطة مدائن صالح: ٢٣٣، ٢٤٤.
- محطة المُدرَج: ٢٣٢.
- محطة مسمية: ٢٤٤.
- محطة المشهد: ٢٣٢.
- محطة مطالع: ٢٣٣.
- محطة معان: ٢٤٤.
- محطة المفرق: ٢٤٣.
- محطة منزل: ٢٤٢.
- محطة نصيب: ٢٤٣.
- محطة هدية: ٢٣٢.
- محطة وادي الأثيل: ٢٣٥.
- محطة وادي الجرذون: ٢٤٢.
- محل التبريزة: ١٩٢.
- محلة الحويش: ١٤٧.
- محلة الشعب = شعب بني عامر: ١٧٤.
- محلة العباسية في كربلاء: ٩٥.
- المحمرة: ٢٨.
- المخفق = الخفق: ١٥٩، ١٦٠، ٢٠٤.
- مدائن ثمود: ١٥١.
- مدائن صالح: ١٣٠، ١٤٩، ٢٣٠، ٢٣٣.
- مدرسة دار العلوم: ٢٢٩.
- المدرسة العلوية = المدرسة المحسنية: ١٤١.
- المدورة: ٢٤٠.
- المدينة الكشية: ٥٦.
- المدينة المنورة = طيبة: ١٥، ٣٦، ٤٣، ١٠٩، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٦، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٠، ٢١١، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٨، ٢٤٤.
- مر الظهران = وادي فاطمة = وادي الشريف: ١٦٧.
- مرسية الأندلس: ٥٨.
- مرقد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: ٢٨.
- المروة: ١٧٥، ١٨٤، ٢٣٢.

الفهارسُ الْفَنِيَّةُ رَفْعُهُنَّ الْأَمَّاكِنَ وَالْبُلْدَانَ وَالْأَنْهَارَ ٣٠٥

- المزدلفة : ١٢. مسجد مصلى النبي ﷺ : ١٤٨.
- المستجار : ١٨٥. مسجد مقام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : ٢٨.
- مستشفى الكرخ : ٣١. المسجد النبوي = ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢١.
- مسجد آذان إبراهيم (عليه السلام) : ١٨١. مسجد الأحراب = مسجد الأعلى = مسجد
- الفتح : ٢١٧. مسجد الهندي : ٢٧.
- المسجد الأقصى : ٢٤، ٢٥، ٢٧. مسجد الوكيل في شيراز : ٢٨.
- مسجد بلال : ١٨١. المسعى : ١٨٤.
- مسجد بني قريظة : ٢٢٠. المسلخ : ١٦٦.
- مسجد الثنايا : ٢١٧. مشربة أم إبراهيم : ٢٢٠.
- مسجد الحرام : ١٢، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٥، ١٨٧. المشعر الحرام : ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠.
- مسجد الخيف : ١٧٥، ١٧٨. مشهد عبد العظيم (عليه السلام) : ٢٢٨.
- مسجد الدرع : ٢١٧. مشهد عثمان بن عفان : ٢٢٦.
- مسجد الرُستمية : ٢٠٤. مشهد المقدسة : ٢٨.
- مسجد سهيل : ٢٢٠. مصر : ٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣٩، ٤٠.
- مسجد الشجرة : ١٦٠. ٤١، ٢٢٦، ٢٢٨، ٢٥٣، ٢٥٩.
- مسجد شق القمر : ١٨٢. مصرع حمزة : ٢١٧.
- مسجد الغمامة : ٢٢١، ٢٢٢. مضارب الحجر الصحي = الحجر الصحي :
- مسجد القبلتين : ٢١٧. ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٣.
- مسجد قُباء : ٢١٩، ٢٢٠. مضيق وادي رنية : ١٦٠.
- مسجد الكوفة : ٢٧، ١٨٧. مطبعة دار السلام : ٢٥٣.
- معان : ١٤٤، ١٤٥، ٢٤٢.

- المعلّى: ١٥٢. الملتزم: ١٨٥.
- المغبة: ١٦١. منى: ١٢، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٢.
- مقام ابن نوح: ٧٦. المنبر الشريف النبوي: ٢١٨.
- مقام إبراهيم: ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧. منزل ما بين السبختين: ٢٠٠.
- مقام الإمام (عليه السلام) في منطقة نهية: ٣٥. منطقة السيد سلطان علي: ٣٢.
- مقام الإمام (عليه السلام) في الزاوية قرب آلوس: ٣٥. منطقة منيج: ١١٧.
- مقام جبرئيل: ٣٦، ١٥٦. المقام علي (عليه السلام): ٧٩.
- مقام علي (عليه السلام) في قرية (المعاضيد): ٧٦. الموصل: ١٠٣، ٢١٣.
- مقام كف الإمام علي (عليه السلام) في هيت: ٣٥. موضع الخندق: ١٦٥.
- مقبرة أهل المدينة: ١٥٨. ميادين صفين = الميادين: ٩٢، ٩٣، ٩٨.
- مقبرة وادي السلام: ٨. (ن)
- مكة المكرمة = الكعبة المشرفة = أم القرى: نابلس: ٢٥، ٢٦.
- ١٢، ١٥، ٥٣، ٥٤، ١٢٠، ١٣٩، ١٥٤، ١٥٨، ١٥٩، ناحية خفسة: ١١٧.
- ١٦٠، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، الناصرية: ٢٨.
- ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٦، الناغوز = الناغوزات: ٨٥.
- ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، نجد: ٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٩، ١٩٢.
- ٢٠٥، ٢١١، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٣٨، ٢٥٨. النجف الأشرف: ٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.
٢٢٩. مكتبة الخديوية = دار الكتب المصرية: ٢٢٩.
- ٣٠، ٣٢، ٣٩، ٥٣، ٧٨، ٩٥، ١٠٣، ١٠٧، ١٤٧، مكتبة شيخ الإسلام في الاستانة (عارف
- ١٧٤، ١٨٩، ٢٠٧، ٢٢٣. حكمة): ٢٢٦.

الفهارسُ الْفَنِيَّةُ / فهرسُ الْأَمَاكِنِ وَالْبُلْدَانِ وَالْأَنْهَارِ ٣٠٧

- نخلة اليمانية : ١٨٣. وادي الحجر: ١٤٩.
- نهر الفرات = الفرات: ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١. وادي حلجان: ٦٩.
- ٦٢، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٨. وادي حوران: ٦٨.
- ٨١، ٨٤، ٨٥، ٩٤، ١٠٢، ١١٠، ١١١، ١١٢. وادي الْخُرَيْبَةِ (الأبواء): ٢١٦.
١٧٠. وادي دغدان: ٦٩.
- نهر القرمة: ٥٦. وادي السلام: ٣٢.
- نهر الوشاش: ٥٦. وادي الصفراء: ١٥٢.
- نهر عيسى: ٥٦. وادي الطَّبِق: ٢٣٢.
- النهية: ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٥. وادي طحان = أبو جيدة: ٢٢١.
- (هـ)
- هضبة الصمان: ١٦٣. وادي العقيق: ١٦٠، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩.
- ١٩٩، ٢١٧. همدان: ٢٨، ٦٣.
- الهند: ٦، ١٨، ٢٤، ٣٠. وادي الفرع: ١٦٦.
- هور عَقْرُ قُوف: ٥٦. وادي القري: ٨٥، ١٤٥، ١٤٨، ١٥١، ١٤٩.
- هيت: ٣٣، ٣٥، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٧٧، ٧٨. ٢٣٣.
- ٨٩، ٩٦، ١١٠، ١١٩. وادي قرآن: ٢٠٢.
- (و)
- وادي الأنيلي: ٢٣٥. وادي الليمون: ١٦٩، ١٩٩.
- وادي بطحان: ٢١٧. وادي نعمان: ١٨٣.
- وادي الجزل: ٢٣٢. الواسطة: ١٥٢.
- وادي جليل: ١٩٣. وعير: ٢٢١.

(ي)

يافا : ٢٦.

اليماثية: ١٩٣.

اليمن: ٢٤، ٣٧، ٧٤، ١٧٨، ١٨٩.

فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ

أَوَّلًا: الكتب المخطوطة:

١. (انوار العقول في أشعار وصي الرسول) مخطوط في خزانة مخطوطات المكتبة.

ثانيًا: الكتب المطبوعة:

٢. أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد): للشریف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ - ١٠٤٥م) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية. الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

٣. الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة: للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ - ١٢٦٦م)، تح: جواد القيومي الأصفهاني. الناشر مكتب الإعلام الإسلامي. الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ.

٤. أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية: بحث ميداني بعدسة المؤلف د. قتيبة الشهابي. منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية - دمشق. سنة ١٩٩٠م.

٥. الأنوار الزاهية في ديوان أبي العتاهية: غني بطبعه الأب لويس شيخو اليسوعي، نقلًا عن رواية النمري وكتب مشاهير الأدباء، الطبعة الرابعة. المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٤م.

٦. الاستبصار في ما اختلف من الأخبار، لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق: السيد حسن الموسوي الخرسان (ت ١٤٠٥هـ)، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية مطبعة النجف الأشرف سنة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

٧. آثار العباد وأخبار البلاد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني. دار صادر بيروت. سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

٨. أعلام السياسة في العراق الحديث: الاستاذ مير بصري (ت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م)، الناشر: دار الحكمة - لندن، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م.

٩. البيان والتبيين: لأبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ - ٨٦٩م). تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد سنة ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م.

١٠. بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ - ١٦٩٩م) تح: السيد إبراهيم الميانجي، محمد باقر البهبودي، الطبعة الثالثة. سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

١١. تراث كربلاء: سلمان هادي طعمة، وزارة الثقافة - العراق - بغداد، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٢م.

١٢. ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة: الأستاذ طاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، مطبعة الاستقامة القاهرة. الطبعة الأولى سنة ١٩٥٩م

١٣. تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف: لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد ابن الضياء المكي الحنفي (ت ٨٥٤هـ - ١٤٥٠م) تح: علاء إبراهيم الأزهرى وأيمن نصر الأزهرى، الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. الطبعة الأولى سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٤. التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد بن علي ابن حمدون (ت ٥٦٢هـ - ١١٦٧م)، تح: إحسان عباس وبكر عباس. الناشر: دار صادر بيروت - لبنان الطبعة الأولى سنة ١٩٩٦م.

١٥. تاريخ مدينة السلام: للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، حَقَّقَه، وضَبَطَ نَصَّهُ، وعَلَّقَ عَلَيْهِ: د. بشار عَواد. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

١٦. تكملة المعاجم العربية: رينهارت دوزي، نقله إلى العربية، وعَلَّقَ عليه: د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام سنة (١٩٨٢م).

١٧. الترياق الفاروقي أو (ديوان عبد الباقي العمري): مطابع دار النعمان - النجف الأشرف العراق. الطبعة الثانية سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٨. مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت ٥١٨هـ - ١١٢٤م)، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة دار السعادة، الطبعة الثانية سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٥٩هـ).

١٩. مهج الدعوات ومنهج العبادات: للسيد رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤هـ - ١٢٦٦م) منشورات شمس الضحى الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ.

٢٠. ماضي النجف وحاضرها، الشيخ جعفر الشيخ باقر آل محبوبة (ت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م)، تحقيق وتعليق: د. علي خضير حجي، الناشر: قسم الشؤون الفكرية في العتبة العلوية المقدسة شعبة إحياء التراث، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، مطبعة دار الكفيل - كربلاء المقدسة.

٢١. شرح ديوان المتنبي: وضعه: عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة الإستقامة بالقاهرة، الطبعة الثانية سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م).

٢٢. كتاب الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ - ٩٧٦م)، المطبعة المصرية بولاق سنة (١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م). (نسخة خزانة الحجريات العامة في مكتبة الإمام كاشف الغطاء تسلسل ٣٣٨٨).

٢٣. ديوان علي بن الجهم: عُني بتحقيقه: خليل مردم بك (رئيس مجمع اللغة العربية)، طبع على مطابع دار السراج بيروت، الطبعة الثانية.
٢٤. موسوعة الشهيد الأوّل (ت ٧٨٦هـ - ١٣٨٥م)، الناشر: مركز العلوم والثقافة الإسلامية في الحوزة العلميّة، قم المقدّسة، الطبعة الأولى سنة (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).
٢٥. دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً: لـ د. مصطفى جواد وأحمد سوسة. مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة (١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م).
٢٦. عقود حياتي: للشيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)، تح: أمير الشيخ شريف كاشف الغطاء، الناشر: مدرسة ومكتبة الإمام كاشف الغطاء العامة، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
٢٧. معجم البلدان: للشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي (ت ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م) الناشر: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان، سنة الطبع (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).
٢٨. الذيارات: لأبي الحسن علي بن محمّد المعروف بالشابستي (ت ٣٨٨هـ - ٩٩٨م) على رواية، عُني بتحقيقه ونشره: كوركيس عواد، مطبعة المعارف - بغداد ١٩٥١م.
٢٩. ديوان أبو البحر الخطي: جعفر بن محمّد الخطي (ت ١٠٢٨هـ - ١٦١٩م) علّق عليه وأخرجه: الخطيب علي بن الحسين الهاشمي، عضو جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الأشرف، مطبعة الحيدري - طهران سنة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).
٣٠. ديوان الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ)، دار صادر بيروت سنة (١٣٨٠هـ - ١٩٦١م).
٣١. ديوان خواجه شمس الدين محمّد حافظ شيرازي: باهتمام محمّد قزويني، ودكتور قاسم غني، طهران مطبعة مجلس سنة ١٣٢٠هـ.

٣٢. ديوان أبي الأسود الدؤلي: حققه وشرحه وقَدَّم له: عبد الكريم الدجيلي، شركة النشر والطباعة العراقية المحدودة - بغداد الطبعة الأولى، سنة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م).

٣٣. ديوان الشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني: شرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع على نفقة شارحه سنة ١٣٢٧ هـ مطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر.

٣٤. ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس: شرح وتعليق: د. محمد حسين، الناشر مكتبة الآداب بالجماميز المطبعة النموذجية.

٣٥. ديوان الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، على الرواية الصحيحة: جمع السيد محسن الأمين الحسيني (ت ١٣٧١هـ) الطبعة الممتازة، من نشرات مكتبة دار الكتب التجارية ومطبعتها في النجف الأشرف، لصاحبها الشيخ محمد رضا الكتبي.

٣٦. ديوان الأزري الكبير: الشيخ كاظم الأزري التميمي (ت ١٢١١هـ - ١٧٩٦م). تحقيق وتقديم وتكملة: شاكر هادي شكر، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، الناشر: دار التوجيه الإسلامي، بيروت - كويت.

٣٧. ديوان السيد موسى الطالقاني (ت ١٢٩٨هـ - ١٨٨٠م): جمعه، وحققه، وقَدَّم له، ونشره: محمد حسن آل الطالقاني، مطبعة الغري الحديثة - النجف الطبعة الأولى سنة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م).

٣٨. ديوان صاحب بن عباد: تح: الشيخ محمد حسن آل ياسين، منشورات دار القلم بيروت - لبنان، مكتبة النهضة بيروت - بغداد الطبعة الثانية سنة (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

٣٩. ديوان ذي الرمة غيلان بن عقبة العدوي (ت ١١٧هـ - ٧٣٥م): شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، حققه وقَدَّم له وعَلَّق عليه: د. عبد القدوس أبو صالح، دمشق - مطبعة طربين سنة (١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م).

٤٠. ديوان الأرجاني: ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين (ت ٥٤٤ هـ - ١١٤٩م) تحقيق: د. محمد قاسم مصطفى. منشورات وزارة الثقافة والإعلام - الجمهورية العراقية سنة ١٩٨١م.
٤١. ديوان الحافظ رجب البرسي الحلبي، (من أعلام القرن الثامن والتاسع)، تحقيق: حيدر عبد الرسول عوض، إصدار مجمع الإمام الحسين العلمي لتحقيق تراث أهل البيت (عليه السلام) التابع للعتبة الحسينية المقدسة، ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.
٤٢. شرح ديوان الاعشى: شرحه إبراهيم جزيني، الطبعة الأولى (سنة ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨م).
٤٣. الكنى والألقاب: للشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ - ١٩٤٠م)، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٩ هـ.
٤٤. صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري الجعفي (ت ٢٥٦ هـ - ٨٧٠م)، طبعة بالافست عن طبعة دار الطباعة العامة باستانبول، دار الفكر سنة (١٤٠١ هـ - ١٩٨١م).
٤٥. شعر دعبل بن علي الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ - ٨٦١م) صنعه: د. عبد الكريم الأشر، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، سنة (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م).
٤٦. شرح ديوان الحماسة: لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ - ١٠٣٠م)، نشره: أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، سنة (١٣٧١ هـ - ١٩٥٢م).
٤٧. معجم ألفاظ الفقه الجعفري: د. أحمد فتح الله، الطبعة الأولى سنة (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م)، مطبعة مطابع المدخول - الدمام.

٤٨. المستقصى في أمثال العرب: لأبي القاسم جابر الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بـ (حيدر آباد) الدكن الهند، الطبعة الأولى سنة (١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م).

٤٩. كتاب (المناسك) وأماكن طرق الحجّ ومعالم الجزيرة: لأبي إسحاق الحربي (ت ٢٨٥ هـ - ٨٩٨ م)، تحقيق حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض المملكة العربية السعودية سنة ١٩٦٩ هـ.

٥٠. شرح ديوان أبي فراس الحمداني: منشورات دار الفكر - بيروت.

٥١. المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة (الرحلة الثالثة) تأليف: طه باقر وفؤاد سفر. أصدرتها مديرية الفنون والثقافة الشعبية في وزارة الثقافة والإرشاد بغداد سنة ١٩٦٦ م.

٥٢. مرآة الحرمين والرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية: تأليف اللواء إبراهيم رفعت باشا، قومندان حرس المحمل سنة ١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م، وأمير الحج سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٣ م، وسنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٤ م، وسنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م، الطبعة الأولى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة (١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م).

٥٣. المساجد والأماكن الأثرية في المدينة المنورة: تأليف عبد الله يوسف، دار المؤرخ العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة (١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م).

٥٤. معارج نهج البلاغة: علي بن زيد البيهقي (ت ٥٦٥ هـ - ١١٧٠ م) تح: محمد تقي داناش پژوه، إشراف: السيد محمود المرعشي، الطبعة الأولى سنة (١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م)، المطبعة بهمن - قم الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم المقدسة.

٥٥. الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ - ١٦٩٢ م)، مطبعة النعمان النجف الأشرف سنة (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).

٥٦. كتاب الذيل على طبقات الحنابلة: لابن رجب زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥هـ - ١٣٩٣م)، دار المعرفة بيروت - لبنان.

٥٧. العراق قديما وحديثا: السيد عبد الرزاق الحسني، الطبعة السادسة (الأوفست) مطبعة دار الكتب بيروت - لبنان سنة (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٥٨. خزائن الكتب العربية في الخافقين: الفيكنت فيليب دي طرازي، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، مطبعة جوزف صيقل - بيروت سنة ١٩٤٧م.

٥٩. معجم أسماء النبات الواردة في تاج العروس: جمع وتحقيق محمود مصطفى الدميّاطي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٦٥م.

٦٠. معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية: عمر رضا كحاله، مكتبة المثنى - لبنان ودار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان.

٦١. شرح مثنوي: ملا هادي السبزواري (ت ١٢٨٩هـ - ١٨٧٢م) تح: د. مصطفى بروجردى.

٦٢. الخصال: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ - ٩٩١م) تح: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية قم المقدسة سنة ١٤٠٣هـ.

٦٣. الكافي: لأبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ - ٩٤١م) صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الناشر دار الكتب الإسلامية - طهران الطبعة الثالثة سنة ١٣٨٨هـ.

٦٤. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤هـ - ١٤٦٩م)، مطبعة كوستا تسوماس، وزارة الثقافة

والإرشاد القومي.

٦٥. مستدرك الوسائل: للميرزا الشيخ حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م) تح: مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث بيروت - لبنان، الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م.

٦٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب: لأحمد المقري المغربي المالكي الأشعري، المطبعة الأزهرية المصرية الطبعة الأولى سنة (١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م).

٦٧. مشارق أنوار اليقين: للشيخ الحافظ رضي الدين بن محمد بن رجب البرسي الحلبي (كان حيّاً في القرن التاسع) تح: السيد علي عاشور، الناشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان، الطبعة الأولى سنة (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

٦٨. الغدير في الكتاب والسنة والأدب: الشيخ عبد الحسين الأميني النجفي، مطبعة الحيدري بطهران، الطبعة الثانية سنة (١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م).

٦٩. حياة الحيوان الكبرى: لكمال الدين محمد بن موسى الدميري (ت ٨٠٨هـ - ١٤٠٥م) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة سنة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م).

٧٠. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: للشيخ آغا بزرك الطهراني (ت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م) دار الأضواء - بيروت الطبعة الثالثة سنة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٧١. مستدرك نهج البلاغة: جمع الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ - ١٩٤١م)، مطبعة الراعي في النجف الأشرف، الطبعة الأولى سنة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م).

٧٢. موسوعة الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م) دار المؤرخ العربي الطبعة الأولى سنة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

٧٣. من لا يحضره الفقيه: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ - ٩٩١م) صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، الناشر: جماعة النشر الإسلامي في قم المقدسة.

٧٤. موسوعة أعلام وعلماء العراق: حميد المطبعي، إصدار مؤسسة الزمان الدولية للصحافة والنشر والمعلومات - بغداد، الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م.

٧٥. خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م.

٧٦. الصحيفة السجادية: للإمام زين العابدين (عليه السلام) (استشهد ٩٤هـ - ٧١٣م) تقديم: الشهيد السيد محمد باقر الصدر.

٧٧. شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي النحوي (ت ٦٨٦هـ - ١٢٨٧م) تحقيق وشرح: محمد نور الحسن، محمد الزفراف، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان سنة (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

٧٨. الموسوعة الحرة (ويكيبيديا).

٧٩. معجم معالم الحجاز: د. عاتق بن غيث البلادي، الناشر: دار مكة ومؤسسة الريان، الطبعة الثانية سنة (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م).

٨٠. مختصر مصباح المتعجل في عمل السنة الشهير بـ (المصباح الصغير): للشيخ أبي جعفر محمد الحسن بن علي الطوسي (ت ٤٦٠هـ - ١٠٦٨م)، منشورات: مكتبة العلامة المجلسي (رحمته)، مطبعة عمران، الطبعة الأولى سنة (١٤٣٥هـ - ٢٠١٥).

٨١. المصطلحات العمارية والفنية في العمارة التراثية: د. حميد محمد الدراجي، دار الشؤون الثقافية العامة من إصدارات بغداد عاصمة الثقافة العربية، الطبعة الأولى

(سنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م).

٨٢. مناقب آل أبي طالب: مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ - ١١٩٢م) الناشر المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م).

٨٣. لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري الأنصاري (ت ٧١١هـ - ١٣١١م)، الطبعة الأولى، بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق، سنة (١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م).

٨٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مطابع دار الكتاب العربي بمصر (محمود حلمي المنياوي)، سنة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م).

٨٥. كتاب العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ - ٧٩١م) تح: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م).

٨٦. الذخائر الشريفة: جمع وتقديم وتعليق: جليل العطية، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى سنة ١٩٩٩م.

٨٧. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ - ١٣١٧م)، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

٨٨. الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية: للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)، طبع في مطبعة العرفان صيدا سنة (١٣٣٠هـ - ١٩١٢م).

٨٩. الدين والإسلام أو الدعوة الإسلامية: للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م)، تح: محمد جاسم الساعدي، الناشر المجمع العالمي لأهل

البيت للطباعة الأولى سنة ١٤٣٢هـ

٩٠. العروة الوثقى فيما تعم به البلوى: للسيد محمد كاظم اليزدي (ت ١٣٣٧هـ -

١٩١٨م)، طبعت بمطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة (١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م).

٩١. الآثار الإسلامية في مكة المكرمة، د. ناصر الحارثي، الطبعة الأولى الرياض سنة

(١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م).

٩٢. المغانم المطأبة في معالم طأبة: لمجد الدين أبي الطاهر محمد بن يعقوب

الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ - ١٤١٥م)، تحقيق: حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة

للبحث والترجمة والنشر - الرياض المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة

(١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

٩٣. مجمع البحرين، للشيخ فخر الدين الطريحي (ت سنة ١٠٨٥هـ - ١٦٧٤م)، تح:

السيد أحمد الحسيني، مطبعة الاداب في النجف الأشرف.

ثالثاً: الدوريات:

٩٤. سومر: مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه، تصدرها مديرية الآثار العامة -

وزارة الإعلام - الجمهورية العراقية - بغداد.

٩٥. مجلة العرب: مرة بن محكان السعدي حياته وما تبقى من شعره، جمع وتحقيق د.

عباس هاني الجراخ، ج ١١-١٢، س ٣٣، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٩٦. صحيفة الرياض اليومية الصادرة من مؤسسة اليمامة الصحفية، العدد (١٦١٨٨)،

الجمعة ٣ ذو الحجة ١٤٣٣هـ - ١٩ أكتوبر ٢٠١٢م.

فَهْرَسُ الْمُجْتَوِيَّاتِ

- أدب الرّحلات النجفية لمحة عابرة..... ٥
- أولاً: الرّحلة إلى مدينة النّجف وهي متعددة الغايات بين ٨
- أ - المجاورة والهجرة..... ٨
- ب - التحصيل العلمي ٩
- ج - الزيارة والاستطلاع..... ٩
- د - تجارياً وصناعياً ١٠
- ثانياً: الرّحلة النجفيّة ١١
- أ - رحلات الحجّ وزيارّة الأماكن المقدّسة ١١
- ب - رحلات التبليغ والواجبات الرّساليّة والمشاركات العلميّة ١٤
- ج - الرّحلة إلى بلدان العالم ١٦
- الإمام الشّيخ كاشف الغطاء والرّحلات ١٨
- أولاً: رحلة الحجّ الحجازيّة (١٣٢٩هـ - ١٩١١م) ٢٠
- ثانياً: الرّحلة الجهاديّة (١٣٣١هـ - ١٩١٣م) ٢٣
- ثالثاً: رحلة المؤتمر الإسلامي في القدس الشريف (١٣٥٠هـ - ١٩٣١م) ٢٤
- رابعاً: الرّحلة إلى إيران (١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م) ٢٨
- خامساً: الرّحلة العلاجيّة إلى لبنان (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م) ٢٩
- سادساً: الرّحلة إلى باكستان (١٣٧١هـ - ١٩٥١م) ٣٠
- سابعاً: الرّحلة الأخيرة إلى إيران (١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م) ٣١

الميّزات الفنيّة للرحلة	٣٣
عنوان هذه الرحلة	٣٩
وصف النسخة	٤٢
النسخة المعتمدة في التحقيق	٤٢
منهجية التحقيق	٤٣
شكر وتقدير	٤٤
النَّجف الأشرف - كربلاء المقدّسة - الكاظمية المقدّسة	٥٣
الخروج من الكاظميّة المقدّسة	٥٤
الفَلَوَجَة	٥٦
الرمادي	٦٠
هيت	٦٢
مذاكرات علميّة في التفسير	٧١
الفحيمي	٧٣
عانة	٧٦
نهيّة	٧٩
القائم	٨١
في أبي كمال	٨٣
في الصالحية	٨٤
حقيقة الوند التكويني	٨٩
في الميادين	٩٢

الفهارسُ الفنيّةُ / فهرسُ المحتويات ٣٢٣

في الدير	٩٤
متفرقات	٩٦
في الدير	٩٨
مسائل الشافعي	١٠٤
إلى الشام	١١٠
في قباقيب - دير الزور	١١١
في البئر الجديدة	١١٢
تأملات بـ(لسان الغيب)	١١٤
في السخني	١١٧
مذاكرات في حجّ (الدروس)	١٢٠
في الأرك	١٢٣
في تدمر	١٢٤
المرحلة الثالثة	١٣٧
من (نهضة السفر ونزهة السمر)	١٣٧
في سيرنا من الشام إلى المدينة إلى مكّة ثم إلى المدينة إلى الشام	١٣٧
تتمّة بقيّة احوال الشام	١٤٠
معان - تبوك	١٤٤
الأخضر	١٤٨
مدائن صالح	١٤٩
المعلّى	١٥٢

- ١٥٣ في المدينة المنورة
- ١٥٨ البقيع
- ١٥٨ طريق مكة
- ١٦١ الحجيرية وصفينة
- ١٦٤ في السبختين
- ١٦٤ حاثّة - الفرّيع
- ١٦٦ وادي العقيق
- ١٦٩ ذات عرق - ضريبة
- ١٦٩ وادي الليمون
- ١٧١ في مكة
- ١٨٤ في جوف الكعبة
- ١٨٧ المسجد الحرام
- ١٩٠ الرجوع إلى المدينة
- ١٩٣ جبل النور المقدّس
- ١٩٨ بئر برود إلى صفينة
- ٢٠٢ السوارقية - الصّعيّة
- ٢٠٣ في غدير ماء
- ٢٠٥ الحرب مع قبائل حرب
- ٢١٠ في طيبة
- ٢١٥ زيارة حمزة بن عبد المطلب

٣٢٥	الفَهَارِسُ الْفَنِيَّةُ / فِهْرُسُ الْمُحْتَوَيَاتِ
٢١٧	مساجد وزيارة قبور (شهداء أحد)
٢١٧	خطيب الجمعة في المدينة المنورة
٢١٩	مسجد قُباء ومعالَم أخرى
٢٢٣	خبر وفاة الشيخ الخراساني <small>قُدِّسَ سِرُّهُ</small>
٢٢٥	مكتبة عارف حكمت
٢٢٩	من المدينة إلى الشام
٢٤٠	المحطّات من تبوك إلى الشام
٢٤٦	الحاقيات تتعلق بالجزء الثالث من النهضة
٢٤٦	مذاكرات علميّة
٢٥٤	شرح حديث (حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ...)
٢٥٧	مناظرة مع إسماعيلي
٢٦٤	زيارة مرقد عقيلة بني هاشم الكبرى
٣٠٩	فهرس مصادر التحقيق
٣٢١	فهرس المحتويات